
نزهة المشتاق
فى
تاريخ يهود
العراق
تأليف
يوسف رزق الله
غنيمة

نزهة المشتاق

بجزوين

في

تاريخ يهود العراق

تأليف

يوسف رزق الله غنيمة

حقوق اعادة الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى

طبعت لحساب نعمان الاعظمي صاحب المكتبة العربية ببغداد

مطبعة الفرات . بغداد ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٤ م

كلمة الناشر

ازف الى قراء العربية كتاب « نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق » لمؤلفه البحاثة يوسف افندي رزق الله غنيمة . ومن نظر الى هذا الكتاب يتحقق لديه ما بذله المؤلف من المساعي للبحث عن تاريخ هذه الجماعة وتحقيق احوالهم على تعاقب الايام . وقد اشبع مروياته تمحيصاً شأن كل ما يكتبه . فلا حاجة الى تعريف هذا الكتاب واطرائه فهو يتكلم عن نفسه والغاية العلمية البحتة التي يرمي اليها . فنود ان يقع عملنا هذا موقع الاستحسان عند القراء الكرام والله ولي التوفيق .

نعمان الاعظمي

صاحب المكتبة العربية ببغداد



آثار المؤلف المطبوعة

تجارة العراق

قديماً وحديثاً

وهو كتاب يبحث عن تاريخ تجارة العراق منذ اقدم الازمنة الى اليوم يقع في ١٧٤ ص طبع في مطبعة العراق في بغداد سنة ١٩٢١ وقد اثنت عليه اكبر المجلات والصحف كالمقتطف والمشرق والهلال والعرفان والكلية ومجلة المجمع العلمي العربي ، ومجلة السيدات والرجال وجريدة الاحوال وجريدة التجارة الاسكندرية ولسان العرب المقدسية والعراق والموصل والاوقات العراقية كما اثنى عليه غير واحد من العلماء والمستشرقين .

برديصان والبرديصانية : رسالة فلسفية تاريخية في بدعة ظهرت في القرن الثاني للميلاد في بين النهرين وقد نالت استحسان العلماء المستشرقين تقع في ١٦ ص طبعت في بيروت سنة ١٩٢٠ .

نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق : وهو الكتاب الذي بين يديك ايها القارئ الكريم وهو الوحيد في بابه يقع في ٢٢٠ ص .

فهرس الكتاب

فهرس الرسوم

مقابل صفحة



مقدمة الكتاب

للعراق بين اقطار المسكونة منزلة جليلة وبين امصار المعمورة ذكر طيب. فاذا بحثنا عن مهد الحضارة ونشوئها في بابل وآشور وجدنا ضالتنا المنشودة وفي وادي الرافدين نقف على عزها ومجدها وفي الكوفة والبصرة وبغداد البلدان العربية الثلاث تتجلى كواكبها البهي ومنظرها الخلاب.

اضحى العراق منذ الازمنة المتوغلة في القدم مهبطاً لشعوب عديدة وعناصر مختلفة وبينها العنصر السامي الذي ساد في البلاد واسس الدول وعمر المدن وسن الشرائع. ومن هذا العنصر نشأ الشعب العربي، من سلالة ابراهيم الخليل، ابن بلاد الكلدان وربيب الفراتين. ظعن الخليل من اور الى حوران ونزل مصر وكان ما كان من امر اعقابه حتى ايام الجلاء. فجاء بهم نبوكدناصر الى بابل وبقوا فيها حتى اليوم.

ان تاريخ بني اسرائيل في العراق موضوع بحثنا في هذا الكتاب واذ كان هذا الشعب قد عاش في هذا المصر قروناً مع اجيال مختلفة من الناس ورأى دولاً نشأت وعظمت وتضاءلت ففي درس تاريخه

نجد شيئاً كثيراً من عمران الاقدمين وسياسة السالفين من الامم التي ارتادت العراق وانتجعت طيب منابته.

لقد بذلنا ما في وسعنا من البحث والتنقيب وتصفح الكتب والاسفار العديدة لنتمكن من معالجة تاريخ يهود العراق على اسلوب علمي. واصدار كتابنا حافلاً باخبار هذه الجماعة القديمة في العراق على توالي الازمان ومختلف القرون، جامعاً بين ضلوعه مرويات الاقدمين والمتأخرين عنها. فبلغنا الحمد لله معظم غايتنا. ومع ذلك بقي شيء غير نزر لمن اراد التبسط في هذا الموضوع والتوسع فيه.

وعلى كل فكتابنا هذا «نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق» هو الاول في بابه والفرد في جنسه ويبقى مرجعاً للذين يعالجون هذا الموضوع بعدنا.

توخينا في كتابة هذا التاريخ الحقيقة الناصعة وسردنا الاخبار بعد تدقيق النظر فيها وتمحيصها واسنادها الى مراجعها اذ لا غاية لنا من تأليفه الا خدمة العلم والتاريخ.

ولا يسعنا ان نضرب صفحاً عن شكر اصدقائنا الافاضل الذين

فتحوا لنا خزائن كتبهم للتنقيب . ونذكر بنوع خاص مؤازرة حضرة الاستاذ المفضال الاب انستاس الكرملي المحترم لنا اذ تلطف ووقف على مسودات طبعه وتصحيحها فنقدم الى حضرته جزيل شكرانا على هذا الاحسان .

وآخر امنية لنا ان ينتقد رجال العلم هذا الكتاب ويظهروا موضع الخلل منه تمحيصاً للحقيقة التي هي قبلة كل نفس تصبو الى العلم الحقيقي فان العصمة لله والكمال له وحده .

بغداد في ٢ كانون الثاني ١٩٢٤ المؤلف

ي . ر . غنيمة



التوراة والعراق

ان عدداً من الحوادث الخطيرة الوارد ذكرها في كتاب اليهود المقدس جرت في بلاد بابل وآثور وبين النهرين فرأيت ان البحث عن البقاع والمدن التي كانت ميداناً لتلك الحوادث لا يخلو من فائدة تاريخية وكتابية ولهذا اوردت في هذه العجالة ملخص آراء العلماء واقوال الاثريين الكتابيين في هذا الباب ولا انكر انه لا يمكن البت في بعض القضايا لتوغل اخبارها في القدم وتضارب علماء الكتاب في تعليلها وتفسيرها ولكني عولت على المرجح من الاراء اوما ظهر لي اصح من غيره واقرب الى الحقيقة .

١ً جنة عدن وانهارها

لقد اختلف العلماء في تعيين موقع الجنة المنوه بها في الفصل الثاني من كتاب التكوين كما انهم اختلفوا في الانهر الاربعة . ولكن المرجح من الاراء ان جنة عدن كانت في العراق ولم تقبل نظرية فريق من العلماء ومنهم دلمان (Dilmann) وروس (Reus) الذين فرضوا ان اسم عدن اسم رمزي اخترعه العبريون ويريدون به السرور . ان الذين فرضوا موقع عدن في العراق لم يتفقوا في تعيينه فالسر هنري رولنصن ذهب الى ان العامة حرفت كلمة كندوانس او كردونياس (وهو قطر مخصب كل الخصب يظن بوجوده قرب بابل او يظن بانه ملتصق بها) حتى افضى بها التحريف على توالي القرون الى كلمة عدن . وذهب العلامتان تيلي (Tiele) وونكلر (Winckler) الى انه كان في جنوبي بابل محاذياً لخليج فارس . اما البحاثة دلتش في كتابه Wo

(? lag das Paradies) فيرتئي ان جنة عدن كانت في سهل بابل في القسم الشمالي منه وكان يسقيه الفرات . ويوحد نهر فيشون والبالاكوباس (١) (وهو البالوكات عينه الوارد ذكره في الرقم) واما جيحون فهو نهر النيل عنده . ويرتئي ان هذين النهرين كانا عقيقين قبل ان يتخذهما البابليون لاعمال الري في عهدهم .

ان الرأي الذي يرجحه العلماء ويحلونه محل القبول هو مذهب المعلم سايس الذي يجعل جنة عدن في موقع مدينة اريدو وهي أبوشهرين الحالية (٢) . ويعتقد ان النهر الكبير الذي ورد ذكره في كتاب العبريين هو خليج فارس وكان يصب فيه اربعة أنهر وهي الفرات (٣) ودجلة و كرخا (Choaspes) والبالاكوباس هكذا ورد عن سايس في معلمة الكتاب المقدس الا ان السر وليم ويلكوكس في كتابه الانكليزي المعنون « من جنة عدن الى عبر الاردن » (٤) يذكر رأي المعلم سايس وفقاً لقول المعلمة في كل التفاصيل ما خلا البالاكوباس فيذكر عوضه

(١) يذهب رولنصن في كتاب الدول العظمى الى ان البالاكوباس هو نهر ابا معنى ومبنى.
(٢) أبوشهرين اطلال مدينة اريدو القديمة موقعها على بعد ١٢ ميلا في جنوب شرقي اطلال المقير وكانت مرصودة للاله انكي (ايا) وقد وصفتها الرقم الاثرية أنها واقعة على ساحل البحر وهذا مما يدل على ان خليج فارس كان يتقدم في البر . وقد نقب فيها تيلر في منتصف القرن الماضي . وفي ربيع سنه ١٩١٨ نقب فيها الكابتن كامبل تومسن وفي السنة التالية نبش كنوزها السترهول (٣) Encyclopaedia Biblica, By Cheyne and Black (٤) From the Garden of Eden to the Crossing of the Jordan.

نهر كارون . والسر ويلكوكس يذكر في الكتاب عينه ان الجنة المذكورة كانت للشمريين وفي هذه البقعة كانت شقة من الارض تعرف بعدن حسبما جاء مدوناً في الرقم الاثرية فنسبت اليها جنة عدن .

اما الاكديون فكانت جنتهم في الارض التي بين عانة وهيت (١) حيث القى هذا الجيل من الناس رحالهم عند هجرتهم وطنهم السامي ويظن أنهم كانوا من ارومة العرب والاسرائيليين وعليه كان فيشون يطلق على منخفض الحبانية وابي دبس وجيحون على نهر الهندية الحالي وعلى رأي ويلكوكس هو نهر شبر بعينه الوارد ذكره في سفر حزقيال ونهر اهوا الوارد ذكره في سفر عزرا والبالاكوباس الذي ركبه اسكندر الكبير وسمي نهر الكوفة في عهد العرب (٢) .

والنهر الثالث حداقل او دجلة وهو الساعد المعروف اليوم بنهر الصقلاوية وكان يصب في منخفض عقرقوف وتفيض المياه هناك وتصب في دجلة عند ابواب بغداد ومما لاريب فيه ان الصقلاوية كانت في غابر الزمان رأس دجلة وان سكان بابل نقلوا هذا الاسم الى بلاد آثور واطلقوه على نهرها . والنهر الرابع الفرات ولاحاجة الى الاسهاب في الكلام عنه .

مهما كان رأي السر ويلكوكس فلا نرى مندوحة عن الكلام عن الرافدين وينبوعيهما وعقيقيهما وتاريخهما لما لهما من العلاقة بخصب هذه الديار . فانهما ينبعثان

(١) هي مدينة ايس التي ذكرها هيرودوتس وفيها المغرة والكبريت وينابيع القار
(٢) في كلام المؤلف نظر . فجعله كل هذه الانهر واحدة ليس بثبت .

من عين واحدة في ارمينية من اسفل جبل قرب معادن سوان عرفه الاقدمون باسم نفاطس وسماه الاتراك « كلشن طاغ » ويسميه العرب اليوم جبل نمرود .

ومن العيون الكبيرة التي تصب في دجلة « اوج كول » . وعلى مسير يومين ونصف من آمد (ديار بكر) يصب فيه نهر عين دجلة . وعند ما يمر بديار بكر يصب فيه « بطمان صو » والارزن اودجلة الشرقية ثم الزاب . الزاب الاكبر والزاب الاصغر في ولاية الموصل . وقد عرفا هذان النهران عند الآثوريين بزابو ايلو وزابو شوبالو وعلى بعد تسعة كيلو متر وانت منحدر من بغداد يصب فيه نهر ديالى .

اما الفرات فبعد ان ينبجس من مصدره المذكور سابقاً يصب فيه قسم من مياه بحيرة صغيرة « كولجك » وتنحدر اليه مياه الامطار والثلجات من ضفتيه وينضم اليه نهر مراد وقبل ان يغادر الاصقاع الجبلية تصب فيه بعض الانهر التي تجتمع في قمة الخطة العظيمة التي يخطها في غربي سلسلة جبل طورس كالطوكمة صو (Melas) في أعالي جبل طورس ويصب فيه الساجور ونهر البليخ والخابور الذى يرد من طورعبدين .

لم يكن الرافدان في كل اعصر التاريخ على ما نشاهدهما اليوم بل كانا يسيران في بدء عهدنا الجيولوجي نحو خمس درجات في سهل متموج ثانوي التكوين . كان خصباً على عدوات النهرين وقريباً من عيون المياه وقفراً في ما سوى ذلك . وكان طرفه الجنوبي بمثابة شاطئ البحر . وكان النهران يصبان في خليج متوحل وهما بعيدان الواحد عن صاحبه نحو عشرين فرسخاً وكان مصبهما في خليج نار مارآتو (وهو خليج فارس

اليوم) يحده من الشرق آخر اسناد جبال ايران ومن الغرب هضاب الرمال التي تحد نجد بلاد العرب .

والقسم الاسفل من وادي الفراتين ارض حديثة النشوء بالنسبة الى غيرها مما يجاورها في الشمال وقد تكونت من تراكم غرين النهرين وسائر الانهر كعظيم وديالى وكرخا (Choaspes) وغيرها . ومما لامرية فيه ان في عهد هبوط الاقوام التي استعمرت هذه الديار كان خليج فارس يتقدم في البر نحو اربعين اوخمسة واربعين فرسخاً عما هو عليه الان . (١)

٢ً : الطوفان وجبل اراراط

ومن الحوادث العظيمة التي رواها سفر التكوين واسهب فيها حادثة الطوفان . وقد جاءت هذه الرواية مدونة في الرقم البابلية (٢) وكان يطلها

---

(١) راجع Maspero : Histoire des Peuples anciens de L'Orient.

(٢) ان علواء كلكامش التي عثر عليها العلماء مدونة في الرقم البابلية تسرد حكاية الطوفان وتنسب خلاص البشر الى اوتنابشتم وكان وطنه في شريباك وهي شروباك اكتشف الاريون موقعها حينما كانوا ينقبون في اتلال فارة ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣ . ولم ترد قصة الطوفان في علواء كلكامش وحدها بل ان بيزر (Peiser) نشر نصاً من نصوص اساطير بابل مع مصور البلاد في عهد الطوفان وفيه يشير الى جبل الفلاك في شمالي بابل . وقد عثر مؤخراً الاب شيل على رواية اخرى من روايات الطوفان في مجموعة صفائح في متحفة القسطنطينية .

سيتشم (١) وليس نوحاً كما جاء عند الاكديين اجداد الساميين . قد تضاربت آراء العلماء في الطوفان وفي تعيين مقر الفلك بعد ان أخربت المياه المعمورة واهلكت كل ذي نسمة. فمنهم من قال ان الطوفان كان عاماً شمل كل الارض وعززوا مذهبهم بالبراهين الثابتة والشواهد الساطعة (٢) ومنهم من ناقضهم وقال بان الطوفان كان محلياً في العراق فقط وهو من المشاهد الطبيعية التي تتكرر في هذا الاقليم فانه اشبه شيء بغرق يحدث من انبثاق اسداد دجلة والفرات وكثرة الامطار على حد مارواه التاريخ وشاهدناه عياناً في هذه البلاد . ويبنون رأيهم هذا على مبادئ طبيعية يقبلها العقل منها : ١ً : من اين تولدت المياه لتغطي الارض كلها حتى الجبال الشامخة ٢ً : ان ثقل المياه كان كافياً ليحدث اختلالاً في نظام جاذبية الافلاك العامة وان يفصل الارض عن هذا النظام ٣ً : اين زالت تلك المياه وكيف تبخرت ٤ً ان نص سفر التكوين لا يدل دلالة صريحة على ان الطوفان كان عاماً شاملاً المعمورة كلها : خمس عشرة ذراعاً في الارتفاع تعاظمت المياه فتغطت الجبال (تكوين ٧ : ٢٠) فهذا الارتفاع لم يكن كافياً ليغطي اي جبل كان من الجبال الشامخة او غيرها مما يطلق عليها

(١) قد اختلف في ضبط اسم هذا البطل البابلي فقد قيل فيه سيتشم واوتنابشتم وبرنبشتي وتسيتنابشتم (٢) ان المؤلف G: Frederick Wright في كتابه Scientific Confirmation of Old Testament History. خص بذكر الطوفان بحثاً مسهباً استغرق ٢٠٩ صفحات. فاورد البراهين الكثيرة والحجج الساطعة لاثبات طوفان نوح وشموله المعمور كله .

اسم جبل في عرف جغرافي هذا الزمان . هذا اذا كان الذراع المصطلح عليها في سفر التكوين تقارب احدى الاذرع المتخذة اليوم وحدة للقياس . ليست الغاية من هذه المقدمة لنثبت رأياً او ننقض آخر في الطوفان فان ذلك لا يدخل في بحثنا وانما تطرقنا اليه لعلاقته بعلوآء كلكامش البابلية ولسرد الاراء المختلفة في موقع جبال اراراط .

واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال اراراط (تك ٨: ٤) لم ترد لفظة اراراط في هذه الفقرة وحدها من العهد القديم بل وردت في آيات كثيرة (١) وفصول متفرقة ولكنها تشير هناك الى صقع من الاصقاع لا بل الى دولة من الدول . وقد جاءت في الرقم الآثورية اورارتي وتعاقبت ولفظة نايري بمعنى واحد. واللفظة الاخيرة سامية الاصل اطلقت على بلاد اورارتي عينها . وكانت هذه المملكة في متسع من الارض . وكانت الدولة الارمنية التي تألفت بعد ذلك داخل حدودها . ويظهر من الرقم المكتشفة في (وان) وغيرها من الاماكن ان حدود نايري كانت تمتد الى جنوبي ذلك الصقع حتى منشأ دجلة والفرات . اما اورارتي الاصلية فكانت في الشمال في سهل نهر الرس (٢) (Araxes) ولم تتوحد اللفظتان وتأتيا مترادفتين الا بين القرن التاسع والعاشر قبل المسيح لما استولى سكان اورارتي (٣) على الجنوب

(١) راجع ٢ الملوك ١٩: ١٧ واشعيا ٣٧: ٢٨ وطوبيا ١ : ٢١ : وارميا ٥١: ٢٧
(٢) نهر بارمينية بين موقان والبيلقان يصب في نهر الكر Cyrus . (٣) يجوز كتابتها اورارتي واورارطي واوراطو .

واتخذوا نابري مركزاً لحكمهم وصولتهم .

اما جبال اراراط التي هي مدار بحثنا فيقال انها في علوآء كلكامش جبل نسير او جبل قردو في بلاد نسير او نازير . وقد تضاربت الاراء وتشعبت الظنون في موقعه . فمنهم من قال بانه في بلاد مادي في شرقي الزاب الاسفل وفي جنوبي بحر قزوين وقد ارتأى نيقولا الدمشقي (Nicaulus Damascenus) انه جبل بارز وربما اشار الى جبل البرز اوحارة برزاني . الا ان المشهور من الاراء ان جبال اراراط واقعة في دولة اراراط الموصوفة قبيل هذا . التي فيها جبل شاهق له قمتان . الواحدة منها ترتفع ١٧٠٠٠ قدم عن البحر والاخرى ٤٠٠٠ قدم دون الاولى في العلو . ومن المأثور الشائع ان جبال اراراط كانت في بلاد قردو اوقردوشيا على ضفة دجلة اليسرى وكان مقر فلك نوح في جبل جودي في جنوب غربي (وان) وقد قالت العرب بهذا القول .

واحدث رأي ظهر في عالم التفسير رأي وليم ويلكوكس . فانه نفى المأثورات المشهورة ولم يسلم بواحد منها . وقد ذهب الى ان جبال اراراط لم تكن الا جبال رمل اوتلول تراب في ارض شنعار وقد اعتاد اهالي هذه البلاد تسميتها جبالا منذ الاعصر المتوغلة في القدم . وختم نظريته بقول بات لم يكن يجوز له القطع فيه اذ قال : ان اراراط لا يمكن ان يكون الجبل المعروف في بلاد الارمينية كما ان مدينة نيويورك ليست مدينة يورك .(١)

(١) بيروس الكاهن الكلداني ذكر حكاية الطوفان ودعا بطله كزيستروس وعند المجوس ان الطوفان وصل الى حلوان العراق فقط .

٣ . مملكة نمرود

تصفح الفصل العاشر من التكوين تر في العدد العاشر منه ما يأتي : « وكان ابتداء مملكته (نمرود) بابل وارك واكد وكلنة في ارض شنعار . » يظهر من هذا النص ان اول مملكة عرفها التاريخ في ارض شنعار كانت كوشية النجار لان نمرود كان ابن كوش . ويظن ارباب البحث ان نمرود هو كلكامش المذكور في العلوآء البابلية لاتفاق اوصاف الرجلين في التوراة وفي اساطير البابليين . قد التف حول هذا الجبار الكتابي احاديث خوارق واختلقت مخيلة الاقوام اقاصيص طرفاً . ولكن ماهي منزلته من التاريخ ؟ فان هذا الموضوع ملتقى الجدل والتخرص . والرأي الراجح عند علماء الكتاب انه رجل وهمي وليس مثل سائر اولاد كوش الذين يمثلون الشعوب . وعلى كل فان العبريين ارادوا به رجلاً عتيباً . وكان يسهل على المفسرين فك هذه المعضلة الكتابية لو كان نمرود متصفاً بالجبروت والعتو فقط بل ان التوراة تجمع فيه بين هذه الصفات وبين الادارة وتأسيس المدن . ويتسع المأثور في هذا الباب ويذهب الى ان سلطته ابتدأت في بابل فامتدت الى ارك واكد وكلنة في ارض شنعار ثم ذهب الى آثور واسس نينوى ورحوبوت عير وكالح وراسن .

قد حاول رهط من العلماء (١) توحيد نمرود ومردوخ اله بابل . وقالوا ان الاول تصحيف عبري للاسم الثاني . اما الفرس فقالوا ان نمرود تأله وتحول الى برج الجبار وعليه قال بعض المحدثين انه بطل من ابطال النظام الشمسي وليس من

(١) وهم سايس (Sayce) وكريفل (Grivel) وولهوسن (Wellhausen)

ملوك الاساطير . وقد جاء في روايات العرب انه التى الخليل في النار (١)
وجاء في ما توراة اليهود انه بنى برج بابل .

لندع هذا الجبار بسلام وندع الحكم في تاريخه وصحة وجوده او وهمه الى من
هم اقدر منا في هذه الابحاث ولنعد الى جغرافية المدن المنسوبة اليه .

بابل : لا يعلم تاريخ بناء هذه المدينة . ومعنى اسمها باب الاله او باب الآلهة (٢) كانت راكبة ضفتي الفرات وكان يسمى الجانب الواحد منها دينتيرا (محل شجرة الحياة) والجانب الاخر كادنكيرا (باب الله) والاسم الاخير شمري او اكدي وهو ترجمة لفظة بابل السامية . (٢) ومن اسمائها (اي) او (ايكي) وهناك اسماء اخرى اطلقت في الرقم على بابل مثل شوپانم وليتامو وشوانا . ويرتئي العلماء ان هذه الاسماء كلها كانت لارباض او احياء او مزارع ضمت الى بابل فاطلقت عليها اسماؤها .

وقد عبرت هذه المدينة ادواراً خطيرة منذ تأسيسها حتى خرابها وتناوب عليها السعد والبؤس فكانت في اول نشأتها مدينة خاملة من مدن شنعار ولم يرد ذكرها الا عرضاً في مطاوي تاريخ الملوك وغزواتهم . وقد كان فيها معبدان شهيران متوغل تاريخهما في القدم وهما اسا كيلا اي « معبد الراس الشامخ » والآخر ازيدا اي « معبد الحياة » . وقد كانا موضوع اهتمام الملوك ومطمع الغزاة والفاتحين .

---

(١) راجع الطبري (٢) باب ايلو او باب ايلينو (٣) ولم يفسر علماء اليهود اسم بابل بالبلبلة الا بعد عهدها الاول اذ فعل « بلال » في اللغة العبرية بمعنى بلبل او خلط . وقد جاء في كتاب التلمود تفسيرها بهذا المعنى عن الربان يوحنان .

ولم تصبح بابل عاصمة البلاد واطلق اسمها على المملكة كلها الا في عهد السلالة الامورية في نحو سنة الالف الثاني قبل المسيح . وقيل ان مؤسس هذه الدولة سموابوم هو الذي اقام عرشه فيها وقيل حوربي الشهير . ولم يحدث هذا الامر عفواً ولم ترتق بابل الى مصاف الحواضر بدون سبب غير ان التاريخ ساكت عن هذه المسئلة او الاحرى بنا ان نقول ان معلوماتنا قاصرة في هذا الباب ولعل الاكتشافات المستقبلة توقفنا على ما نجهله اليوم.

وبين الملوك الذين شادوا فيها ابنية واسواراً وهياكل نذكر سمو لا ايلو وحفيده ابلسين وحوربي (١) وابنه شمشوالونا . وفي حوالي سنة ٨٩٢ قبل المسيح اجتاحها توكولتي نينيب ملك آشور وقتل سكانها وغنم كنوزاً كثيرة حملها معه الى آشور وبينها مقتنيات هيكل اسا كيلا العظيم . وفاق سنحاريب جده في تدميرها وتخريبها . فنقض هياكلها وهدم اسوارها وقصورها والقى انقاضها في النهر فطمت مياهه واغرقت المدينة باجمها . الا ان اسرحدون استأنف عمارتها وشاد هياكلها على طرز فخم حتى فاقت عظمتها الاولى وتفنن كل من شمشو اوكين وآسور بانيبال في تنميقها وتزيينها . وزاد نبوبولاصر بعدهما في تجميلها . وكان نبوكدراصر هو ذلك الرجل الذي ولدته العصور ليأخذ بها الى قمة العز والمجد ويخرجها من ايدي الرزاة طرفة من طرف الصناعة يضرب بها المثل ويترنم بوصفها في كل قطر . وقد استعان

---

(١) قال العلماء الكتابيون بان حوربي هو امرا فل ملك شنعار الذي ذكره الكتاب المقدس في سفر التكوين ١٤ : ١

بأسرى اليهود والآثوريين والمصريين والسوريين وغيرهم للقيام بهذه الاعمال وعاش اهلها في ترف بالغ وبذخ عظيم واشار الى كل ذلك أنبياء بني اسرائيل في اسفارهم فهذا اشعيا يلقب بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين (١٢ : ١٩) وفي الفصل السابع والاربعين يقول عن ابنة بابل ناعمة ومترفهة وسيدة الممالك . وجاء في سفر دانيال نقلاً عن لسان الملك نبوخذ نصر (١) (٤ : ٣٠) اليست هذه بابل العظيمة التي بنيتها لبيت الملك بقوة اقتداري ولجلال مجدي . وقد جاء مكتوباً على انبوبتين اسطوانيتي الشكل دخلتا في ملك المتحفة البريطانية سنة ١٨٧٨ كل الاعمال التي قام بها الملك نبوكدنصر العظيم في عاصمة دولته (٢) . وهي جديرة بان تجعل بابل عروس الفرات .

وقد اتخذ كورش بابل حاضرة بلاده الواسعة الارجاء وجاء اليه الملوك والامراء من كل الاقطار وقدموا اليه الهدايا والجزية. ولم يبتدئ انحطاط دار الكلدانيين وزوال مجدها الا حينما حاصرها الملك دارا هشتسب (٥٢١ ـ ٤٨٥ ق م) وخرب اسوارها . ويظهر ان بعض المعابد بقيت عامرة ويقوم سدنتها بخدمها الدينية حتى سنة ٢٩ ق م .

قد اختلف المؤرخون القدماء في مساحة هذه المدينة كل اختلاف فقد جاء في كتاب هيرودوتس (١ : ١٧٨ و١٧٩) انها كانت مربعة وكان كل طرف منها ١٢٠ استادة

---

(١) هو نبوكدراصر عينه (٢) E. W. Budge : Babylonian Life and History 19

وعليه فقد كان محيطها ٤٨٠ استادة (٥٥ ميلاً وربع الميل) وكان يحيط بها خندق يجري فيه ماء ووراءه سور عظيم ارتفاعه ٢٠٠ ذراع وعرضه ٥٠ ذراعاً . واما ديودورس فقد نقل عن كتسياس أحد معاصري هيرودوتس ان محيطها كان ٣٦٠ استادة . وقد جاء في كتاب استرابون انه كان ٣٨٥ وقال غيرهم غير ذلك .

ومن الغريب ان موقع اطلال هذه المدينة ودوارسها بقي عهداً من الزمان مجهولا فالتاث الامر على السياح وذهبوا في بقاياها كل مذهب . بيد ان بنيامين التطيلي وبتر ودلا فاله وصفاها وصفاً دقيقاً . وقد بدأ بالتنقيب في تلك الاطلال القنصل العام الانكليزي ريج Mr. Rich سنة ١٨١١ وبعد اربعين سنة ١٨٥١ حفر فيها لايرد وبحث عن دفائنها وبين تلك السنة وسنة ١٨٥٤ تعمق اوبرت في درس بقايا المدينة العظيمة وتبعهم رولنصن ١٨٥٤ وهورمزد رسام من ١٨٧٨ الى سنة ١٨٨١ الا ان التنقيب المنظم والبحث المستقصى لم يبتدئا الا في سنة ١٨٩٩ وقد قامت بهذا الامر العلمي البعثة الالمانية برئاسة الدكتور كالدواي . وقد نشر هذا العلامة الالماني سنة ١٩١٣ كتابا ضمنه فذلكة اعماله وقد ترجم هذا السفر الجليل الى الانكليزية سنة ١٩١٤ . فنقتطف من الترجمة فذلكة موجزة غاية الايجاز فنقول :

وجد الدكتور كالدواي عرض اسوار بابل يتراوح بين ١٧ و ٢٢ متراً . ولم يتجاوز في غيرها من المدن القديمة ٧ امتار . وان ارتفاع تلول التراب يتراوح في بابل بين ١٢ و ٢٤ متراً واما سائر المدن المندثرة في العالم لا تعلوها هضبة يفوق

ارتفاعها سبعة امتار . وقد كانت فاتحة اعماله في ٢٦ آذار سنة ١٨٩٩ في الوجهة الشرقية من القصر الى شمالي باب اشتر . وفي ختام تلك السنة اكتشف على جادة طواف الاله مردوخ وبلغ به الحفر الى زاوية الجنوب الشرقية من الحصن الرئيسي وفتح حفرةً عريضة على طول الجهة الشمالية من ذلك الحصن . وفي سنة ١٩٠٠ حفر هيكل الالهة نيماخ واكتشف موقع اساكيلا في وسط تل عمران وداوم التنقيب حتى ظهرت له غرفة العرش في الوجهة الجنوبية الشرقية من الحصن الجنوبي واعالي جادة الطواف وفي سنة ١٩٠١ حفر على طول خط التلول الممتدة بين القصر والصحن وتفقد البناء القائم في غربي القصر ونقب في هيكل ننيب . وفي سنة ١٩٠٢ حفر باب اشتر وهيكلاً مجهولاً وقام باعمال تغطية في بورسيبا وفارا . وفي سنة ١٩٠٣ اكتشف في الزاوية الشمالية الشرقية من الحصن على بناء معقود يظن انه من بقايا الجنان المعلقة وفي سنة ١٩٠٤ اهتم بتلول حميرة والمسرح اليوناني وبدأ بكشف سور المدينة الداخلي وتقدم بالتنقيب الى الوجهة الغربية من الحصن الجنوبي والقسم الشرقي من قصر نبوبولصر وفي سنة ١٩٠٥ فتح قسماً من السور الداخلي واستطاع سور سرجون ومبدأ سور آراشتو . واهم ما وقف عليه سنة ١٩٠٦ سور الخندق المنسوب الى امكور بل والبناء الفارسي ومما اكتشف عليه سنة ١٩٠٧ جداران حيال هيكل الاله نيماخ . وبدأ بالحفر في المركز . وكانت الاشغال الرئيسية سنة ١٩٠٨ في المركز وافضى به التنقيب الى الوقوف على اقدم طبقة عرفت حتى اليوم ترتقي الى عهد ملوك بابل الاولين . وبدأ بفتح الصحن في

برج بابل ودام هذا العمل الثانوي حتى سنة ١٩١١ وعثر على سوري اراشتو ونبو ناهيد في الجادة الواقعة في غربي الصحن . وكانت اعماله سنة ١٩٠٩ في القصر اذ عثر النقابون على طبقة واسعة النطاق متصلة العمران ترتقي الى زمن نبوكدر اصر . واكتشفوا سنة ١٩١٠ على جسر الحجر الذي كان يوصل جانبي الفرات وهيكل اشتر اكد في المركز واكتشفوا في سنتي ١٩١١ و ١٩١٢ غير ذلك (١)

ان مدينة ارك المنسوب بناؤها الى نمرود هي اطلال الوركاء (وركه) الموجودة حتى اليوم في العراق وكان البابليون يسمونها اوروك . وبقايا اطلالها تغطي بقعة من الارض تتجاوز مساحتها ٢٥٠٠ في ٣٠٠٠ يرد واقعة في بعد ٤٠ او ٤٥ ميلاً في شمال غربي الناصرية وقد اكتشف فيها لوفتس في منتصف القرن الماضي هيكل الالهة نني او اشتر الهة الحب ويرتقي تاريخ هذا الهيكل الى ما قبل سنة ٢٤٠٠ ق م . (٢) وكانت في ايام عزها من المدن المقدسة عند البابليين وفيها هياكل قديمة ومدرسة للكهنة

وكانت ثالثة المدن اكد . ظن بعض العلماء ان موقعها كان في شمالي بابل حيث

---

(١) The Excavations at Babylon by R. Koldewey trans. A. S. Jhons page, V1 - V111.

(٢) History and Antiquitees of Mesopotamia R. C. Thomson 67.

استقر الاكديون بعد هجرتهم من موطنهم وحازت شهرة بعيدة في عهد الملك سرجون الاول حوالي سنة ٣٨٠٠ ق م وقد ساقهم الى هذا الظن تشابه الاسمين (١) ويظن كذلك انه موقعها كان قرب سبارا او « ابوحبة» الحالية في ضواحي قرية المحمودية (٢)

اما مدينة كلنة فقد فرض رولنصن انها نبور معتمداً على نص من التلمود . وجعلها واحدة مع كلنو الوارد ذكرها في اشعيا (١٠:٩) (٣) الا ان علماء الآثار رفضوا هذا التعليل . وقد ذهب غيره الى انها طيسفون وآخر الاقوال انها زاريلاب المدون اسمها في الرقم الاثرية ولا يعرف موقعها حتى اليوم (٤)

ان المدن التي جاء وصفها آنفاً كانت واقعة في ارض شنعار (تكوين ١٠ : ١٠) فعلى اي بقعة يطلق الكتاب المقدس اسم شنعار يا ترى ؟ قد جاءت هذه اللفظة سبع مرات في العهد القديم في سفر التكوين ١٠ : ١٠ و ١١:٢ و ١٤:٩ وفي سفر يشوع ٢١:٧ وفي سفر اشعيا ١١:١١ وفي دانيـال ١ : ٢ وفي زكريا ٥ : ١١ ووردت في رسائل تل العمارنة مرة واحدة . وقد ورد مراراً ذكر ملك سنكرة في الكتابات الاثرية المصرية . فيرتئي اد . ماير في كتابه المعنون Aegyptica ان شنعار وسنكرة صورتان لترجمة « كردنياش » الاسم الذي كان يطلقه الكوشيون

Encyclopaedia Biblica. Cheyne and Black P. 31-32 (١)

King: Summer and Accad P 37 (٢)

Rawlinson : The Great Five Monarchies 1:20 (٣)

Encyclopaedia Biblica Cheyne and Black P. 632 (٤)

على بابل . وان كان وجه لقبول هذا الرأي الا ان علماء الكتاب لا يسلمون به تسليماً باتاً (١) وكان المفسرون يقولون بان لفظ « شنعار » مؤلف من حرفين عبريين « شنا » ومعناه اثنان و (آر) او (نهر) وان الحرف آر من اصل اشكوزي Scythic او كوشي بابلي .

جاء في كتاب بلينيوس Pliny) Ar Malchar آر ملكار وفي تآليف ابيدانس Abydenus ار ماكلس وكلاهما يعني نهر الملك (٢) فيكون مفاد شنعار « ارض النهرين » وقصارى القول ان المفسرين قد اختلفوا في تأويل شنعار ولم يتوصلوا الى تعيين موقعه تعييناً مدققاً وان غلب القول على انه ارض بابل .

بعد ان جاء الكتاب المقدس بذكر المدن الاربع التي في ارض شنعار انتقل الى بلاد اشور واورد اسماء اربع مدن أخرى ونسب بناءها الى اشور فقال « من تلك الارض خرج اشور وبنى نينوى ورحوبوت عير وكالح . ورسن بين نينوى وكالح. هي المدينة الكبيرة تكوين ١٠ : ١١ و ١٢

نينوى : اذا وقفت في مدينة الموصل على عدوة دجلة اليمنى ونظرت الى عدوته اليسرى تراءت لك اطلال « نبي يونس » « وقوينجق » في آثار تلك المدينة الاشورية العظيمة وبقايا البلدة التي ارسل اليها الرب يونان (يونس) ليعظ في اهلها ويدعوهم الى التوبة . وكانت مسيرة ثلاثة ايام (يو ٣ : ٣) وفيها اكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم (يو ٤ : ١١) .

Encyclopaedi Biblica P 44 77 (١)

Rawlinson The Five Great Monarchies 1. 2 note 2 (٢)

لم يتفق المفسرون وعلماء الآثار على معنى نينوى ومصدر اشتقاق هذه الكلمة. فقال بعضهم انها مؤلفة من حرفين معناهما « بيت الحوت » وارتأى آخرون ان هذا الحرف ليس بسامي بل انه مشتق من ني ـ نا ـ آ وقد فسره دلتش « مثوى الراحة » وقال فريق ان الحرف نينوى مشتق من نين يا . ومعناه « سيدتي » .

ان تاريخ نينوى يختلط بتاريخ آثور اختلاط الراح بالماء . لا بل ان معظم معلوماتنا عن مملكة آثور اتانا من الوثائق التي عثر عليها في قصر اسوربنيبل في نينوى. وقد اراد بنينوى غير واحد من المؤرخين المتأخرين ومنهم كتسياس وديودورس الصقلي صقع آثور الواقع بين الانهر الاربعة مع ان البينات التاريخية تويد ان كالح لم تخضع لنينوى منذ عهد سرجون Sargon حتى سقوط هذه المدينة بل ان كل مدينة كان يحكمها وال (واسمه في الآثورية شكنو) وان اسم نينوى يأتي في جدول المدن بعد كالح .

ان آية الكتاب المقدس تدل على ان مدينة اشور « وهي اليوم اطلال شرقاط » (١)

(١) اوقلعة شرقاط اوشرقات او شركات ويسميها الترك طوپراق قلعه . وعرفها النصارى الكلدان والسريان بشهركرد او شهرقرد او شهرقرت وكانت احدى اسقفياتهم وتبعد ٤٠ ميلاً عن مصب الزاب الكبير و٥٠ ميلاً عن اطلال نمرود و٥٧ ميلاً عن الموصل وهي واقعة على عدوة دجلة الغربية . واول من اظهر خطورة هذه الاطلال في القرن الماضي المستر ريج . وزارها لايرد في سنة ١٨٤٥ ووجد فيها

كانت موجودة لما بنيت مدينة نينوى . ولكنا لانتمكن من معرفة تاريخ بنائها بل هناك ظلمات تاريخية تمنعنا من الوقوف على هذه الحقيقة المنشودة . حتى ان بعض العلماء يقدمون تاريخ بنائها على مدينة اشور نفسها . وقد استولى عليها غير واحد من ملوك بابل في ازمنة متوغلة في القدم ووسعها وحسنها وسمى نفسه « مؤسس نينوى » . وشيد غيرهم الهياكل فيها بين سنة ٣٠٠٠ و ٢٥٠٠ قبل المسيح ومنهم جوديا ودونكي . وفي حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح ذكر حموربي انه عمل في تنظيم « ني ـ نو ـ آ كي » هكذا ورد اسمها في مقدمة شرائع حموربي. وفي القرن الخامس عشر قبل المسيح اعربت الالهة اشتر نينوى عن رغبتها في الرحيل الى مصر التي احبتها فبعث توشراتي ملك ميتاني تمثالاً من تماثيلها الى امنحتب الثالث وجدد شلمناصر الاول هيكلها في نينوى حوالي الالف الثالث عشر قبل

بعض الآثار القديمة . ونقب رسام بمشارفة رولنصن وعثر على ثلاث اسطوانات من عهد تغلتبلاصر الاول نحو ١١٠٠ سنة ق م وفيها ذكر تجديد بناء هيكل انو ورمان قام به شمشي رمان نحو سنة ١٨٢٠ ق . م . وعرف من هذه الكتابة ان اطلال شرقات هي بقايا مدينة آثور اقدم عاصمة لمملكة الآثوريين . وقد جاء ذكرها في مقدمة شرائع حموربي مع نينوى وقال عنها في ذلك العهد انها قديمتان كل القدم . وقد دلت التنقيبات التي قام بها الالمان بين سنة ١٩٠٣ و ١٩١٤ ان سكان آثور القدماء لم يكونوا ساميين بل شمريين اوعلى رأي بعضهم حثيين فان تحقق ذلك يكون في آثور مدينة تاريخها منذ ٣٥٠٠ سنة ق . م او ما فوق ذلك .

المسيح . وفي القرن الحادي عشر اتخذ اشور بل كالا ابن تغلتبلاصر الاول نينوى عاصمة ملكه .

وفي القرن السابع ق . م شاد فيها سنحاريب ابنية فخمة وواسعة وحصنها باسوار منيعة . وكان محيط المدينة عندما تبوأ عرش الملك ٩٣٠٠ ذراعاً فاضاف اليها ١٢٥١٥ ذراعاً فبلغ محيطها ٢١٨١٥ ذراعاً . وجعل لها في سورها خمسة عشر باباً . سبعة ابواب في الجنوب والشرق وثلاثة في الشمال وخمسة في الغرب . وحسن مجاري المياه فيها فبنى حوضاً قرب العيون الواقعة الى الجنوب الشرقي منها واسال المياه الى المدينة بقنوات . وكرى نهراً وشعبه لري جنانه وحدائقه . وانشأ في قسم من المدينة حديقة غناء . فيها من كل فاكهة زوجان وغرس فيها انواع الشجر . والثمر التي أتى بها من الاصقاع المختلفة وبينها كان القطن . وجعل فيها انواع الحيوان ومنها الخنازير البرية . وكانت الاشجار مأوى لانواع الطير والمياه مسرحاً لمختلف اجناس طير الماء .

وأتى من الممالك المختلفة بانواع الغنائم فزين بها تلك المدينة التي اضحت عاصمة جميلة تجمع بين جدرانها نفائس الصنائع وبدائع الآثار وشامخ الحضارة وحافظ على تلك الحضارة وزهو المدينة كل من ابنه اسرحدون وحفيده آسور بنيبل . لا بل زادا على آثارها آثاراً .

لا يعرف شيء كثير عن نينوى بعد وفاة اسور بنيبل بل يظهر ان ابنيه آسوراتيل الاني وسنشار اشكون (وهو الذي يسميه اليونان ساراكوس Sarakos) كانا خائري القوى مفلولي العزيمة فطمعت فيها الدول المجاورة لاشور واخذ ظل مجد

دولتها يتقلص رويداً رويداً الى ان زال . وكان سقوط نينوى بين سنة ٦٠٨ و٦٠٦ ق . م . بيد انه ليس لدينا معلومات وافية عن خراب نينوى وسقوط بناياتها واندثار قصورها . ولابد ان النار والغرق كانا عاملين عظيمين في زوال مجدها . فان آثار النار ظاهرة في بقايا غرف قصر آسور بنيبل . ويؤيد هذا القول ما جاء في تاريخ اوسابيوس نقلاً عن آبدينوس ان سنشار اشكون آخر ملوك آثور حبس نفسه مع حرمه في قصره وشعله فاتوا حرقاً . وجاءت الامطار فقوضت ما كان قد ابقته النار وزادت في الطين بلة مياه دجلة والخوسر . وقد قال ناحوم النبي منذر ابذلك (٢ : ٦ و٨) ابواب الانهار انفتحت والقصر قد ذاب .. ونينوى كبركة ماء منذ كانت ولكنهم الان هاربون . وقد جاء في الفصل الثالث من السفر عينه في الآيتين ١٨ و١٩ نعست رعاتك ياملك اشور اضطجعت عظماؤك تشتت شعبك على الجبال ولا من يجمع (١٩) ليس جبر لانكسارك . جرحك عديم الشفاء كل الذين يسمعون خبرك يصفقون بايديهم عليك لانه على من لم يمر شرك على الدوام ؟

اذا انطوى بساط مجد نينوى فذكرها لم ينطو من الاذهان ولم تنس الاجيال التي توالت على الارض موقع هذه المدينة العظيمة مركز التجارة ومورد الغنى . فهذا اميانوس (Ammianus) الذي مات قبيل سنة ٤٠٠ ق . م يقول عن نينوى انها مدينة عظيمة من قطر حدياب (١٨ : ٧) وقد ذهب بعض العلماء الى ان قوله هذا يدل على الموصل . ومهما كانت الحالة فذكره نينوى دليل باهر على ان اسم هذه المدينة يتردد في خاطره . وان الكتبة السريان النصارى من شرقيين

(كلدان ونساطرة) وغربيين (سريان ويعاقبة) عرفوا موقع هذه المدينة . وكان للنساطرة اسقفية نينوى . ولم يغفل كتبة العرب عن ذكرها كالمسعودي وابن حوقل والمقدسي وابي الفداء وابن بطوطة والبلاذري وذكرها السياح الاوربيون الذين زاروا هذا القطر منذ نزله بنيامين التطيلي (١١٧٣ م) . الا ان اول من درس اطلال هذه المدينة من العلماء المحدثين درساً منظماً المستر ريج (E. J. Rich) قنصل بريطانية في بغداد وذلك في اثناء رحلاته الاربع الى الموصل بين سنة ١٨٠٨ و ١٨٢٠ ونبهت ابحاث ريج الحكومة الفرنسية الى الحفر والتنقيب في تلك الاطلال فعهدت بالأمر الى قنصلها المسيو بوتا Botta في سنة ١٨٤١—٢ . وعقبه في التنقيب السر هنري لايرد Sir H. Layard مرتين (١٨٤٥—٤٧ و ١٨٤٩—٥١) ثم توالى النبش في اطلال نينوى وقام به سنة ١٨٥٤ المستر هورمزد رسام (وهو موصلي الوطن كلداني الطائفة) ثم جورج سميث G. Smith ١٨٧٣—٧٦ ورسام مرة ثانية الى سنة ١٨٨٢ . وكان معظم التنقيب في تل قوينجق للعقبات القائمة في حفر تل نبي يونس اذ يعتقد الاهلون ان هناك مدفن النبي يونان والارض مقدسة لا تمس . ومع ذلك فقد وجد من نفائس العاديات في اطلال نبي يونس ما لا يستهان به .

الى هنا اقف في البحث عن نينوى . ومن اراد التوسع في تاريخ هذه المدينة العظيمة فعليه بمراجعة المصادر التي اعتمدت عليها في كتابة هذه الاسطر (١)

(١) Encyclopaedia Biblica by Cheyne and Black Nineveh
Encyclopédie Biblique. Vigoureux Article Ninive

(رحوبوت عير) هذه المدينة الثانية من مدن اشور الوارد ذكرها في كتاب التكوين على ما مر بك . لم يتوصل العلماء حتى اليوم الى تعيين موقعها وباتت هذه المشكلة في غياهب المبهمات وغاية ما في الامر انهم وجدوا ذكر مدينة ربيت نينا في رقيمي سرجون واسرحدون وارض كانت فيها مدينة ماجانوبا القديمة وعلى اسسها اقام الملك سرجون مدينة دور شركينا وهي اطلال خورسا باد الحالية (١) ومن ظنيات المؤرخين المبنية على الاحتمال ان رحوبوت عير تمثل ربيت آلي Rebit Ali وهذه توازي لفظ ربيت نينا وهو اسم كان تطلقه العامة على مدينة دور شركينا .

فلفظ ريبتو يعني في الاصل الرحبة او الربض والارض التي هي في خارج اسوار المدينة او الحقول والمزارع . وقد ورد هذا اللفظ مراراً في الرقم الآشورية ومنها ان سرجون قهر في اول حكمه حنبانيجاش ملك عيلام في ربيت دور ايلي . ودخل

By Nile and Tigris by W. Budge vol 11 : 1-29.
Niniveh and its Remains by sir H. Layard.
Perrot and Chipiez. Art in Chaldea and Assyria.
Maspero, histoire des peuples anciens de l' Orient.

(١) دور شركينا (او جدار شركينا) مدينة بناها الملك شركينا (سرجون) الذي تبوأ عرش آشور بين ٧٢٢ و ٧٠٥ ق م . ونقل اليها بلاطه . وكان ميل ملوك آشور ان ينقلوا عاصمة بلادهم الى الشمال متباين دجلة . وموقعها في قرية خورسا باد الحالية في شمال شرقي نينوى . وقد اكتشف اطلالها المسيو بوتا الفرنسي في منتصف القرن الماضي .

اسرحدون دخول ظافر ربيت نينوى بعد ان استولى على صيدا . وكثيراً ما ورد هذا اللفظ مضافاً الى اسم مالكه فيقال ربيت رماني ايلواي رحبة اورباض رماني ايلو . فاذا كان هذا الحال في رحوبوت فلم يقف العلماء على مدينة منسوبة الى رجل اسمه عير(١).

— كالح — هذه المدينة الثالثة التي ذكرها الكتاب المقدس في اشور وقد وصفها اشور ناصر بل في ايام عزها ونسبها الى شلمناصر الاول وقال انها كانت عاصمته . وقد اثبت لايرد ورسام وجورج سميث في حفرياتهم انها في اطلال نمرود واقعة على بعد عشرين ميلاً الى جنوبي تل قوينجق . وهي في لسان من الارض بين دجلة في الغرب واعالي الزاب في الشرق وتحصنها في شمالها التلول وجدار شمالي وفيها على اقل تقدير ٥٨ برجاً . وكانت المدينة منيعة ويسيل اليها الماء بقنوات من الزاب الاعلى وفيها الحدائق والجنان . وكانت تقوم على سطحها المشيد من اللبن المغطى بالصخر تلك القصور التي شيدها اوجدد بناءها كل من شلمناصر الاول نحو ١٣٠٠ ق . م واشور ناصر بل وشلمناصر الثاني وتغلتبلاصر الثالث وسرجون واسرحدون واشور اتيل ايلاني . وكانت مقر البلاط الملكي على عهد هؤلاء الملوك الا ان اسمها لم يرد في الجداول الرسمية اولاً . وكان عدد سكانها دون سكان نينوى بل دون سكان اشور . وقد تلافى هذا النقص اشور ناصر بل واسكن فيها الاسرى بعد ان جدد بناءها .

ويظن انه كان في كالح كما في سائر مدن آشور وبابل سجلات رسمية ومجموعات

(١) Encyclopaedia Biblica by Cheyne and Black

ادبية للملوك . وقد عثر على صفائح في اطلال نمرود استنتج منها ان سنحاريب نقل خزانة كالح الى نينوى . (١)

— راسن — هذه آخر المدن الاربع الاشورية التي وازى بها الكتاب المقدس المدن الاربع البابلية. وحدد موقعها بين نينوى وكالح وقال عنها انها المدينة الكبيرة. وقد ذهب بعض العلماء الى ان بقاياها اطلال السلامية . وقال بوشارت ونالدكه اخيراً انها لارسا التي ذكرها زينفون . ولم يعرف موقعها وان جعلها فردريك دلج واطلال نمرود واحدة ولم يعثر الباحثون في الرقم التي نشرت الى اليوم على مدينة بهذا الاسم ولها خطورة تضاهي الخطورة التي يسندها الكتاب اليها . وغاية ما جاء في وصف بافيان لسنحاريب اسم رارا اشعيني (ريش عيني) اي رأس العين وهي مدينة يظهر انها كانت قريبة من نينوى وليس ما يدل على قدم عمارتها . وربما يقف العلماء على هذه المدينة ان حفرت هذه الديار باجمعها .

ومما يحير الاذهان ان من المدن الاربع الاشورية مدينتين وهما : رحوبوت عير وراسن لم يتمكن العلماء من تعيين موقعيهما . فهل هناك يا ترى تصحيف في الاسمين او ان موقعيهما ليس في اشور . هذا ما ندع الحكم فيه الى العلماء الكتابيين المتوغلين في هذه المباحث المتضلعين من لغة التوراة (٢)

(١) راجع Encyclopaedia Biblica By Cheyne and Black
و Layard : Niniveh and its Remains
و Detionnaire de. la Bible F. Vigouroux
(٢) Dictionnaire de. la Bible : F. Vigoureux.

ـ برج بابل ـ ان القسم الاول (من العدد الواحد الى العدد التاسع) من الاصحاح الحادي عشر من سفر التكوين مرصود لرواية بناء بابل وبرجها وتبلبل الالسنة. اما مدينة بابل فقد مر الكلام عنها في مطاوي بحثنا عن المدن الاربع التي بناها نمرود في ارض شنعار. واول امر يستوقف انظارنا وصف مواد البناء عند البابليين: وقال بعضهم لبعض هلم نصنع لنا لبناً ونشوه شياً. فكان لهم اللبن مكان الحجر وكان لهم الحمر مكان الطين (تكوين ١١ : ٤). ارض بابل متكونة من غرين النهرين حيث لاصخور ولا احجار طبيعية فالحاجة اضطرت السكان الاولين الى عجن التراب وصنع اللبن منه وشيه. واتخاذه آجراً للبناء. الامر الذي نشاهده اليوم في العراق بعد مرور آلاف من السنوات على رواية التوراة. كما ان الابنية البابلية مشيدة اما باللبن واما بالآجر الا ما شذ منها وقليل ذلك الشذوذ.

اما اتخاذ الحمر في الابنية فقد شاهد النقابون ان كثيراً من ابنية بابل الفخمة وابراجها الشاهقة وحصونها المنيعة واسوارها الضخمة قد بنيت بالحمر عوض النورة او الجص. وللحمر ينابيع في هيت وضواحيها وقد ذكر نقله الى بابل هيرودوتس. وكان ينقل على ظهر الحيوانات او في النهر ويتخذ للغاية التي ذكرها الكتاب المقدس.

وقد آن لنا ان نتكلم عن برج بابل ذلك البرج الذي سارت في ذكره الركبان، وتحدثت به الاجيال، وتناقلت اخباره الرواة. وقد اثبت العلماء مؤخراً انه لم يكن الا برجاً من الابراج التي ارصدها البابليون لعبادة النجوم واقاموا لهم في كل بلد من

بلادهم واحداً منها واطلقوا عليها اسم الزقورة.

وقد اختلف السياح والعلماء في تعيين موضع برج بابل كل مختلف وذهبوا مذاهب شتى في امره. فهذا بنيامين التطيلي الذي زار العراق في النصف الاخير من القرن الثاني عشر قال انه برز نمرود وقوله هذا جاء وفقاً لما جاء في المدراش. والسياح الذين هبطوا بابل في القرن السادس عشر والقرن السابع ذهبوا الى ان اطلال عقرقوف (١) هي بقايا البرج المنوه به. وقال بترو دلا فاله الذي سكن بغداد في القرن الثامن عشر ان برج بابل هو الاطلال التي تشاهد في بابل وقد اثبت بعده رسام على انها بقايا الجنان المعلقة ولم يأت القرن التاسع عشر حتى بعثت نظرية برز نمرود من رمسها وايدها ريج Rich وكر بورتر وتبعهما معظم العلماء مستندين على رقم نبوكدراصر الذي وجد في بورسيبا. ان اطلال البرز في الحقيقة ماهي الا بقايا هيكل الاله نبو في بورسيبا وكان تسمى في عهد اشوربانيبل (٦٢٦ — ٦٦٨ ق.م) بابل الثانية. وان برج بورسيبا ليس هو برج بابل. فان ذلك المقام كان على عدوة الفرات الغربية وقد اختلف العلماء في تقدير بعد بورسيبا عن بابل ولكن لايقل على كل حال عن ثمانية اميال وربما تجاوز عشرة اميال. واما بابل فكانت على عدوة الفرات الشرقية

(١) عقرقوف. تل واقع على بعد ستة او سبعة اميال من غربي بغداد ويرتقي هذا الاثر الى عهد الدولة الكشية في القرن الثالث عشر ق.م وهو من بقايا مدينة دوركوركالزو ويبلغ ارتفاعه نحو ١٢٠ قدماً وثخنه ١٠٠ قدم ومحيط قاعدته بين ٢٧٠ و ٢٨٠ قدماً.

وهيكلها المرصود للاله بيل فيه زقرنا عظيمة يصح ان يطلق عليها اسم « برج بابل ». ونأسف على اختلاط البرجين على العلماء اي برج نبو في بورسيبا وبرج بيل في بابل . وكان ملوك بابل في كتاباتهم يجمعون بين اسا كيلا هيكل بيل وازيدا هيكل نبو كما جمع اشعيا النبي بين الالهين المذكورين اذ قال « قد جثا بيل انحنى نبو » (٤٦ : ١) .

رأينا ان هيكل بيل في بابل كان يسمى اسا كيلا اما برجه (زقرته) فكان يسمى اتيمن آنكي E—Temen An-Ki . فاصح الاراء ان هذا هو البرج الذي اطلق عليه الكتاب المقدس اسم « برج بابل » . وعلى ذكر الابراج عند البابليين قرب هياكلهم او زقراتهم كما كان يسميها اصحابها نقول انهم كانوا يبنونها ذات سبع طبقات مختلفة الالوان ويرصدون كل طبقةٍ لسيار من السيارات . وقد ذكر هيرودوتس في كتابه (١ : ١٨١) برج بيل ووصف هندسته وانه مؤلف من ثمانية ابراج الواحد فوق الاخر وفوقها هيكل عظيم الا ان كلدواي يشك في وصف هيرودوتس ويعتقد ان الابراج لم تبن على شكل مدرج . (١) وخالفه في رأيه هذا برج واثبت رواية هيرودوتس مستنداً الى نقش في احدى الصخور من عهد مردوخ بلادان الاول (١١٥٠ ق.م) يمثل قسماً من طبقات برج ازيدا في بورسيبا وصورة رمزية للاله نبو . وما يقال عن برج ازيدا يصح على برج اتيمن آنكي .

Koldewey : Excavations at Babylon Trans Agnes. (١)
S. Johns Page 194.

لا يعلم تاريخ بناء اتيمن آنكي او برج بابل ولا تاريخ خرابه اذ جاء مكتوباً في اسطوانة عن لسان نبوبولاصر « في هذا الوقت امرني الاله مردوخ ان . . . برج بابل لانه تضعضع قبل عهدي وبلغ الخراب وان امكن اساسه في قلب الارض ونحتها حتى تبلغ قمته السماء » .

وجاء عن لسان نبوكدنصر « ان ارفع قمة ايتمين انكي حتى يناطح السماء » وقد ورد في كلتا الكتابتين ان مواد البناء قد اتخذت من اللبن والآجر والحمر والطين وخشب ارز لبنان (١)

ولما غزا اسكندر الكبير بابل (٣٢٣ — ٣٢١ ق.م) راه في حالة الخراب واراد ان يجدد بناءه فاعد الآجر لذلك وانفق نفقات باهضة بلغت اجور العمال ٦٠٠،٠٠٠ يومية الا ان المنية وافته قبل ان يشرع بالبناء (٢) وعليه لم يشاهد هذا البرج احد من الذين جاؤوا بعد اسكندر الكبير فحملتهم الظنون على ان برز نمرود الماثلة انقاضه هو برج بابل .

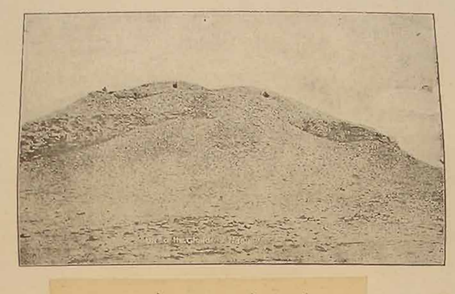
لا يلفظ اسم برج بابل الا ويتوارد الى ذهن السامع امران الاول اصل اللغات وتوحيدها وتبلبلها والثاني وحدة اصل البشر وتبددهم . فانهما مرتبطان كل الارتباط برواية برج بابل وبنائه على ما في رواية التوراة وكانا موضعين جليلين لابحاث عديدة

E. W. Budge : by Nile and Tigris Page 269. (١)
Koldewey Excavation etc 195. (٢)
Strabo XVI. 1,5. (٣)

ومناقشات مسهبة بين العلماء . لابأس من الايماء اليها كما انه لاسبيل لنا الى التبسط فيها في هذه العجالة .

جاء في التنزيل العزيز : « وكانت الارض كلها لساناً واحداً ولغةً واحدةً » « تك ١١ : ١ » انقسم العلماء في هذه المسئلة الى قسمين منهم من يثبت رواية الكتاب الكريم في اصل وحدة اللغات ومنهم من يؤيد تعدد اصولها وتفرق آراؤهم في اصل البشر فهم وافقوا موسى الكليم في وحدة اصل البشر . « وقال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحد » (تك ١١ : ٦) فبددهم الرب من هناك على وجه كل الارض (تك ١١ : ٨) . ومنهم من قالوا بتعدد اصول الجنس البشري . وقد نشأ من اختلاف العلماء في اصول اللغات والجنس البشري اربعة مذاهب علمية : المذهب الاول اتباع رأي التوراة القائل بوحدة اصل اللغات والاجناس . المذهب الثاني نقيض المذهب الاول شيئاً بشيء وهو يقول بتعدد اصول اللغات والاجناس معاً والمذهب الثالث يرتئي وحدة اصل اللغات فقط دون الاجناس والمذهب الرابع يعاكس المذهب الثالث فيقول بتعدد اصول اللغات ووحدة اصل الاجناس . ومن اراد التوسع في هذه المباحث الخطيرة فعليه بمراجعة المؤلفات العديدة الموضوعة فيها .

اذا تدرجنا في قراءة الاصحاح الحادي عشر من سفر التكوين وبلغنا الاية الثامنة والعشرين نقف على وطن تارح ابي ابراهيم الخليل (ومات هارن قبل تارح ابيه في ارض ميلاده في اور الكلدانيين) ثم جاء في الاية الواحدة والثلاثين من الاصحاح عينه خبر ظعن تارح من وطنه الى ارض كنعان . (واخذ تارح ابرام ابنه ولوطاً



أطلال أور الكلدانيين وطن ابراهيم الخليل

ابن هاران ابن ابنه وساراي كنته امرأة ابرام ابنه فخرجوا معاً من اور الكلدانيين ليذهبوا الى ارض كنعان) . وورد اسم اور الكلدانيين مرة ثالثة في الاصحاح الخامس عشر في العدد السابع من سفر التكوين . وجاء في سفر نحميا ٩: ٨ « انت هو الرب الاله الذي اخترت ابرام واخرجته من اور الكلدانيين وجعلت اسمه ابرهيم » . وبقايا اور هي اطلال المقير او المكير كما يلفظها العراقيون اليوم ومما هو حري بالذكر ان بعض الكتبة الذين كتبوا عن هذه الاطلال واعتمدوا على مؤلفات الاوربيين عربوا اسم هذه الانقاض وفقاً للحروف الافرنجية Al. Mogyar' Mugayyar تارة بالمغاور وطوراً بامقير وصحيحه كما مر بك فويق هذا اي المقير او المكير من القار وقد عرفها العرب في تواريخهم بذي قار ووقعتها مشهورة عندهم .

ان اطلال المكير واقعة في جنوب غربي ناصرية المنتفق (المنتفج، المنتفك) وتبعد عنها نحو عشرة اميال وتشمل بقعة من الارض تقدر مساحتها بـ ١٠٠٠ في ١٢٠٠ يرد وتكاد تكون اهليلجية الشكل ويحيط بها سور ترابي (١)

قد نقب في هذه الاطلال تيلر في سنتي ١٨٥٤ و ١٨٥٥ واكتشف الهيكل العظيم للاله القمر . وان بعض اقسام هذا البناء يرتقي الى عهد الملكين دنكي واورانكور . وفي جوار هذا الهيكل وجد بناء وفي اسفله رصيف من آجر يرتقي الى زمن الشمريين الاول . (٢) وقد حفرت فيها في سنة ١٩٢٣ بعثة اميركية

(١) R.C. Thomson: History and Antiquities of MesOpotamia Page 61.

(٢) L. W. King: A History of Sumer & Akkad Page.37.

بريطانية وفحصت معبد اله القمر وظهر ان بناءه تجدد على توالي القرون. وظفرت بتمثال اله القمر وحلى كثيرة مختلفة.

ومن العجب ان اطلال اور التي تشاهد اليوم على بعد ١٥٠ ميلا عن خليج فارس كانت في ايام عزها ميناء قرب مصب الفرات في خليج فارس وكان لأور خطورة سياسية وتجارية ودينية وادبية اذ كانت عاصمة سلالة نشأت حوالي الالف الثالث قبل المسيح وكان مؤسسها اورانكور ولم يعلم لأي داع استقلت وما عتمت ان سادت على جنوبي بابل باجمعه. وكان مما ساعدها على استقلالها انهاك قوى الدول السابقة وانصباب القبائل السامية الى تلك الاقطار وقد نال الساميون منزلة سامية في خدمة الملوك الشمريين. ويظن ان العيلاميين اجتاحوا البلاد واسقطوا سلالة اور في سنة «٢٢٨٥ ق.م». (١) وان انطوى بساط دولة اور في هذا التاريخ الا ان منزلة المدينة بقيت رفيعة ماوراء ذلك بقرون عديدة.

بقي علينا ان نتعرض هنا للبحث عن الكلدان. واراد الكتاب المقدس بهم على اختلاف القرون. قد ورد اسم الكلدان في مواضع عديدة من الكتاب المقدس وبصور مختلفة كاسديم وكاشديم وحسديم. ونسبت اليهم بلاد تلك البلاد الواقعة في جنوب شرقي بابل على ساحل البحر حيث كان يبتدئ خليج فارس في ذلك العهد وكانت حاضرتها بيت ياكين وورد اسمها في الرقم الآثورية «مات تامتيم» اي ارض البحر. ويذهب العلماء الى ان اسم ارفخشاد (تكوين ١٠: ٢٢، ٢٤

(١) C. H. W. Johns; Ancient Babylonia 49-55.

و١١: ١٠ و١١و١٢) تصحيف «اريف كاسديم» ومعناه متاخم الكلدان اوتخومهم فتكون بمعنى ارض الكلدان. وان القبيلة التي نزلت من ارفخشاد اندفعت نحو الغرب وبقيت في ظعنها جيلاً بعد جيل حتى بلغت ارض شنعار وعبرت الفرات فوصلت مدينة اور. وسكنت فيها اوحواليها. وكانت هذه المدينة يومئذ حاضرة ملوك شمريين. ويقال ان اسم الكلدان جاء من رجل اسمه كاسد (تكوين ٢٢:٢٢) وقال بعض المحققين ان اسمهم كشيديم ومعناه الفاتكون لانهم كانوا غزاة كما جاء في سفر الملوك الثاني ٢٤ : ٢ (فارسل الرب عليه غزاة الكلدانيين) وكما جاء عنهم في سفر ايوب ١٧:١ (الكلدانيون عينوا ثلاث فرق فهجموا على الجمال واخذوها).

وقال فريق من الباحثين ان هذا الحرف مشتق من الكشد ومعناه الكثير الربح والكسب. وكان الكلدانيون يحبون الكسب والربح.

ومن اعمالهم في اواخر عهدهم العرافة والتنجيم والسحر. «قام الملك بان يستدعي المجوس والسحرة والعرافون والكلدانيون (دانيال ٢ : ٢).

وقد ورد ذكرهم في الكتاب المقدس ذكر امة ذات سلطان وشوكة تعيش ببذخ وترف قد استولت على الحكم في بابل. جاء في سفر اشعياء (١٣:٢٣) ها هي ذي ارض الكلدانيين الشعب لم يكن الخ (و ٤٧ : ١) انزلي واجلسي على التراب ايتها العذراء ابنة بابل اجلسي على الارض بلا كرسي يا ابنة الكلدانيين لانك لا تدعين ناعمة ومترفهة. وهذا سفر ارميا مشحون بذكر الكلدان وجيش الكلدانيين و ٢١ : ٤ .. التي انتم محاربون بها ملك بابل والكلدانيين. و ٢٥ : ١٢ وارض

الكلدانيين و٣٢ : ٢ وصدقيا ملك يهوذا لايفلت من يد الكلدانيين . و ٣٢ : ٢٨ ها أنا ذا ادفع هذه المدينة الى ايدي الكلدانيين. الى آخر ما في الكتاب المقدس من الآيات التي ذكرت الكلدانيين وارضهم .

وقد دلت آيات الكتاب ان لغة الكلدانيين كانت اللغة الارمية . فقد جاء في سفر دانيال ٢ : ٤ « فكلم الكلدانيون الملك بالارمية » .

وقصارى القول في الكلدان أنهم جيل من الناس ظعنوا بادئ بدء الى بلاد بابل الجنوبية ولم يطلق اسم كلدة على بابل باسرها الا حينما اسس نبوبولاسر مملكة بابل الجديدة نحو سنة ٦٢٦ ق . م وهذا كان منهم فعم اسم قبيلته المملكة باسرها . (١)

ومن مدن بابل التي جاء اسمها في سفر التكوين ١٤ : ١ الاسار . فاين كان موقع الاسار يا ترى ؟ . فقد قال الاثريون أنها كانت حيث تشاهد اليوم اطلال سنكرة . وقد عرفها البابليون باسم لارسا وهي الى جنوب شرقي أطلال وركاء المار ذكرها . وقد نقب فيها لوفتس في منتصف القرن الماضي وعثر على رقم ترتقي الى الالف الثالث قبل المسيح . وقد عظم شأن لارسا بعد سقوط سلالة اور الثانية . واشهر ماكان من ملوك لارسا وهما نور رمان وابنه سن ادينا وذلك حوالي سنة ٢٣٠٠ ق . م . (٢)

---

(١) راجع Z. A. Ragozin - Chaldea 199-201

Encyclopaedia Biblica Cheyne and Black P. 720-1

(٢) Ibid Page 444

وجاء في سفر الملوك الثاني (١٧ : ٢٤) وأتى ملك اشور بقوم من بابل وكوثى وعوا وحماة وسفروايم واسكنهم في مدن السامرة عوضاً عن بني اسرائيل . »

فقد بحث العلماء عن موقع كوثى وسفروايم . وقالوا ان كوثى هي تل ابراهيم في شمال شرقي بابل وقد ورد اسمها في الرقم كوثى وكوثو قبل نهوض بابل وكان فيها هيكل الاله نرجل واسمه أملام ولا تزال آثاره موجودة حتى اليوم ويظهر أنها كانت من امهات مدن بابل الشمالية وكان من واجب ملوك آثور حتى عهد اسور بنيبل ان يضحوا فيها قرابين للاله نرجل (١) اله الموت .

اما « سفروايم » فجاء اسمها في سفر الملوك الثاني ١٧:٢٤ و ١٨ : ٣٤ واشعيا ١٩ : ١٣ : و٣٦ : ١٩ و٣٧ : ١٣ . ارتأى العلماء ان هذه المدينة هي سبار البابلية وبقاياها اطلال « ابوحبة » وهي شاخصة الى اليوم في جنوب غربي بغداد على بعد ٢٠ ميلاً منها وقد نقب فيها المستر رسام سنة ١٨٨١—١٨٨٢ والاب شيل سنة ١٨٩٤ ووجدوا فيها رقماً كثيرة ثمينة يرجع تاريخها الى ملوك بابل الاولين . وكانت هذه المدينة بحماية الاله شمش (اله الشمس) . وجدد هيكلها نرام سن ملك اكد نحو ٢٦٠٠ سنة قبل المسيح . وقيل ان موقعها كان قبالة سبار على نهر قرب الفرات وان سبار هي مدينة اكد على ما مر بك ص ١٦ واطلق العبريون على كلتيهما اسم سبار وقالوا السبارين « سفروايم » (٢)

R. C. Thompson : Hist and Anti : of Mesopotamia 64-65 (١)

Z. A. Ragozin; Chaldea 205 (٢)

وجاء في سفر الملوك الثاني (١٨ : ١١) وسبى ملك اشور اسرائيل الى اشور ووضعهم في « حلح » « وخابور » نهر جوزان وفي مدن ماذي .

يرتئي بعضهم ان « حلح » كانت من مدن ماذي ويذهب فريق الى انها مدينة كالح عينها المار ذكرها (تك ١٠ : ١١) وقال غيرهم بانها مدينة حلوان او حلمانو او خلمانو في اقليم اردلان وهي اليوم قرية سربول التي تبعد عن بغداد نحو ١٤٧ ميلاً في طريق الجبال لمن يقصد قرميسين (كرمانشاه) وقد ذكر المقدسي أنه كان في ظاهر حلوان كنيس لليهود يحترمونه كل الاحترام . وحلوان وان لم تكن مدينة حلح فقد سكنتها طائفة من يهود الجلاء ولا تزال منهم بقية باقية في تلك الاصقاع في قصر شيرين وكرند وتتكلم الارمية العامية .

— الخابور — نهر لايزال يعرف باسمه هذا حتى اليوم وقد ذكر في مؤلفات اليونان باسم « خابوراس » « Chaboras » وهو من سواعد الفرات وهو نهر كورة جوزان على ما وصفه صاحب سفر الملوك . وعرفت هذه الكورة عند الآثوريين باسم كوزانو وهي واقعة بين طوسان ونصيبين .

يستهل حزقيال النبي سفره بقوله : كان في السنة الثلاثين في الشهر الرابع في الخامس من الشهر وانا بين المسبيين عند نهر كبار . وتكرر ذكر هذا النهر بعد آيتين . اذ جاء فيه « في ارض الكلدانيين عند نهر كبار » . فالترجمة العربية الاميركية التي في ايدينا لم تدع فرقاً في ترجمة اسم خابور الوارد في فصل الملوك المنوه به قبيل هذا والنهر الذي رأى عنده حزقيال رؤياه والحال ان فرقاً بيناً بين الاسمين في النص

العبري . فنهر حزقيال هو كبار من انهار بابل وقد جاء في كتاب الزبور ١٣٧ : ١ على انهار بابل هناك جلسنا . واول من اشار الى ذلك العلامة نلدكة وايد رأيه البحاثة هلبرخت اذ عثر مرتين على ذكر « نارو كبارو » في الرقم وكان موقعه في شرقي نبور (١) في ارض الكلدانيين وعلى ضفته دفن حزقيال .

واذا تدرجنا في قراءة سفر حزقيال الى الاصحاح الثالث العدد الخامس عشر نقف على الاية القائلة : فجئت الى المسبيين عند تل ابيب الساكنين عند نهر كبار » . فان موقع تل ابيب لا يزال مجهولاً . اما معنى هذا الاسم فهو في العبرية « تل السنبلة » وقد قال فردريك دلج ان كان هذا الاسم بابلياً فلفظه الصحيح يجب ان يكون « تل ابوب او تل ابوبي » وان لفظ « ابوبو » يعني في الآثورية الطوفان فاذا صح تأويله فيكون مفاد « تل ابوب » تل الطوفان وهو تل خراب قديم . ومن التعبيرات الآثورية القديمة التي وردت في الرقم « قد خربت المدينة كتل ابوبي او جعلت المدينة كتل ابوبي » (٢)

(١) نبور وقد عرفها العرب بـ(نفر) واقعة في شمال شرقي الديوانية وبينهما نحو عشرين ميلا او في شمالي العفج على بعد اربعة اميال منه يشقها نهر النيل شقين وقد اشتهرت بهيكلها المرصود للاله بيل (انليل) وبرجها (زقرتا) الذي شيده اورانكور في سنة ٢٦٠٠ ق . م . ولم يبق منها اليوم الا اطلال نبشت فيها جامعة فيلادلفية في ١٨٩٩ — ١٩٠٠ .

(٢) Encyclopaedia Biblica

ومن الانهر التي جاء اسمها في التوراة في اخبار المسبيين نهر اهوا (عزرا ٨: ١٥ فجمعهم الى النهر الجاري الى اهوا . (وفي ٨ : ٢١) وناديت هناك بصوم على نهر اهوا . وفي (٨ : ٣١) « ثم ارتحلنا من نهر اهوا في الثاني عشر من الشهر الاول لنذهب الى اورشليم » . فيظهر من الآيتين الاوليين ان اهوا نهر ومن الآية الثالثة اسم ارض يسقيها هذا النهر .

قد تشعبت آراء العلماء في تعيين هذا النهر والارض التي يسقيها وذهبوا مذاهب شتى في موقعهما . فقد ذهب لكلير ومانبر الى انه ادياباً اوحدياب وجنح هافرنك الى انه ابيه أو آويه وقال بعضهم انه الزاب . وجاء في معلمة الكتاب المقدس انه مجهول ولكن موقعه في ستي الفرات . وقالت طائفة من الباحثين ان اهوا هو هيت . وقال الرحالة يهوذا الحريزي الذي نزل العراق في القرن الثالث عشر للميلاد انه نهر سمرة (وربما صحيحه نهر سمرا) وقال ياقوت عن هذا النهر انه في ارض ميسان وقد رجح الرأي الاخير الاب انستاس الكرملي في مقال ممتع له في هذا الموضوع (١) . وجاء في سفر عزرا (٨ : ١٥) اسم كسفيا وهو موضع لسكنى المسبيين . وقد بات هذا المكان من المبهمات التي اشغلت العلماء في حلها . فارتأى فريق من الباحثين ان كسفيا لم تكن مدينة بل مدرسة جامعة يتلقى فيها اللاويون دروسهم وكانت قريبة من نهر اهوا . وفرض بعضهم اسم طيسفون (Ctesiphon) تحريف كسفيا (Casiphia) وانهما في الاصل مدينة

(١) راجع وضيعة دار السلام السنة الثالثة العدد الاول ص ١ — ٣

واحدة (١) . وخالفهم غيرهم في الاراء الكثيرة التي ابدوها في هذه المدينة . وكلها لم تتوصل الى حل بات .

تنتقل هنا الى سفر دانيال الى الاصحاح الثالث منه الى العدد الاول فنقرأ : « نبوكدنصر الملك صنع تمثالاً من ذهب طوله ستون ذراعاً وعرضه ست اذرع ونصبه في بقعة دورا في ولاية بابل . » فان كان لفظ دورا ارمي الاصل فيعني بقعة او ارضاً سهلة . ولكن احد العلماء فرض ان هذا اللفظ بابلي قديم معنـاه « حائط » وقد عرفت ثلاثة امكنة في بابل بهذا الاسم الذي ضبط في الرقم دورو . وعدة مدن بابلية مركبة من دور ومن حرف آخر . ويفهم من نص دانيال ان هذه البقعة كانت ملتصقة بمدينة بابل او قريبة من اسوارها .

بعد ان تكلمنا عن مدن بابل وآثور وانهارها وامكنتها التي اتت في الكتاب المقدس آن لنا ان نتعرض لذكر ديار بين النهرين Mesopotamia كما اطلق عليها اليونان اوبيت نهرايا كما دعاها الارميون اوارام نهرائيم كما جاءت في الكتاب المقدس وعند العبريين او الجزيرة حسبما عرفت عند العرب .

ان الجزيرة (مزوبوتاميا) هي البقعة المنحصرة بين دجلة والفرات يحدها في الشمال ارمينية وفي الجنوب اراضي بابل الغرينية وكان طول هذا القطر من الشمال الشرقي الى الجنوب الشرقي لا يقل عن ٣٥٠ ميلاً وعرضه لايتجاوز مائتي وستين ميلاً في اوسع نقطة منه . ولا يتجاوز عرضه في بعض الامكنة خمسين ميلاً وعليه فان مساحته لم تتجاوز

(١) Edwyn Bevan : The land of the two Rivers 104

١٥٠٠٠ ميل مربع (١)

وكان يحد الجزيرة الاقدمون من الشمال جبل ماسيوس (طور عبدين) ومن الجنوب سور بلاد ماذي والانهر التي تجمع بين دجلة والفرات ومن الشرق والغرب الرافدان (دجلة والفرات) .

وقالت العرب ان الجزيرة اوجزيرة اقور هي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام وتشمل ديار مضر (Osroéne عند الافرنج) (اي ارض الرها) وديار بكر . ومن امهات مدنها حران والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميافارقين والموصل وغير ذلك مما هو مذكور في موضعه(٢)

وكانت حران عاصمة بين النهرين يوم نزلها ابراهيم الخليل بعد ظعنه من اور (تك ١١:٣١) والى هذا الصقع توجه اليعازر ليخطب زوجاً لاسحق (تك ٢٤:١٠) وجاء ذكر هذا القطر في التثنية (٤:٢٣) وفي سفر القضاة (٣:١٠) وفي اخبار الايام الاول (٦:١٩) وفي الزبور (١:٦٠) .

(١) G. Rawlinson : Parthia 23

(٢) معجم البلدان مادة جزيرة .

اليهود

في عهد البابليين والآثوريين

اذا كانت بلاد كنعان لليهود ارض ميعادهم وقبلة آمالهم وتعلة سعادتهم ومحط رحالهم بعد تيههم ، فالعراق وطن اجدادهم ومنشأ آبائهم ومهد لغتهم وارض سبيهم ومآبهم بعد خراب هيكلهم ودمار مقدسهم . واذا كان الاردن نهرهم المبارك ومياهه مطهرة عاهاتهم فالرافدان نهران ذكرهما كتاب دينهم بين انهر الفردوس كما ان ذكر شنعار وبين النهرين وبابل وآثور وبلاد ماذي وشوشن حي في ذاكرة هذا الشعب طالما يرى الكتاب الكريم بين ايديهم يتلون فصوله المقدسة صباح مساء ويكررون آياته المنزلة ليلاً ونهاراً ويترنمون باناشيده ويتغنون بمزاميره على توالي الايام وتعاقب المواسم . اجل لقد ورد ذكر تلك الاقطار في سفر التكوين والملوك واشعيا ودانيال واستير ويونان والمزامير وغيرها من الاسفار . ويتجدد ذكرها عند تلاوة تلموذهم مخزن تفاسيرهم الدينية وكنز آدابهم القومية .

ويحق لنا في هذا المقام ان نبحث عن الاقوام التي نزلت ارض شمر واكد(١) في

(١) يطلق هذا الاسم على صقع بابل كله . فكان شماله يسمى في الاعصر المتوغلة في القدم اوري اوكيوري ويظن ان سكانه كانوا من الشمريين . وجنوبه يدعى كنكي . وبعد ذلك العصر العريق في التاريخ سمي الشمال اكد وكانت مدنه : اكد وسبار وكيش (تل الاحيمر) واوبي (باحشا) وكوثى وبابل . وسمي الجنوب شمر ومدنه لجش (تلو) وشروباك (فارة) واور واريدو وارك واوما(جوخا)واداب (بسمايا) .

الازمنة المتوغلة في القدم حتى فجر التاريخ لنتوصل الى القبائل السامية التي القت عصا ترحالها في ارض شنعار ومنها قبيلة تارح ابي ابرهيم الخليل .

قال المؤرخ الكلداني بيروس : (١) « كان بادئ بدء في بابل حشد من الناس مؤلفاً من عناصر مختلفة سكنوا بلاد الكلدان » .

لا غبار على كلام المؤرخ الكلداني فان ارض بابل اشتهرت بخصبها منذ قديم الزمان فارتادتها الامم والشعوب من كل صقع . ونزلتها القبائل الرحل منذ فجر التاريخ من كل الديار . ونطق نزلاؤها بمختلف اللغات حتى شبهها بعضهم بخلية النحل وحاول غيرهم تأويل حكاية تبلبل الالسنة الواردة في كتاب التكوين باللغات المتباينة التي كان يتكلمها الشعوب فيها . ولم يقف الباحثون عن تاريخ هذه الديار على الشعب الذي وجد فيها قبل عصر التاريخ وهو على حالة البداوة والفطرة . وغاية ما توصلوا اليه انه كان فيها منذ الازمنة البعيدة عنصران مختلفا النجار احدهما شمري ووطنه جنوبي بابل والاخر اكدي (سامي) ووطنه شمالي بابل . وكان هذان الشعبان يمتازان بعضهما عن بعض بالملامح والعادات والحضارة واللغة. ولا يبت العلماء في ايهما اعرق من اخيه في هذه الديار وان غلب الظن عند بعضهم ان الشمريين اقدم من الاكديين

(١) مؤرخ كلداني عاش بعد المائة الثالثة ق . م . في عهد حكم اليونان على بابل . كتب تاريخه في اللغة اليونانية واودعه اخباراً جليلة عن تاريخ بابل القديم ومأثورات الكلدان . فقد الكتاب ولا يعرف منه الا نتفاً وردت في كتب المؤرخين . ونظن اصل اسمه الارمي « براسيا » اي ابن الطبيب .

(الساميين) . وقد قال فريق ان الشمريين تورانيون جاؤوا بابل من الشرق ومروا في طريقهم بتخوم بلاد فارس واستندوا في قولهم هذا الى المشابهة الموجودة بين لغتهم واللغة التركية وسائر اللغات المغولية في آسية الوسطى والى بقايا حضارتهم المكتشفة في اطلال العراق تحاكي الآثار المكتشفة في حفريات بذلي في تركستان ١٩٠٣ـ١٩٠٤ . ان الساميين الذين كانوا يسكنون شمالي بابل وينسبون الى سام بن نوح هم الاثوريون والعبريون (١) والفنيقيون والارميون والعرب والاحباش اذ كلهم من نجار واحد والراجح انهم نزحوا من بلاد العرب.

وقد سكن هذان العنصران بابل جنباً لجنب منذ الالف الرابع ق.م فكان الشمريون يحلقون شعور رؤوسهم وذقونهم اما الاكديون فكانوا ذوي لحى سوداء وطويلة واخذ كل فريق من صاحبه شيئاً من حضارته .

وقد تنازع البقاء هذان العنصران عهداً من الزمان حتى استظهر العنصر السامي على العنصر الشمري وبزه بزاً فاصبح صاحب البلاد الوحيد وحلت لغته محل اللغة الشمرية وامست هذه لغة مماتة كاللاتينية في العصور الوسطى .

وكان في بلاد شمر واكد في العصور الخالية بجانب سكان المدن اقوام رحل ومن تلك الاقوام قبيلة تارح التي كانت في اور الكلدان. ولم يذكر الكتاب المقدس العهد الذي غادر فيه تارح وابنه ابرهيم الخليل تلك الحاضرة العظيمة كما انه ضرب صفحاً عن

(١) ان موريس جسترو في كتابه المأثورات العبرية والبابلية ص ١٥ يقول ان العبريين دخلوا ارض كنعان وقد امتزج بهم عناصر اخرى ومن المحتمل انه كان بين تلك العناصر العرب والحثيون .

الاسباب التي الجأتهم الى هذا الامر . وقد توصل الباحثون الى ايجاد تاريخ ظعن هذه القبيلة من ارض شنعار الى حران وقالوا كان ذلك في سنة ١٩٢١ ق . م وجاء في مأثورات اليهود ان تارح كان صانع اصنام وترك بأمر الله اور الكلدان معهد الكفر ومنبت التوثن .

ان بعض العلماء المحدثين ذهبوا مذاهب شتى في تعليل هذه الرواية وتأويلها . واختلقوا تفسيراً لاسم تارح ماشاؤوا وشاء علمهم وقالوا ما قالوا في ابرهيم وكيانه مما لا يسعنا ذكره في هذا الكتاب الموضوع للخاصة والعامة من الناس . ولانه لا يزال في نطاق التخرصات ولا يخرج عن حد المظنونات .

سارت تلك القافلة من بلاد الكلدان على حد ما نرى اليوم عشائر البدو ينتقلون من ديار الى ديار اخرى وذهبت الى ارض كنعان وفي راسها تارح وابرهيم . وما عتم ان مات تارح واصبح ابرهيم ابا القوم ورئيس العشيرة ومن ذلك الحين دعيت تلك العشيرة في التوراة بـ « العبريين » نسبة الى جدهم الاعلى عبر (ويقال سمي كذلك لانه عبر الفرات) ابي فلغ ابي رعو ابي سروغ ابي نحور ابي تارح ابي ابرهيم . ويروى ان ابرهيم سمي عبرياً اشتقاقاً من العبر اي ان عشيرته عبرت بلاد الكلدان .

من الاراء الشائعة بين العلماء ان ابراهيم الخليل كان معاصراً لأمرافل ملك شنعار (تك ١٤ : ١) وان امرافل هو حوربي الشهير صاحب الشرائع وهي اول

الشرائع المكتوبة التي عرفها العالم حتى اليوم (١) . وسبق حوربي موسى الكليم ٤٣٠ سنة على حساب التوراة و ٧٠٠ سنة على حساب بعض العلماء . وتتفق شرائع الكلدان مع شرائع العبريين في اهم موادها .

لم نكن لنتعرض لذكر هذه الشرائع البابلية في هذا الفصل لو لا علاقتها بشرائع موسى الكليم علاقة اشغلت اذهان الباحثين وشحذت قرائح النقدة المفكرين فكتبوا المؤلفات الكثيرة ووضعوا الكتب العديدة في درس هذا الموضوع الخطير . ليوفقوا بين شرائع موسى وشرائع حوربي من حيث اصلها السامي .

نكتفي بالالماع الى هذا الموضوع لنعرف ما بين الشعبين الساميين الشعب البابلي والشعب العبري من الصلات القوية التي تربط القومين بعضهما ببعض

(١) عثر على هذه الشرائع ج دي مورغان في اواخر سنة ١٩٠١ واوائل ١٩٠٢ في شوش المسماة قديماً برسبوليس وفي سفر دانيال « شوشن القصر » وكانت يوماً عاصمة بلاد عيلام . ووجدت هذه الشرائع مكتوبة باللسان الاكدي اوالسامي البابلي على ثلاث قطع من الحجر . اذا وضع بعضها على بعض تألف منها مسلة وفي صدرها صورة حوربي يتلقى الشرائع من الله جالس على كرسي وربما كان الاله شمش . وقد جاء بهذا الاثر النفيس من بابل الملك العيلامي شتروك ناخونته تذكاراً لانتصاره في احدى غزواته في بابل .

والتي تتعدى نطاق الظواهر (١)

لم تكن الصلات بين البابليين والعبريين تقف عند هذا الحد من حيث الشرائع بل تمتد الى ما وراء ذلك. وتشمل المأثورات عند الشعبين المذكورين. فهذه قصة الخليقة وقصة الطوفان وتقديس يوم السبت وحياة ما وراء القبر تتفق في كثير من مواضعها عند القومين . وكذا قل في ادبيات العبريين والبابليين .

نورد هنا على سبيل المثل كيف كان يقدس البابلي والآثوري يوم السبت لتقف ايها القارئ على حافة الوصل بين هذين الشعبين الساميين . فكان محظوراً على الناس ان يطبخوا يوم السبت وان يغيروا ثيابهم وان يقدموا ضحايا . وكان محظوراً على الملك ان يكلم فيه الشعب ويركب مركبة وان يقوم بواجب عسكري اومدني وان يأخذ دواءً .

الا ان نقطة الخلاف القائمة بين العبريين والبابليين هي ان سبت البابليين يأتي خمس مرات في الشهر وذلك في الايام الآتية من الشهر : في اليوم السابع والرابع عشر والتاسع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين (٢)

ولنقف على وجه المشابهة بين الآثوريين والعبريين لنسمع مايقوله رولنصن :

---

(١) راجع Rev . C . H . W . Johns : The Relations between the Laws of Babylonia and the Laws of the hebrew peoples .

(٢) راجع Morris Jastrow : Hebrew and Babylonian Traditions

كان الاثوريون من القبائل السامية الشمالية وكانوا يشبهون كل الشبه العبريين . ان المشابهة الموجودة بين القومين في ملامحهم وتقاطيع وجوههم كافية لتظهر لحمة النسب الواشجة بينهما هذا فضلاً عن تقارب لغتيهما بعضهما من بعض تقارباً لايدع ريباً في وحدة اصليهما .

ولم تقف تلك الروابط عند هذا الحد . بل تمتد الى ماوراء هذه الامارات الخارجية. وتتجلى بأتم مظاهرها في بعض الاميال النفسية والافكار الداخلية المتمثلة في دينهم القومي . واريد به مبدأ التوحيد الذي ادخله الاثوريون في دين البابليين فقبلوه بكل ارتياح كأنهم جاؤوا به من موطنهم الجنوبي . حافظ الاثوريون على هذه العقيدة كاخوانهم العبريين . الا ان فرقاً بيناً كان بينهما من حيث تفاصيل هذه العقيدة . ان حكماء العبريين اتخذوا قاعدة ثابتة لمعتقدهم التوحيد وهي لاتلتوي واوجبوها على اتباعهم المخالفين لهم وذلك ، بحرارة ونشاط لايخفف منهما مقاومة او كفر ، اما كهنة آثور فانهم وان كانوا يريدون نشر هذه الحقيقة الا انهم لم يقاوموا التقاليد القديمة ونظام الدين الموضوع بل حافظوا على مجموع الآلهة البابلية ، ونظريات ابتناقها المتعاقب ، وثالوثيها العظيمين وآلهتها الخمسة الكوكبية ، وجماعة من الآلهة التي هي دون الاولى مرتبة ولكنهم كانوا يضعون في مقدمة تلك الآلهة وفي اعلاها الاله الواحد والرب الذي يعترفون بانه السامي ولم يدعوا شبهات الالتباس تحف به ، وان يضيع بين ثنايا الابعاد المبهمة بل كانوا يصفون له ذاتية ممتازة ، ويسمونه باسم شخص ويدعونه « اشور » .

واصاب المرمى رولنصن اذ قال : ان الارواح الآثورية تكاد تكون

متشابهة لارواح العبريين وينسبون اليها جميع اعمالهم العمومية . وكان العبريون يقدمون ضحايا الحروب في هجومهم على القبائل المجاورة الى خدمة «يهوه» ولم يغفل ملوك آثور ان ينسبوا انتصاراتهم وفتوحاتهم الى آثور وكان شعاره يتقدمهم في الحروب.

الى هنا نقف في البحث عن صلات العبريين والبابليين فلنرجع الى ابرهيم والمهاجرين. كان المهاجرون العبريون من بين النهرين يذكرون وطنهم ويصبون الى ديار مولدهم ويخطبون ازواجاً لاولادهم من بنات بين النهرين وكانوا يعدونهن اشرف نسباً واعرق حسباً من بنات يهود كنعان .

وصل ابراهيم ارض كنعان ومن هناك سافر الى مصر وبقي العبريون فيها نحو اربعمائة سنة يوماً في نعيم ويوماً في بؤس . فلاقوا من الفراعنة كل حفاوة واكرام كما انهم تحملوا منهم مضض الحيف والجور . حتى قيض الله لهم موسى الكليم فانقذهم من رق المصريين . وبعد تيه دام اربعين سنة في برية سيناء حلوا ارض الميعاد وكان يتولى شؤونهم القضاة . وهناك اسسوا مملكة اسرائيل الاولى وقام منهم ملوك واشهرهم داود وابنه سليمان الحكيم .

جرت كل هذه الخطوب ومرت القرون وتعاقبت الاجيال ومضى نحو ١٢٠٠ سنة ولم يرد ذكر بلاد بين النهرين في توراة موسى ولم ينقل شيئاً الكتاب عن بلاد بابل وآثور حتى حمل شلمناصر ملك آثور حملة شعواء على هوشع ملك اسرائيل فعقد هذا الملك محالفةً مع ملك مصر سوا (١) دفاعاً عن حياض مملكته . الا ان

(١) هكذا جاء اسمه في الكتاب المقدس وهو عند المؤرخين شاباك .

ذلك التحالف لم يجده نفعاً بل حاصر شلمناصر السامرة وقبل ان يظفر بالنصر النهائي وافته المنية . وكأني بالاقدار قد رصدت ذلك النصر للقائد الآثوري فدخل عاصمة اسرائيل بعد موت شلمناصر وتوغل جيشه في المدن واجتاح القرى وذلك سنة ٧٢١ ق.م. فاجلى الجيش الآثوري الى بلاده ٢٧٢٨٠ اسرائيلياً اسكنهم مدن حلح وجوزان في وادي الخابور ومدن ماذي وبقي الاسرائيليون في وادي الخابور زمناً طويلاً حتى بعد الفتح الاسلامي ولا يبعد ان يكون منهم اليهود الذين ذكرهم بنيامين التطيلي الذين كانوا يسكنون رأس عين وعند مصدر النهر وفي كركيش وعند ملتقاه مع الفرات ولكن لم يبق منهم باق اليوم .

ولما كانت سنة ٧٠٢ ق.م حمل الملك سنحاريب على مملكة يهوذا واستولى على ست واربعين مدينة من مدن اليهود واسر من سكانها ٢٠٠١٥٠ نفساً وتقدم الى اورشليم فهلع اليهود منه ودفعوا اليه جزية عظيمة من ذهب وغيره وعقد معه حزقيا ملك يهوذا معاهدة . وبعد برهة نكث العهد ملك اليهود وعمد الى عقد محالفة مع ملك مصر فجهز عليه سنحاريب جيشاً جراراً كاد يجرعه الامرين لولم تفتق الفتوق على ملك آثور فاضطر ان يسحب جيشه .

وقد اكتشف النقابون في اطلال قوينجق ثوراً من الصخر مكتوباً عليه وقائع تاريخية بينها خبر حملة سنحاريب الاولى على حزقيا ملك اليهود وذلك في الالواح المحفوظة في دار التحف البريطانية في الرواق الآثوري المرقمة بارقام ٨١٠ و ٨١١ و٨٣٩ و ٨٤٠ المبتورة من ذلك الدور التاريخي . وفي ردهة العاديات الآثورية من المتحفة

البريطانية بعض النقوش الأثورية تمثل الجندي اليهودي ولباسه والاسرى والنساء ولباسهم . كان يلبس اليهود الذين يحرسون المعاقل خوذاً دقيقة الرؤوس . تختلف عن خوذ الآثوريين المحاربين بانها ذات اهداب مزركشة تنزل الى آذانهم وفي رؤوس بعض الاسرى ما يشبه العمائم يتدلى طرفها الواحد الى الكتف وليس في رؤوس بعضهم عمرات وشعرهم قصير ولهم لحى . اما لباسهم فهو ثوب يبلغ الركبتين او جلباب يكاد يبلغ الوركين على وسطهم زنار ، والظاهر ان هذا اللباس لباس الجنود . اما النساء فكن يلبسن اقمصة طوالاً فوقها حلة يلقينها على رؤوسهن وتنحدر الى اقدامهن انحدار أزر النساء الشرقيات .

وفي عهد اسرحدون اسر جيش البابليين منسى ملك اليهود وارسلوه الى بابل مكبلا بالقيود راسفاً بالسلاسل سنة ٦٧٢ ق.م . وبعد مدة رفق به اسرحدون وارجعه الى اورشليم فبقي خاضعاً له .

وفي سنة ٦٠٤ ق . م انتصب على اريكة بابل نبوكد نصر . الملك المقدام ونابغة الزمان . فخر البابليين ومقيل عثرة الكلدان . ومنذ تبوأه منصة الملك طامع في مد سيطرته على الدول وتدويخ المدن والامصار وحالف يوياقيم بن يوشا ملك اليهود الا ان يوياقيم لم يثبت على عهده بل تقلب في سياسته مع نبوكدنصر فجهز هذا عليه جيشاً لهاماً وشدد البابليون الحصار على اورشليم وتولى الملك الكلداني شؤون الحصار بنفسه فدخل المدينة المقدسة ظافراً . وكانت المنية قد عاجلت يوياقيم وملك في مكانه ابنه يهوياكين فاسره الكلدانيون هو وامه ونساءه وحاشيته واشراف مملكته ورجال

حربه والصناع والاقيان وبعثوهم الى بابل . ولم يبق في اورشليم الا مساكين شعب الارض . وكانوا قد سبوا قبلهم جماعة بينهم دانيال النبي والفتية الثلاثة واولاد يوياقيم اعمام دانيال . واجلس نبوكدنصر على تخت الملك متنيا عم الملك ودعا اسمه صدقيا وذلك سنة ٥٩٧ ق.م .

وصلت قوافل الاسرى بابل فشاهد اليهود من ابناء جلدتهم جالية ضخمة من اعقاب اسرى شلمناصر وسنحاريب واسرحدون (١) فتعانقوا معانقة اعز الاخوان وتعاونوا في منفاهم على حفظ كيانهم وصيانة تقاليدهم من كل مس تلك التقاليد التي ينزلها الشرقيون في حياتهم القومية منزلة غراء ويحلها الساميون في اخلاقهم محل القلب من الجسد .

كل امة ينضب معين قوتها ويدب اليها دبيب الضعف يلتاث عليها امرها ويستعجم تدبير شؤونها ولا تعرف من تحالف من الامم القوية لتعتصم بها وتستند اليها في عجزها . هذا كان شأن المملكة اليهودية في اخريات ايامها اذ وقفت وقفة حائر بين الدولة المصرية والمملكة البابلية .

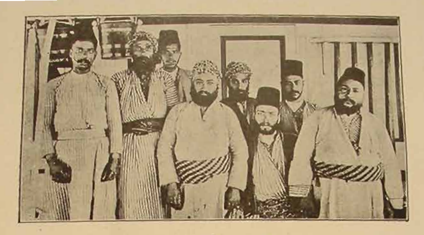
قرر اخيراً صدقيا ملك اليهود ان يرفع لواء العصيان ويحارب البابليين ولكن سرعان ما انقض عليه الكلدان وحاصروا اورشليم اشد الحصار فلم تجده نفعاً نجدات المصريين ولم تنشله جنود ملكهم حفرع من تلك الورطة . وفي اثناء الحرب كان ارميا النبي يخلص النصح اليهود ليخطبوا ود البابليين ولكنهم لم يصغوا اليه بل تمادوا في شعاب الغرور .

(١) لم يذكر ذلك احد من المؤرخين بل انه ظن بحث .

انتهت تلك الحرب بنصر الكلدان نصراً مبيناً ، فدخلوا اورشليم بقيادة قوادهم نركل شراصر وسمكرنبو ونرسخيم وغيرهم وفر صدقيا ملك اليهود من وجه الفاتحين ألا انهم ادركوه في سهل اريحا واتوا به الى نبوكدنصر فاغلظ معاملته وأمر بقتل اولاده واشراف مملكته على مرأى منه ثم سمل البابليون عينيه وشدوه بسلسلتين من النحاس واتوا به الى بابل وخرب نبوزردان رئيس الشرطة اورشليم وهدم اسوارها وسبى جميع السكان الى بابل واستباح ذمارهم واتلف خضراءهم وغضراءهم وذلك سنة ٥٨٦ ق م .

تفرق القوم بعد هذه النكبة تحت كل كوكب حتى ضربت الامثال بتفرقهم فقيل لكل قومٍ انبت حبلهم وانتثر عقدهم كأنهم شتات اليهود بعد السبي . غادرت مواكب الأسرى ـ وكانت من صفوة القوم ـ بلاد ابائهم وديار اجدادهم وهم يرنون الى معاهدهم ويودعون عاصمتهم ويتعفرون لآخر مرة في ثرى مقدسهم ويكتحلون برؤية هيكلهم وفخامة معبدهم فقطعوا المسافة الشاسعة التي تفصل بين فلسطين وبابل وحطوا رحالهم في بلاد بين النهرين وتفرقوا في بلاد بابل وآشور وبلاد ماذي وانضموا الى ابناء جلدتهم الذين حلوا قبلهم تلك الديار . لم يذكر الكتاب المقدس ولم يرد في التاريخ عدد اليهود الذين نفاهم نبوكدنصر الى بلاد الكلدان ولكن يظهر من وقائع التاريخ ان عددهم كان كثيراً اذ رجع منهم الى اورشليم في عهد كورش في القافلة الاولى برياسة زربابل ٤٢٣٦٠ شخصاً و٧٣٣٧ عبداً وتبعهم بعد ذلك جم غفير .

لم يعد البابليون اليهود عبيداً في منفاهم ولم يثقلوا وطأتهم عليهم بل كانوا يحسبونهم



جماعة من تجار اليهود

بلباسهم الخاص بهم

غرباء ويجاملونهم . وكانت شرائع البلاد تجيز لهم ان يتسنموا المراتب الرفيعة في المملكة وقد كسب دانيال النبي شهرة بعيدة بين رجال الحكومة ونال منزلة سامية في القصر الملكي فأثارت عليه حسد اشراف القوم فدبروا له التدابير المهلكة لكنه نجا منها وزادت منزلته رفعة . وغاية ما نقل على اليهود وتظلموا منه طلب البابليين اليهم ان يغنوا لهم الاناشيد المرصودة لأعيادهم . ومما لاريب فيه انهم اشتغلوا بالمباني التي اقامها نبوكدنصر في بابل وجملوا العاصمة بطرف صنائعهم .

ان الجالية اليهودية في بابل ابتاعت اراضي وزرعتها وغرست فيها اشجاراً وانشأت حدائق وجناناً واشترت حقولاً وحرثتها وأسست قرى على ضفاف الانهر فسكنتها وبنت بيوتاً قوراء لجأت اليها . وكان لشيوخ اليهود في بابل نفوذ على قومهم كما كانت منزلتهم بين شعبهم في فلسطين . ومن هذه الحال يستنتج ان الجالية اليهودية كانت تسوس نفسها في الجلاء سياسة خاصة بها وتعاطى فريق منهم التجارة واكبر دليل على ذلك اخبار البنك اليهودي البابلي الذي نسرد حكايته كما يأتي :

في سنة ١٨٧٤ عثر احد الاعراب في اطلال « الجمجمة » (١) على جرار

---

(١) الجمجمة نسبة الى اسم قرية في بابل يدعو العرب اطلالها تارة باسم تل عمران بن علي نسبة الى قبر هناك لأحد اولياء المسلمين وطوراً باسم الجمجمة . وقد قدر المستر ريج مساحتها بـ ٨٠٠ في ١١٠٠ يرد وقد قال لا يرد لا يشاهد هنا بناء كما في الجبابة (المقيلبة قرب بابل) . واذ كان هناك بقية باقية من البناء فانها قد تلفت بملح البارود (الشورة) وتبعد هذه الآثار نحو نصف ميل عن غربي القصر وهو المكان الذي حفر فيه كلدواي

عديدة من الطين المشوي قد صانتها ايدي الزمان وطوارق الحدثان وكانت مسدودة سداً محكماً فاعتراه الوله وغشيه البله عند ما فتحها وشاهد فيها عدداً كبيراً من صفائح الآجر منقوشاً عليها بخطوط اشبه شيء عنده بطلاسم سحرية . ولكن لم يجهل الاعرابي قيمة هذا الكنز اذ كان قد شاع يومئذ عند قبائل البدو المنتشرين في وادي الرافدين ان للآجر المكتشف في اطلال العراق سوقاً رائجة فأخذ الركاز وتوجه به الى بغداد وباعه هناك الى احد تجار العاديات . وكان في ذلك العهد الاثري الشهير جورج سميث الانكليزي (١) ينقب في بابل فابتاعها من التاجر العراقي لدار التحف البريطانية . وكان عددها نحو ٣٠٠٠ آجرة ، يختلف كبرها اختلافاً بيناً فيتراوح بين عقدة واحدة مربعة واثنتي عشرة عقدة مربعة ولكن العلامة الانكليزي لم يعلم بادئ بدء قيمة الدرر التي ظفر بها عفواً حتى فحصها فحصاً دقيقاً وكشف مخبأها فطار فرحاً ، اذ علم انها سلسلة تاريخية ثمينة لاحد البيوت التجارية العريقة في القدم .

وهي صور معاملات وعقود تجارية ومالية وصفائح وسندات تخص المعهد التجاري

الالماني ووجد قصور ملوك بابل فان الطريق من الزاوية الجنوبية الغربية من القصر الحتل عمران يمر بهضبة صغيرة فيها بقايا ابنية لبن من عهد البرثيين . ووراء ذلك صف من الروابي فيها خرائب بيوت بابلية من الآجر

(١) هو الاثري الانكليزي الذي نقب في بابل سنة ١٨٧٣ على حساب اصحاب جريدة « دبلي تلغراف » وعاد ثانية سنة ١٨٧٤ وثالثة سنة ١٨٧٦ .

اجيبي واولاده او سن موباليت (١) . ويظهر ان مؤسس هذا المعهد كان من ذوي اليسار والكلمة الراجحة في بابل وقد بقي معهده قروناً عديدة يتعاطى الاشغال المختلفة ويقوم بالمعاملات الكبيرة والصغيرة ويقرض مبالغ جزيلة وطفيفة وله حسابات مع اقطاب المملكة وسواد الامة ، وكان يتقاضى الضرائب لحساب الحكومة .

ويشهد على العقود التي تتم بين متعاقدين (بالتثنية) اومتعاقدين (بالجمع) . ويبيع بالنسيئة ويحول التحاويل من مدينة الى اخرى . ومن العجيب ان في صفائح العقود يذكر تاريخ اليوم والشهر والسنة التي تم فيها العقد .

ويظهر ان مؤسس هذا المعهد عاش في عهد الملك سنحاريب سنة ٦٨٥ قبل المسيح وبلغ معهده قمة عزه في الغنى والنفوذ في عهد الملك نبوكدرآصر (٢) اي نحو قرن بعد تأسيسه .

وان اجيبي شرك معه في اعمال معهده اولاده وهو في قيد الحياة . ومن الذين اشتهروا من اعضاء هذه الاسرة باعمالهم وحازوا منزلة رفيعة وفاقوا سائر اعضائها ثلاثة اشخاص وهم : نبو نيادينا وابنه اتي مردوخ بالاتو وحفيده مردوخ نصر ابلو .

كان قد ارتأى المؤرخون سنة ١٨٧٨ ان بيت اجيبي دام الى عهد دارا

---

(١) يظهر ان للبابليين اسمين الواحد رسمي والاخر خاص .

(٢) نبوكدآصر او نبوكدنصر الثاني تولى عرش بابل من سنة ٦٠٤ الى سنة ٥٦١ قبل المسيح .

هستشب فقط(١) وان آخر عهد له كان مرودخ نصر ابلو. ظهر اسم هذا الرجل في اعمال البيت في السنين الاولى من ملك دارا وبقي عاملا مجداً في رقيه حتى السنة الخامسة والثلاثين . الا ان العلامة دلج ابان سنة ١٨٨٢ ان المصرف المذكور دام الى بعد فتح اسكندر الكبير وقد وصل الى هذه النتيجة المهمة والاكتشاف الكبير بتصفحه مئات من صفائح الآجر التي اقتناها المستر هورمزد رسام واضافها الى المجموعة التي ظفر بها المستر سميث سابقاً وعليه يكون محل إجيبي قد اشتغل نحو اربعة قرون متوالية وقد رأى التقلبات السياسية والحملات الكبيرة في عهد ملوك مختلفين ولم يصبه شيء من الاذى في وسط تلك العواصف السياسية لان البابليين كانوا يحترمون التجار والتجارة ويسهلون طرق الاعمال الاقتصادية .

ولم اذكر معهد إجيبي واولاده في كتابي وابحث عن تاريخه الا لما له من علاقة بتاريخ يهود العراق . فان الاثريين يذهبون الى ان اسم إجيبي تصحيف اسم يعقوب اليهودي ونخص بالذكر من الذين ذهبوا هذا المذهب المعلم فردريك دلج . ومن ثم استنتجوا ان مؤسس هذا المعهد كان يهودياً من الاسرى الذين ساقهم سرجون الملك من السامرة الى بابل . وقد لاحظ المعلم دلج ان كثيراً من اسماء المتعاقدين التي وردت منقوشة على الآجر هي بلا مرية اسماء يهودية . فاذا صح هذا الرأي وثبت هذا التعليل يحرز يهود العراق فخر تأسيس اول معهد تجاري عظيم في العالم وانشاء اول مصرف « بنك » . ويظهر من اعماله ما كان عليه القوم

(١) ملك فارسي من السلالة الكيانية تولى الحكم من سنة ٥٢١ الى ٤٨٥ ق.م

من النفوذ والمنزلة عند البابليين حتى في اسرهم . (١)

ولم تقتصر همة اليهود في بابل على الزراعة والتجارة كما بينا بل تفرغت طائفة منهم للمهن والصناعات المختلفة وقصارى الكلام ان اليهود اقاموا لهم وطناً ثانياً ووجدوا في بابل مضماراً لنشاطهم ولم يركنوا الى البطالة الشائنة والكسل المذل بل بذلوا وسعهم في رقي مجتمعهم الجديد وذلك اخذاً بنصائح ارميا النبي الذي كان ينظم الشعر ويصوغ القوافي ويكتب القصائد حاثاً قومه على الشغل في ارض غربتهم : هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل لكل السبي الذي سبيته من اورشليم الى بابل ، ابنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها . خذوا نساءً ولدوا بنين وبنات وخذوا لبنيكم نساءً واعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات واكثروا هناك ولا تقلوا (ارميا ٢٩ : ٤ ـ ٦) .

تركنا في سجن بابل يهوياكين ملك يهوذا . وبعد ان مرت عليه ست وثلاثون سنة في تلك الحال الموجعة عطف عليه ملكها افيل مردك (وجاء اسمه في التوراة أويل مرودخ) في سنة تملكه ورفع رأس يهوياكين ملك يهوذا من السجن وكلمه بخير وجعل كرسيه فوق كراسي الملوك الذين معه في بابل وغير ثياب سجنه وكان يأكل دائماً الخبز امامه كل ايام حياته ووظيفته وظيفة دائمة تعطى له من عند الملك امر كل يوم بيومه كل ايام حياته (ملوك ٢٥ : ٢٧ — ٢٩)

وكان اليهود في ارض منفاهم يعللون نفوسهم بانفراج الازمة ويتوقعون الخلاص من

(١) راجع كتاب Z. A. Ragozin : Media page 244

تلك النكبة التي فتت في عضدهم . وكانت كتابات انبيائهم توطد رجاهم واسفار اشعيا وحزقيال تكرر بشائر النجاة القائلة بسقوط بابل وزوال ملكها وامحاق عزها واندثار مجدها .

وكانت هذه الفكرة قد انتشرت بين اسرى شعوب اخر سبوا الى بابل وتمهدت سبل الضعف وراجت وسائل الانحلال في مملكة الكلدان بسبب القلاقل والفتن التي ثارت في عهد خلفاء نبوكدراصر .

فان دولة بابل بين موت نبوكدراصر (٥٦١ ق . م) وبين انقراض الدولة (٥٣٨ ق . م) كانت اشبه شيء بشمس المساء المنحدرة وراء افق الغروب . فقتل افيل مردك خليفة نبوكدراصر بعد ان ملك سنتين (٥٥٩ ق . م) وعقبه نرجل شراصر وعرف عند اليونان باسم نرجيلاصر وملك اربع سنوات. وملك بعده ابنه الصغير لاباشي مردك وقتل بعد تسعة اشهر بمؤامرة. ونصب مكانه نبوناهيد (٥٥٥ ق.م) وهو ابن رب ماك رئيس الكهنة ، وامه نيتوكريس فقام كورش على نبوناهيد ملك الكلدان وفتح بابل سنة ٥٣٨ ق . م . فانقرضت مملكة بابل ودخل كورش بلاد الكلدان دخول منقذ ، واظهر لسكانها من وطنيين وغرباء احرار وعبيد من الولاء اجله ومن الخنوع ارقه فاستقبله القوم على اختلاف نزعاتهم وتباين جنسياتهم استقبالاً يشف عن وداد وحب .

وكان ارميا النبي يكتب في نبواته تاريخ سقوط بابل اذ قال : سيف على الكلدانيين يقول الرب وعلى سكان بابل وعلى رؤسائها وعلى حكمائها . سيف على المخادعين

فيصيرون حمقاً . سيف على ابطالها فيرتعبون . سيف على خيلها وعلى مركباتها وعلى كل اللفيف الذي في وسطها فيصيرون نساءً . سيف على خزائنها فتنهب . حر على مياهها فتنشف لانها ارض منحوتات هي وبالاصنام تجن . لذلك تسكن وحوش القفر مع بنات آوى وتسكن فيها رعال النعام ولا تسكن بعد الى الابد ولا تعمر الى دور فدور (٥ : ٣٣ — ٣٩)

وقد كان سقوط بابل مفتتح تاريخ جديد في العالم وابتداء دور سعد في حياة اليهود.

الى هنا نقف في هذا الفصل وسنتكلم عن تأثير الجلاء على آداب اللغة العبرية وكتابات الانبياء وروحية الشعب العبري في فصل نعقده بعد هذا بعنوان « اللغة العبرية وآدابها في بابل » نتوسع فيه في البحث عن المدارس اليهودية في العراق .(١)



(١) قد اعتمدنا في كتابة هذا الفصل : على الكتاب المقدس وتاريخ هيرودوتس ويوسيفوس و F. Lenormant : Histoire Ancienne de l' Orient.
G. Mespéro : Histoire Ancienne des peuples de l' Orient.
J. Vandervost : Israel et l'Ancien Orient.
H. Craetz : History of the Jews.

يهود العراق

في

عهد الماذيين والفرس

دخل تاريخ اليهود في دور جديد باستيلاء السلالة الكيانية (١) على بابل ولاحت لهم تباشير السلام من مضايق البلاء وبدأت فوائح الفرج من مغالق الاسر فعطف عليهم كورش واذن لهم بان يرجعوا الى وطنهم اورشليم مطمح آمالهم وان يبنوا الهيكل . ولبى مبتغاهم واعاد اليهم اواني الذهب والفضة التي سلبها نبوكدراصر من قدس اقداسهم ولم يقصر في شيء من مبلغات النجح بل افاض عليهم سجال عرفه وتابع لهم احسانه وعهد بولاية فلسطين الى زربابل احد احفاد يهوياكيم ولقبه بلقب «بهاء» ومعناه الحاكم بالفارسية وقيل انه اقام والياً رجلاً اسمه شيشبصر (٢).

واليك المرسوم الذي اصدره كورش في أمر الاسرائيليين : قال كورش ملك فارس جميع ممالك الارض دفعها الي الرب اله السماء وهو اوصاني ان ابني له بيتاً في اورشليم التي في يهوذا من منكم من كل شعبه . . . ليكن الهه معه ويصعد الى اورشليم التي في يهوذا فيبني بيت الرب اله اسرائيل هو الاله الذي في اورشليم وكل من بقي في احد الاماكن حيث هو متغرب فلينجده اهل مكانه بفضة وبذهب

(١) أسس هذه السلالة هاخمنيش سنة ٦٥٠ ق . م واصله شيخ قبيلة فسركاد Pasargadea
(٢) راجع عزرا ٥ : ١٤

وبامتعة وبهائم مع التبرع لبيت الرب الذي في اورشليم (عزرا ١ : ٢ — ٤) وراجع سفر الاخبار الثاني ٣٦ : ٢٢ و٢٣ .

وجاء في سفر اشعيا في الاصحاح الخامس والاربعين : هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي امسكت بيمينه لأدوس امامه امماً واحقاء ملوك الخ (١)

لما حصل اليهود على امنيتهم وظفروا ببغيتهم لم يرجع منهم الى فلسطين الا برض من عدٍ (٢) وسافر اول مرة برعاية زربابل ٤٩٦٩٧ شخصاً وتبعهم غيرهم . وكان الظاعنون من رجال الكهنوت واللاويين وخدمة الهيكل (٣) ومن الذين لم يكن لهم زرع ولا ضرع ولا ملك ولا تجارة في بابل ومن الذين اغلقت في وجوههم سبل العيش وسدت ابواب الرزق واما رجال التجارة والاعمال والزراعة فانهم اختاروا البقاء في بابل يرتعون في بحبوحة الهنا ويدأبون في زيادة ثروتهم وانماء غنائمهم تشهد بذلك اسماء الموقعين عقود البيع والشراء في عهد دارا (٥٢١ـ ٤٨٦ ق م) وارتحشتا الاول (٤٦٥ — ٤٢٤ ق . م) اذ فيها عدد وافر من الاسماء اليهودية (٤)

(١) القسم الاخير من سفر اشعيا من الاصحاح الاربعين الى نهايته وهو وان نسب الى اشعيا النبي القديم فانه تأليف احد الكتبة الذين وجدوا في زمن الجلاء واتفق علماء الكتاب على ان يطلقوا عليه اسم اشعيا الثاني
(٢) Isidore Loeb : Reflexions sur les Juifs (٣) سفر عزرا
(٤) J. Vandervost : Israel et l'Ancien Orient

وكان لاحجام جماعات اليهود عن الرجوع الى اورشليم اسباب جمة ماعدا الاشغال منها ان قسماً منهم كانوا قد الفوا الحياة البابلية والفوا البيئة التي نزلوها ومنهم من لم يكترث بامور الدين ومنهم من كان يتوقع نزول نبوات ومعجزات تنبئ نبأ واضحاً بزوال عهد الجلاء (١)

ومن حدسيات المؤرخين ان كورش امطر غيث جوده على اليهود مكافأة لهم على مساعدتهم الفرس في فتوح بابل او انه اراد ينشئ دولة جديدة في فلسطين تحت سيطرته تكون حداً فاصلاً بين الفرس والمصريين (٢) . ومما زاده رأفة بهذا الشعب المشابهة الموجودة بين عقائد اليهودية ودين زرادشت .

ان هذه الاراء تحتاج الى تمحيص وريب في صحتها ولاسيما ان كورش اظهر مثل هذه المروءة لجميع شعوب بابل لابل حامل جميع الاقوام الذين دوخهم وعطف عليهم حتى انهم دعوه اباهم .

ولما مات كورش وتبوأ عرش الملك احشويرش وشى الوشاة باليهود الى الملك وقالوا له ان هذا الشعب كان في كل وقت يشق عصا الطاعة ويثور فان فسحت لهم في بناء اسوار المدينة ثاروا عليك . فوجدت هذه الوشاية آذاناً صاغية من الملك وامر عماله في السامرة ان يوقفوا اليهود عن العمل . فنفذوا هذا الامر ولم يكن بناء الهيكل الا في البداءة .

وبقيت مقاومة السامريين لليهود في شأن بناء هيكلهم واسوار مدينتهم الى نهاية ملك

(١) Encyclopaedia Biblica P. 1108 .

(٢) P. M. Sykes : A History of Persia.

احشويرش وارتحشستا . وقد حاول بعض العلماء ان يقولوا بان احشويرش المذكور في كتاب اليهود هو قنبوسيا (١) وان ارتحشستا هو سميرديس (٢) .

ولما جلس دارا على اريكة الملك استأنف اليهود مساعيهم عنده وبينوا له في السنة الثانية من ملكه ان رجوعهم الى بلادهم كان بمرسوم اصدره كورش العظيم . وكانت نبوات حجي وزكريا قد ايقظت هذه الفكرة في ابناء قومها . فامر دارا ان يبحث عن هذا المرسوم ففتشوا في بيت الاسفار حيث كانت الخزائن موضوعة في بابل فوجد في احمثا (٣) في القصر الذي في بلاد ماذي (٤)

(١) قد اخفق هذا الرأي اليوم . اما قنبوسيا فهو ملك من السلالة الكيانية وهو ابن كورش الكبير وامه كسندانا من بنات الكيانيين . حكم ثماني سنوات ٥٢٩ — ٥٢١ ق . م .

(٢) سمرديس اوغوماتا Gaumata خرج على الملك قنبوسيا وحكم سنة ٥٢١ ق.م ومات فيها وعقبه دارا .

(٣) احمثا هي مدينة اكبتانا وهمذان الحالية وكانت عاصمة بلاد ماذي .

(٤) بلاد ماذي . جاء ذكر ماذي والماذيين مراراً كثيرة في العهد القديم . ورد في سفر التكوين (١٠ : ٢) اسم ماذاي من ابناء يافث . وفي الملوك الثاني (١٧ : ٦) (١٨ : ١١) في البحث عن اسرى اسرائيل الذين اسكنهم شلمناصر ملك آثور مدن ماذي . وفي اشعيا (١٣ : ١٧) اذ قال هاءنذا اهيج عليهم الماذيين الذين لايعتدون بالفضة ولا يسرون بالذهب وكذلك في السفر عينه (٢١ : ٢) اذ قال:

ان اليهود الذين اختاروا السكنى في بابل وبلاد ماذي اصبحوا في رخاء من العيش في عهد خلفاء كورش لابل حازوا المناصب الرفيعة في قصر الملك في شوشن . ومن من القراء لم يسمع بحكاية استير اليهودية امرأة احشويروش الذي تبوأ عرش ماذي سنة ٤٨٥ وكيف توسطت في خلاص شعبها من القتل وردت كيد همان في نحره وسعت في اعلاء كعبة ابن عمها مردوخاي عند الملك وحصلت على امر ملكي يجيز لليهود ان يدافعوا عن نفوسهم ان قام عليهم الفرس . فقتلوا من الفرس في بلدان الملك خمسة وسبعين الفاً (١) فيظهر من القتلى ان عدد اليهود كان كثيراً في بلاد ماذي حتى تمكنوا من قتل خمسة وسبعين الفاً . ويحتفل اليهود ذكرى هذا اليوم في الرابع عشر والخامس عشر من شهر آذار وينزلونه منزلة عيد قومي كما يحتفل الفرنسيون باليوم الرابع عشر من شهر تموز « وهو عيد البوريم » .

ومن الذين نالوا في شوشن منزلة رفيعة نحميا بن حكليا من سقاة الملك ارتحشستا

اصعدي ياعيلام حاصري ياماذي . وقال ارميا (٢٥:٢٥) وكل ملوك ماذي وكذلك جاء ذكر فارس مراراً عديدة كلها متحدة اتحاداً موثق العرى بماذي ولاسيما في كتاب دانيال واستير . فالماذيون والفرس الذين ذكرهم الكتاب المقدس كانوا يسكنون في الاعصر التاريخية قسماً من بلاد ايران فقط وهو القسم الذي يمتد من الغرب الى الشرق من جبال الزقر الى الهندوكوش والاندس . ويمتد من الشمال الى الجنوب من بحر قزوين وقفار توران الى خليج فارس .

(١) سفر استير

الاول . ولما علم نحميا من اليهود القادمين من اورشليم حال المدينة وما هي عليه من الخراب توسل الى الملك ان يحسن اليه ويرسله الى يهوذا ليتم بناء وطنه فاجاب الملك ملتمسه واعطاه من كتب الوصايا الى العمال ما روج بغيته (١) وذلك سنة ٤٤٥ ق.م وبعد زمن اي في سنة ٣٩٧ نشاهد عزرا بن سرايا كاتب شريعة اسرائيل يغادر بابل ومعه ١٤٩٦ رجلاً و٣٨ لاوياً و٢٢٠ عبداً . وبعد سفر طال خمسة اشهر حط رحاله في اورشليم وكان معه رسائل وصايا من الملك ارتحشستا الى عمال الفرس في عبر الاردن ليساعدوه ويدفعوا اليه ذهباً وفضةً لبناء الهيكل (٢) . وكان عزرا المذكور مزوداً بالسلطة الملكية الخارقة العادة لاصلاح شؤون اليهود في فلسطين (٣) كل هذه الحوادث تدل على منزلة اليهود في بابل (٤) في عهد الدولة الكيانية منزلة ليس وراءها مطامع لناظر ولا زيادة لمستزيد .

وتخلل حكم السلالات الفارسية المختلفة في العراق حملات قام بها اليونان والرومان واستولوا على هذه الديار وسادوا فيها عهداً وتركوا من آثار حضارتهم ولاسيما من آثار الحضارة الالانية قسطاً وافراً في وادي الفراتين .

---

(١) سفر نحميا (٢) راجع سفر عزرا (٣) تبعنا في تدقيق سني نحميا وعزرا العلامة المسيو فان هوناكر الذي اثبت صحة هذا التدقيق في فصول ممتعة نشرها بعناوين مختلفة اقنعت العلماء الكتابيين (٤) يطلق التلمود اسم بابل على البقاع التي يرويها دجلة والفرات وعلى كل بلاد النهرين وقسم من ارمينية الكبرى وعلى بلاد متاخمة لها واقعة في شرقي دجلة (نقلاً عن كتاب لابور : النصرانية في المملكة الساسانية)

استولى الاسكندر الكبير على بابل بعد وقعة اربل الشهيرة سنة ٣٣١ ق . م فاستقبله الاهلون على الرحب والسعة وصافح تمثال الاله بل وأمر ببناء الهياكل التي هدمها احشويرش فاعجب البابليون . وجاء في التاريخ انه اكره يهود بابل على الاشتراك في بناء هيكل « بل » (١) وعاملهم بقسوة وجلدهم واغرمهم غرامة مالية الا ان اليهود تداركوا الامر واسترضوا الفاتح الكبير فصالحوه ودخل عدد منهم في جيشه وحاربوا مع المقدونيين جنباً لجنب (٢) .

وقد روى يوسيفوس المؤرخ في كتابه العاديات اليهودية اموراً عن اليهود واسكندر ومما قاله ان يهود اورشليم طلبوا الى الفاتح ان يسمح لليهود في بابل وبلاد ماذي ان يسيروا حسب سننهم . الا انه لم يذكر احد كتبة سيرة الاسكندر هذه المسئلة ولهذا ارتأى الاستاذ هوبلر ان القصة موضوعة وضعها اليهود المتأثنوذاي الذين اقتبسوا العادات اليونانية في القرن الاول بعد المسيح لكي يثبتوا ان علاقة اليهود باليونان قديمة من عهد الاسكندر .

ان تاريخ يهود العراق يأخذ بنا في هذا الموقف الى الالماع الى الحركة العظيمة التي انتجتها فتوحات اسكندر الكبير في اواخر القرن الرابع قبل المسيح وهي تألن (٣)

---

(١) راجع ص ٢٩ من هذا الكتاب وقد ورد هناك تاريخ السنين غلطاً وصحيحه ٣٣١ — ٣٢٣ ق . م

(٢) Jean Juster : Les Juifs dans l'Empire Romain T. 1, 265

(٣) عرب بعض الكتبة لفظة Héllénisme بالهلنية الا اننا نفضل تعريبها بالألنية لأن العرب عرفوا هذا القوم باسم « اللن » كما ورد في تاريخ ابي الفداء ج ١ ص ٨٤

الشرق اي نفوذ الافكار والآداب والحضارة الألنية على شعوبه ولغاتهم ولم يستثن من هذا النفوذ الشعب اليهودي ولغته . وقد كانت حصة يهود فلسطين كبيرة من هذه الحركة واما حصة يهود بابل وبين النهرين منها فكانت ضئيلة وقل من اهتم بدرسها والتوسع فيها (١) .

وقد شاهد يهود بابل سلوقس (٢) ينقل حاضرة بابل الى مدينته الجديدة التي تبعد ٦٣ ميلاً عنها وانتقلوا هم ايضاً الى سلوقية عاصمة الدولة اليونانية في بلاد فارس الراكبة على شق دجلة . وكان ينشق منها نور مدنية جديدة يتدفق متصبباً على انهار ارض شنعار القديمة وجنانها . فاضحت لهم مقاماً جديداً يأنسون بحضارته ونضارته . وقد كان ليهود بابل في عهد السلوقيين منزلة كبيرة فكانوا يسكنون المدن الكبيرة مع بقية العناصر جنباً لجنب وكانت لهم مدن خاصة بهم .

ومن الحجج الناصعة على منزلة يهود بابل وبين النهرين عند اليونان تلك الرسالة التي بعث بها انطيوخوس الثالث الملقب بالكبير (٢٢٣ ـ ١٨٧ ق . م) الى زوش (زوكسيس Zeuxis)مرزبان ليذية اذ يقول فيها: لقد عزمت على ان آخذ من بين النهرين

---

(١) Encyclopaedia Biblica Page 1114

(٢) بنى سلوقس مدينة سلوقية بين سنة ٣١١ و ٣٠٢ ق . م . وقد ارتأى بعض الكتبة ان الباعث الذي دفع هذا الملك الى بنائها كان ميله الى انتشار الألنية في البلاد وابعاد البابليين عن عاصمتهم القديمة التي كانت مركزاً للمأثورات البابلية والتقاليد الكلدانية .

وبابل التي امرة يهودية مع اجهزتها الحربية وابعثها حامية واضعها في المواقع المهمة كل الاهمية. وقد تحقق عند سلفائي امانة اليهود وطاعتهم العاجلة للاوامر التي يتلقونها (١)

رأى يهود العراق تقلبات الممالك ، وشاهدوا توالي الدول على هذه الاقطار ، وشاطروا حظوظ اهل هذه الديار ، وحضروا الخطوب الجسام ، والحوادث العظام. ومما هو حري بالذكر انهم ابصروا نشأة الدولة البرثية (٢) واستيلاءها على العراق وما وقع في عهدها من الوقائع والاخبار .

أسس الدولة البرثية ارشك او اشك الذي كان يتولى زعامة طائفة من الناس خرجوا من سهول ايران ومفاوزها واجتاحوا بلاد البرثيين (٣) في منتصف القرن

(١) راجع Jean Juster : Les Juifs dans l' Empire Romain Tome. 2, 268

(٢) لانجد ذكر البرث في كتب العرب لانهم دعوهم الفرس « بفتح الفاء » تمييزاً لهم من الفرس « بضم الفاء » الحقيقيين وعرفوا مملكتهم الارشغانية نسبة الى زعيمهم المذكور ارشك اواشك اوارشاغ .

(٣) ان بلاد البرثيين الاصلية كانت واقعة في ارض خراسان الحالية اي انهـا كانت تمتد في الجهة الغربية من دامغان في الدرجة ٥٤ والدقيقة ٢٠ من خطوط الطول وفي الشرق من هري رود اونهر هراة وكانت تشمل المقاطعات الحالية دامغان وشاه رود وشبزوار ونيشابور والمشهدوندشين وشبري نو وكان طولها من الشرق الى الغرب نحو ثلاثمائة ميل وعرضها يتراوح بين ١٠٠ ميل و١٢٠ ميلاً تقريباً وعليه تكون مساحتها المربعة نحو ٣٣٠٠٠ ميل مربع .

الثالث قبل المسيح . وما زالت دولتهم تتسع بما كانوا يستولون عليه من اقاليم الدولة السلوقية واقطار الدولة اليونانية البلخية حتى ضمت ايام عزها بين احنائها كل مدن مملكة ايران الحديثة ومعظم بلاد الافغان وقسماً وافياً من تركية آسية ، واقاليم متسعة من املاك روسية الحالية . ونرى من هذا الوصف ان بلاد ماذي ، والعراق ، وبابل ، وآثور كانت ايضاً من املاك تلك الحكومة اومن الامارات المتعلقة بها .

لم يكن للدولة البرثية نظام واحد تحكم به كل الاقطار وتسوس كل الشعوب الذين دخلوا في حوزتها بل كان نظامها يختلف باختلاف الاصقاع والاقوام حتى ان بعض المدن كانت مستقلة استقلالاً ادارياً وسياسياً ولم يكن للبرثيين عليها الا خراج تتقاضاه . وكانت المدن التي شيدها اليونان في العراق على هذا النمط ، ولا سيما سلوقية على شق دجلة .

وكان لليهود في المملكة البرثية مايضاهي ذلك الاستقلال والحكم الذاتي . ففي المدن التي كان لهم فيها طائفة كبيرة كان لهم استقلال بلدي ، وحق انتخاب قضاة ، وحارة خصوصية بسكناهم هذا كان شأنهم في بابل ، وسلوقية ، وطيسفون . اما في المدن التي كان يسكنها اليهود فقط فكان لهم من الاستقلال ما كان للمدن اليونانية بدون فرق .

وكانوا يقومون بأمور دينهم وشعائر مذهبهم بكل حرية . لابل كان امير حدياب وهي عند العرب حزة (١) دان باليهودية في القرن الاول للمسيح وكان اسمه ازاط .

(١) جاء في معجم البلدان حزة بليدة قرب اربل من ارض الموصل ...... كانت قصبة كورة اربل قبل .

وقد ارسلت امه هيلانة بقمح الى اورشليم مساعدة اليهود في مجاعة حدثت هناك . وللامير المذكور اخبار حروب لها منزلة خطيرة في تاريخ الدولة البرثية لامحل للاستفاضة فيها هنا .

وقد اشتهرت مدينة نهردعة على الفرات في تاريخ اليهود . كانت تلك المدينة آهلة بالقوم وكانوا قد اتخذوها مركزاً لشعبهم يجمعون فيها حسنات يهود العراق وبلاد ماذي وفارس ويرسلون بها بني جلدتهم في اورشليم مع جماعة من القوم يبلغون نحو ٣٠٠٠٠ او ٤٠٠٠٠ رجل من حملة السلاح . وقد اشتهرت مدرستها الدينية كما اشتهرت مدرسة سدرا « وتعرف عند العرب بسورا » ومدرسة « باديثا » وهي جبة الحالية على الفرات وكانت تعرف قبل عهد العباسيين باسم جبرة » (١) .

ومن غريب وقائع اليهود التي حدثت في عهد الملك اردوان الثالث (حكم من سنة ١٠ الى سنة ٤٦ بعد المسيح) ان اخوين من اليهود واسم احدهما آسينا والاخر آنيلا كانا من سكان مدينة نهردعة قد شقا عصا الطاعة على الحكومة والفا عصابة من المتشردين وقطاعي الطرق اتخذوا مقامهم في صقع كله مستنقعات منحصر بين ساعدين من سواعد الفرات واخذوا يهاجمون القوافل والرعاة والتجار وغيرهم من سكان الاقاليم المتاخمة فيسلبون وينهبون ويتقاضون الفدية منهم . ولما تفاقم امرهم وتطايرت شرر شرهم بعثت اليهم الحكومة البرثية قوة من الجيش للقصاص والتأديب . ولكن الجيش مني بالخسائر ورد على اعقابه مندحراً .

(١) نبحث عن جغرافية هذه المدن في الفصل الآتي .

ولما كانت الحروب قائمة على ساق وقدم في المملكة وقد فتقت الفتوق على اردوان الملك ارتأى ان يسالم العصابة ويتفق مع زعيميها فدعاهما الى قصره واقام اسينا على مرزبة بابل (١) . وبقي نحو ١٥ سنة في هذا المنصب الرفيع يعاونه اخوه انيلا في مهمته . وهو يدبر امور مرزبته بغيرة لا تكل ، وعزم لا يفل ، وحكمة لا تبارى .

اما انيلا فانه بعد مضي ذلك الوقت شغف بامرأة احد اشراف البرثيين . ولعب الهوى بعواطفه فلم يتمالك بل كاشف العداء لزوجها وقتله وتزوج بعد مدة حبيبته البرثية . واباح لها ان تقوم بشعائر دينها الوثني في بيته . فاغتاظ اليهود من هذا التساهل الذي ادخل به الوثنية في بيت اسرائيل . ورفعوا شكواهم الى آسينا ورغبوا اليه ان يغصب اخاه على تطليق امرأته فكاد يلبي طلبهم ، فشعرت المرأة بما خبأ لها المستقبل من دواعي العار فقتلت سلفها سراً بما دسته له من السم .

فاستأثر انيلا بالسلطة بعد وفاة اخيه وربما كان ذلك بدون تأييد الملك له في المنصب المذكور . ولم يكن حاكم بابل الجديد على شيء من الحجى والدربة بل غاية ما كان قد عرف به طبعه الميال الى النهب والغزو . فلم يستقر به الحال حتى سمح لاصحابه ان يجتاحوا اراضي مرزبان يجاوره اسمه مهرداد (مثرداد) . ولم يكن هذا

(١) كانت بابل تمتد من خليج فارس او من مصب الفرات الى اقصى حدود الغربال الشمالية اوالى جوار هيت على الفرات وسامرا على دجلة بمسافة تناهز ٤٠٠ ميل وكان متسع عرضها نحو ١٨٠ ميلا ولا يتجاوز معدل عرضها ستين او سبعين ميلا ومن المحتمل ان مساحة ذلك القطر لاتزيد عن ٢٥٠٠٠ ميل مربع .

من اشراف البرثيين فقط او من علية حكامهم بل كانت لحمة النسب تربطه ببيت الملك.

وكانت زوجته بنت اردوان الثالث فقام يدافع عن حياض مرزبته وجهز الجيش وأعد العدد ونزل ميدان القتال . الا ان الحاكم اليهودي هجم ليلاً على معسكره على حين غفلة منه وكسر جيوشه شر كسرة واسره .

فأمر انيلا ان يجلد مهرداد (مثرداد) عرياناً ويشهر راكباً حماراً بمرأى من الجنود وبعد ان حبسه زمناً واذاقه مر العذاب اطلق سراحه وسمح له بالرجوع الى مرزبته فقص هناك على امرأته ما تكبده من الاجحاف والاعتساف والاهانة من انيلا . فاغاظت مرويانه امرأته وثقلت عليها احاديثه فاقنعته ان يحشد جيشاً وينتقم من ذلك العاتي .

حملت جيوش مهرداد حملتها على ابل الا ان القائد اليهودي دفعته كبرياؤه الى ان يترك المستنقعات التي كانت لجيشه معقلاً طبيعياً وتقدم نحو عشرة اميال في مفازة وانهك قوى جيشه في اشتباكه مع عدوه بعيداً عن ملاجئه الطبيعية فانكسر وولى الادبار .

فلما رأى انيلا فشله اراد ان ينتقم من سكان بابل لعلمه انهم خرجوا من حكمه . فجمع عصابة من الزعانف واخذ يهدد البابليين ويزعج راحتهم . فطلبه البابليون من سكان نهردعة وجرت المفاوضة بين الطرفين واسفرت عن ان البابليين وقفوا على احوال انيلا وعصابته وخفايا احوالهم فباغتوهم ليلاً وهم سكارى او نائمون وضربوهم ضربة قاضية فاستأصلوهم عن آخرهم .

انهت حياة انيلا وعصابته ولكن الويلات التي جرتها على الامة اليهودية في العراق بقيت تسحب اذيالاً من الهوان طوالاً . كان بين البابليين واليهود المقيمين في بابل شيء من العداء الطبيعي لما بين القومين المتوطنين من الاختلاف في الدين والشعور والعادات . وكثيراً ما كان يفضي الى ثائرة تثور بينهم ان حانت الفرص . وجاءت حادثة العصابة محركة كوامن الضغائن واراد البابليون ان يستأصلوا اليهود الا ان القوم لما رأوا ضعفهم اخذوا يهاجرون جماعات والوفاً الى سلوقية المدينة اليونانية على دجلة . وبذلوا وسعهم في ان يعيشوا بمؤاخاة اليونان والسريان سكان سلوقية لابل جاملوا السريان اكثر مما جاملوا في اليونان . واتفقوا مع السريان على ان يخضعوا اليونان لهم . فامتعض اليونان من هذا الوئام الاليم وثقلت وطأته عليهم . وحاولوا ان يجذبوا السريان الى جانبهم فنجحوا في مسعاهم وقبل مرور بضعة اشهر اقنعوهم على ان يهجموا معاً على اليهود . ويقال ان الشعب العبراني خسر في تلك الوقعة نحو ٥٠،٠٠٠ شخص واضطروهم الى ان يعبروا دجلة ويلقوا رحالهم في طيسفون عاصمة البرثيين . ولكن لم يشبع غيظهم بل سعوا في تخريب حواضر اليهود وحملوهم على الظعن منها والسكنى في مدن صغيرة .

ومن الدول التي طمحت الى العراق ورامت الاستيلاء عليه الدولة الرومانية . فان الانبراطور طريانوس زحف سنة ١١٥ ب . م على بلاد بين النهرين والعراق واستولى على المدائن وفي عهده قامت قيامة اليهود في مصر على وطنييهم الوثنيين كما انهم نشروا لواء العصيان في بابل حيث كان عددهم وافراً (١) واصدر في ذلك

(١) R. Duval : Littérature Syriaque

الزمن الانبراطور امراً بالتنكيل بهم فقتل لوفيوس منهم جماً غفيراً (١) .

ولم تستقر احوال اليهود في عهد هدريانوس بل ثارت ثائرتهم واحتدمت نائرتهم ولاسيما بظهور بركوكبا الثائر الشهير في فلسطين الذي ادعى انه المسيح المنتظر وملاه في مدعياته عقيبا الربان سنة ١٣٢ـ١٣٥ ب . م فمثل تلك الفتن في فلسطين اضطرت هدريانوس الى ان يسترجع جيشه من البلاد التي احتلها طريانوس وترك المدائن لاصحابها البرثيين (٢) .

ان الرومانيين كانوا يهتمون بيهود العراق وبين النهرين ويحسبون لهم حساباً لكثرتهم ولوجودهم في المملكة الفارسية وفي المملكة الرومانية (٣) .

يجدر بنا هنا ان نقول كلمة عن ظهور الدين النصراني وانتشاره في بابل وبلاد فارس وكردستان . فقد اجمع المؤلفون على ان اول الذين دانوا بالنصرانية في هذه البلاد كانوا من الجماعات اليهودية المبثوثة في الديار تشهد بذلك اسماء الاساقفة في صدر القرن الثاني فأنها اسماء يهودية وهم بقيدا وشمشون واسحق وابراهام ونوح وهابيل. وهؤلاء كانوا كلهم اساقفة اربل من سنة ١٠٠ـ٣٠٠ بعد المسيح . (٤)

وعلى كل فأن انباءنا التاريخية عن صدر النصرانية في هذه الاقطار ضئيلة جداً لا تروي

(١) بلينوس وتاريخ اوسابيوس
(٢) دائرة المعارف للبستاني مادة بركوكب
Jean Juster : Les Juifs dans l' Empire Romain I, 212 (٣)
(٤) السيد ادي شير : تاريخ كلدو وآثور المجلد الثاني ص ٨

غليلاً . فقد ذكر في اخبار الرسل ان الذين كانوا حاضرين في علية صهيون كان بينهم الفرتيون والماذيون والعيلاميون وسكان بين النهرين . وعلى يدهم بشر بالدين النصراني هنا وبث مبادئه بين جماعة يهود الجلاء في بابل وبلاد الفرس الا ان نجاحهم لم يكن باهراً بادئ بدء . وقد جاء في التلمود الاورشليمي ان حنانيا بن اخي يشوع كان قد انضم الى الجماعة النصرانية في كفر ناحوم فاغتاظ عمه من هذا العمل وحاول ان يمنعه من كل علاقة بالنصارى فارسله الى بابل لينقذه من كل تأثير نصراني (١) .

في ٢٨ نيسان سنة ٢٢٤ قاتل اردوان آخر الملوك الارشغانيين قتالاً نهائياً اردشير سليل ساسان فأخفق في ذلك القتال ووقع قتيلاً وانهزم رجاله شتاتاً يحتمون باقطار ارمينية المنيعة . وكان منذ اثنتي عشرة سنة يرى اردوان تلك الثورة المنبعثة من بلاد ايران تتقدم رويداً رويداً وقد حاول ان يقمعها بما لديه من الوسائل والاسباب فلم يفلح فانقرضت سلالة الارشغانيين وقام مكانها السلالة الساسانية . تلك السلالة التي بقيت ربة الحل والعقد في هذه البلاد حتى ظهور الاسلام وكانت بحروب متواصلة مع الدولة البزنطية .

لم يكن مؤسس الدولة الساسانية الملك اردشير من اصدقاء اليهود بل ممن ضيق عليهم الخناق وأمر باضطهادهم وسمح للمجوس بتعذيبهم والتنكيل بهم لأنهم كانوا قد ساعدوا الفرثيين في حروبهم مع اردشير (٢) . وقال المستشرق نلدكه ان

Graetz : Histoire Des Juifs. T. 111. P. 51 (١)
J. Labourt : Le Christianisme dans l' Empire Perse (٢)

الفرس كانوا يسومون اليهود خسفاً لأنهم كانوا يحاولون ان يتخلصوا من دفع الضرائب الا ان عهد الاضطهاد لم يدم بل تمكن اليهود من ارضاء ملوكهم وخطاب ودهم ونالوا الوجاهة من حكام البلاد وتقربوا من السلالة المالكة . وكانت حالتهم متقلبة في زمن الساسانيين بين راحة وقلق .

وجرت في هذه المطاوي حروب كثيرة بين الرومان والساسانيين واسر شابور بن اردشير (٢٤١ — ٢٧٢) الامبراطور والريانوس سنة ٢٦٠ م . فلما علم ذلك اذينة صاحب تدمر بعث بهدايا الى شابور يتقرب بها اليه ويطلب منه الصلح والمعاهدة . فلم يجبه بل القى الهدايا في الفرات ومزق الرسالة . فاستاء اذينة من هذه المعاملة الجافية وغضب من شابور فحشد حالاً جيشاً وتوجه تواً الى المدائن . وحدث ان شابور رجع يومئذٍ من حرب الرومان فشلاً مذعوراً فرجع اذينة الى استقباله وادركه قبل عبوره الفرات واجهز عليه وغنم امواله وهزمه وعبر شابور الفرات مدحوراً .

فاعتز اذينة ولم يلبث ثانية ان حمل على ما بين النهرين وفتح حران ونصيبين ثم رجع الى محاصرة المدائن . وشد اذينة الحصار على سلوقية .

وقد لحق اليهود من الاذى في هذه المحاربات مما لا يسعنا وصفه ولا سيما في مدينتهم نهر دعة . وقد افاض مؤرخوهم في ذكر ذلك وتدوينه . ولا عجب في الامر فان شعباً غريباً يسكن بلاداً اصبحت ميداناً للقتال وساحة للحروب كثيراً ما يكون هدفاً لمظالم حكام البلاد التي يسكنونها او للفاتحين الغزاة الذين يحملون حملاتهم الشعواء عليها .

ولم يلبث اليهود ان اعادوا الامور الى مجاريها واسترجعوا ما كان قد حرمهم اياه شابور الاول . حتى انهم تقربوا من السلالة المالكة ونالوا زلفى من ام الملك شابور الثاني (٣٠٩ — ٤٢٠ م) وكان اسمها افراهورمز فعاونتهم في امورهم وسخرت نفوذها على ابنها الملك في اعلاء شأنهم هذا ما رواه التلمود . وقد روى كتابنا الارميون الذين دونوا سير شهدائنا المسيحيين في بلاد فارس ان اليهود تذرعوا بهذا النفوذ ليثيروا حقد المجوس (١) على انصار المذهب الجديد (٢) الا ان روبنس دوفال يذهب الى ان هذه التهمة قد تكون غير صحيحة (٣) ولم يعزز قوله ببرهان ما بل يلقي كلامه على عواهنه . اما المحقق فلا يرى في اخبار الكتبة الاراميين من الغرابة ما يحمله على تكذيبهم اذ ان كل مذهب جديد يلاقي شيئاً من الاضطهاد عند انتشاره ولا سيما في تلك القرون المتسكعة في ظلمات الجهل والتعصب ويؤيد هذا الرأي المجادلات التي وقعت بين اليهود ونصارى فارس (٤)

ومن الذين سعوا السعي الحسن في توطيد أسس الوفاق وتمكين عرى الوئام بين الفرس واليهود مار صموئيل رئيس مدرسة نهر دعة واقتفى اثره بنو جلدته فاهدوا

(١) R. Duval : Littérature Syriaque P. 134

(٢) راجع قصص الشهداء بالسريانية تأليف مارماروثا اسقف ميافارقين وكتاب الشهداء بالفرنسية تأليف دوم لكلارك

(٣) R. Duval : Litt. Syriaque

(٤) ميامر افراهاط الحكيم الفارسي من مؤلفي القرن الرابع وغيره

الهدايا النفيسة الى حكام البلاد ولم يألوا جهداً في سبيل مجاملتهم وقد ابدوا من التساهل اعظمه مع المجوس فاكلوا ما اكلهم وقدموا فحماً لهياكلهم (١) .

وقد قال كراتز عن اليهود في هذه الاقطار انهم كانوا عديدين ونظراً الى كثرتهم كانوا مستقلين استقلالاً يضاهي حالهم في وطنهم ولم يظهر خضوعهم لامرآء البلاد الا بدفع بعض الضرائب مثل الجزية وضرائب الاملاك وكان لهم رئيس سياسي يدعونه راس الجالوت يعد من اقطاب المملكة الفارسية وله الرتبة الرابعة بعد الملك (٢) الا ان العلامة نلدكة يرفض هذا التصريح . ومما ذكره التاريخ ان الملك بهرام جور (٣) نزع من براهام الثري اليهودي امواله ودفعها الى ساقيه لبنك (٤)

ان في عهد الملك يزدجرد الثاني (٤٣٨ — ٤٥٧ م) وفي عهد خليفته هورمزد فيروز (٤٥٧ — ٤٨٤ م) ثارت ثائرة الساسانيين على اليهود واضطهدوهم . وكان هورمزد فيروز شديد الوطأة عليهم فعبرت الامة اليهودية في عهده ايام بؤس ولم تتنفس الصعداء الا بعد موته . فرجعت الامور الى مجاريها واستأنف القوم

(١) J. Labourt : Le Christianisme dans l' Empire Perse

(٢) كذلك

(٣) بهرام جور هو بهرام الخامس استولى على عرش الاكاسرة من سنة ٤٢٠ الى سنة ٤٣٨ م وكان غليظ الاخلاق ينزع الى القلق وقد اضحى تاريخ ملكه اشبه شيء بالروايات ومع اخلاقه الفظة فقد كان رجل الشعب وكان موضوع اعجاب قومه وحبهم الا انه كان شديد الوطأة على النصارى فاضطهدهم وعلى اليهود فسامهم مالهم

(٤) عن برهان قاطع نقلاً عن المعجم الفارسي اللاتيني لمؤلفه Vullers

اعمالهم وتأسيس مجامعهم وانتخاب رؤسائهم .

وفي عهد قباذ الاول (٤٨٨ـ٥٣١ م) القوا في السجن مار زوترا وبعض معلمي الناموس لانهم حاولوا ان يستقلوا استقلالاً سياسياً وبعد عذاب اليم ذاقوا مضضه حكم عليهم بالقتل حوالي سنة ٥٢٠ او ٥٣٠ فماتوا وهم اول شهداء اليهودية في بابل .

ان اضطهاد اليهود كان يظهر حيناً بعد آخر في ايام بني ساسان الا ان الملوك الذين تبوأوا عرش الاكاسرة بعد فيروز هورمزد الثالث لم يتمكنوا من مراقبة اليهود مراقبة شديدة لانشغالهم بأمور ممالكهم المتداعية الاسس . فكان اليهود يتحينون الفرص ويبعثون دعاة الى بني جلدتهم فينتخبون راس الجالوت سراً . ويظهر انهم اعادوا نظام قومهم الى نصابه وازدهرت جامعتهم في عهد هورمزد وكسرى (١) ويعرف التاريخ اسماء غير واحد من رؤوس الجالوت (٢) من ذلك العهد ومنهم كفني وشنينا .

(١) Mendelssohn : The Jews of Asia 219

(٢) راس الجالوت او امير المنفى ـ تعتبر بعض التلمودات يهوا كيم آخر ملك من سلالة داود انه اول راس جالوت عرف . الا ان حقيقة الحال ان رؤساء الجالوت وصلوا هذه الدرجة من الغنى والسلطة تدريجاً ولم ينالوا الشهرة البعيدة الا بعد ان استولى البرثيون على بين النهرين .

وكان راس الجالوت في ايام عزه القاضي السامي لجماعات اليهود ولم تضيق الشريعة سلطته وتنظمها الا قليلاً راجع Graetz : History of the Jews 2, P 515

ماذا كان يتعاطى اليهود من الاعمال والحرف في عهد الفرس ؟ هذا سؤال يدور في خلد كل من وقع بيده كتابنا هذا . فاتماماً للفائدة نقول . ان اليهود منذ سبي بابل انقسموا فرقتين فرقة بقيت في بابل وفرقة رجعت الى اورشليم وكانت كل منهما تراسل الاخرى وتراجعها في شؤونها الدينية والادبية والسياسية والمادية . فهذا الافتراق بذر في قلوبهم حب الاسفار ومن ثم حب التجارة . ورسخ فيهم هذا الميل الى الاسفار والتجارة بعد تفرقهم في عهد اسكندر الكبير وادريانوس وطيطوس وغيرهم من الملوك الذين سعوا في تفريقهم وتشعيث الفتهم ولهذا كان عدد غير يسير من يهود العراق تجاراً ومن المرجح انهم تعاطوا التجارة مع الهند واضحوا وسطاء بين تجار اوروبا وتجار الهند بمؤازرة بني جلدتهم في فلسطين وقد جاء خبر أسفار يهود بابل وفلسطين بالسفن الى الهند وبالقوافل الى قليقية وآسية

وقد جاء في المعلمة البريطانية Encyclopaedia Britannica في مادة Exilarch
ان في القرن السادس للميلاد بذلت المساعي لتأمين استقلال اليهود (Autonomy) بالقوة الا ان راس الجالوت الذي قام بهذه الحركة قتل وهو مار زوترا . وبقي هذا المنصب شاغراً الى عهد الوازعين العرب فرجع اليه حينئذ بهاؤه وان جميع رؤساء الجالوت الذين قاموا منذ القرن السابع للميلاد حتى القرن الحادي عشر كانوا من سلالة بستاني الذي بواسطته تجدد عز هذا المنصب وتأيد موقفه السياسي ..... (سيأتي الكلام عن منزلة راس الجالوت في عهد العباسيين بعد هذا)

الصغرى (١) .

وكانوا يتعاطون الزراعة ويشتغلون بفلاحة الارض كما كانوا في عهد البابليين على مامر بك في هذا الكتاب واحترفوا الحرف المختلفة كما تشهد بذلك اسماء ربانييهم التي وردت في التلموذ منذ القرن الاول ق . م حتى القرن الخامس ب م . فمنهم الصائغ والحائك والصباغ والدباغ والاسكافي والبناء . وغيرها من الاسماء التي تشير الى حرفهم وتعرف صناعتهم (٢) .

وعلى ذكر سفر اليهود الى الهند نقول ان فريقاً من المؤرخين يذهبون الى ان اصل يهود الهند الحاليين من بلاد فارس انحدروا اليها على طريق البر او انهم امعنوا في البحر فرست سفنهم في سواحل ملبار . وقد درس هذا الموضوع المؤرخ جوست Jost واسفرت ابحاثه عن ان اصل يهود كرنكانور وكوشين نتيجة نفيهم من بلاد فارس في عهد قباذ ٤٨٨ — ٥٣١ ب م لا بل انه قال ان مهاجري اليهود وصلوا ملبار نحو سنة ٤٢٦ ب م . وقد قالت المعلمة اليهودية ان المرسوم الذي اعطاه احد امراء الهنود الى اليهود يرتقي تاريخه الى بين سنة ٧٥٠ و ٧٧٤ ولا يزال نصه الاصلي موجوداً على قطعة من النحاس . وقد قال المؤرخ جوست ان هذا المرسوم اعطي الى يوسف الرباني ورفقائه الذين اتوا من بلاد فارس (٣) ولا ننكر ان العلماء قد اختلفوا في اصل يهود الهند ومنشأ بلادهم قبل ان يحلوا في ذلك القطر الا اننا نرجح رأي

(١) Jean Juster. Les Juifs dans l'Empire Romain
(٢) Isidore Loeb. Réflexions Sur les Juifs
(٣) S. Mendelssohn : the Jews of Asia 98,132

الدكتور جوست على انهم رحلوا من بلاد فارس وكان يومئذ العراق من ضمنها . وكل يعلم ان نصارى العراق نشروا دينهم في بلاد الهند منذ القرون الاولى للنصرانية . ومن مأثورات الكنيسة الكلدانية ان مار توما هو رسول الهند . وعلى رأي بعض المؤرخين الاوربيين الذين يرفضون هذا التقليد لا يقوون على انكار وجود جماعة نصرانية في الهند منذ اوائل القرن الرابع الميلاد . ورحل في سنة ٣٤٥ من بلاد النهرين وآثور وبابل نحو اربعمائة عائلة مع يوسف مطران الرها وكثير من القسوس والشمامسة وتوجهوا الى مليبار ونزلوا في مدينة كرانكانور وهناك بنوا بيوتاً وكنيسة برضى ملكها كما يستفاد من الاثر النحاسي الذي كان موجوداً لدى المباريين في القرن الثاني عشر (١) فمن هذه الافادات التاريخية عن نصارى العراق وظعنهم الى الهند في القرون الاولى للنصرانية نستنتج ان اليهود هاجروا الى الهند من العراق وهذا مما يؤيد راي الدكتور جوست .

ولم ينتشر اليهود في الهند وحدها بل القوا عصا ترحالهم في الصين وعهدهم قديم وكان المأثور عند اسلاف يهود الصين الحاليين انهم اتوا تلك الاقطار من ديار بلخ وبرثية لما استولى سلوقس الكبير عليها . وكانت التجارة مهنة الرحالين اليهود فسافروا اولاً الى سيلان ثم ذهبوا الى الصين فالفوها بيئة صالحة لاعمالهم فاقاموا فيها .

ويذهب كرتز ان المهاجرين اليهود الذين نزلوا الصين اولاً جاؤوا اليها من بلاد فارس على اثر الاضطهاد الذي ثار ثائره عليهم في سنة ٢٣١ م . (٢)

---

(١) راجع كتاب ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان لمؤلفه القس بطرس نصري المجلد الاول ص ٣٤٥

(٢) S. Mendelssohn : the Jews of Asia 133, 163



الحاخام باشي داود بابو افندي على يهود بغداد بثيابه الرسمية
من الحكومة التركية

اللغة العبرية وآدابها
في
بابل

انتقل معي ايها القارئ الى القرون الغابرة التي عقبت جلاء اليهود الى بابل وتعال نزر وادي الرافدين ونطف المدن التي نزلوها في عهد تفرقهم ذلك العهد الذي اطلق عليه اليونان لفظة « دياسبورا » (Diaspora) . فاننا نقف على اتساع انتشارهم في بين النهرين والعراق وبلاد ماذي وبلاد عيلام (١) وبعد هذا البحث المهم نعطف نظرنا على الشوط البعيد الذي قطعته اللغة العبرية وآدابها في بابل . وندخل المدارس الدينية ونتفقد شؤونها ونرى علماؤها الاعلام ورؤساءها العظام وما انتجته قرائحهم الوقادة من المؤلفات النفيسة التي طبقت شهرتها الخافقين ولا سيما كتاب التلمود ذلك

---

(١) ان بلاد عيلام كانت تشمل في العصر التاريخي الاقاليم المعروفة الان بعربستان، ولورستان وپوشت كوه وجبال البختيارية. وقال ديولافوا Dieulafoy ان حدودها تمتد في خليج فارس حتى جنوبي لنجة . ويحدها في الشمال على وجه التقريب الطريق الضيق للسائر من بابل الى اكبتانا (همذان الحالية) وفي الشرق كان ضمنها جبال البختيارية وقسم من اقليم فارس الحالي . وكانت تتغير هذه الحدود بين امتداد وضيق حسب قوة الدولة وضعفها . وفي الغرب كان دجلة حدها ايام عزها واتساع سطوتها . وكانت عاصمتها شوشن .

الكنز الادبي والاجتماعي والديني .

تفرق اليهود بين النهرين في الرقة وكان اسمها عند اليونان Nicephorium وسميت عندهم منذ القرن الرابع للميلاد Gallinicium . وحران وعرفت عند اليونان بـ Charrae او Carrhe . وفي الرها وكرخ مغارة وهي قرب الرها . وآمد . وتلا . وسنجار . والموصل . ونينوى . وحدياب . واربل .

وفي العراق . في بابل وبرنا (١) ونفر (٢) وفيروز شابور وبرنيش Barnish ومحوزة (٣) وسلوقية وطيسفون (٤) ونصيبين التي كانت في بابل وهي غير نصيبين

---

(١) ترك اليهود السكنى فيها لما حمل يوليانس الجاحد على الفرس

(٢) قدمر الكلام على نفر في حاشية صفحة ٣٧ من هذا الكتاب فنزيد على ذلك ونقول ان اليهود والنصارى اعتبروا هذه المدينة مدفناً مقدساً لموتاهم . وقد عثر النقابون في خرائبها على قبور فيها اقداح مكتوب عليها بالارمية والسريانية لوقاية الموتى من شرور الروح الخبيثة وهي من القرن السادس للميلاد وبقيت الملتان تدفنان في المحلة المقدسة حيث كان يقوم قديماً هيكلها العظيم حتى مابعد القرن السابع للميلاد اي بعد سقوط بابل بقرون عديدة وبعد اقواء نفر من سكانها راجع :
Morris Jastrow : the Civilisation of Babylon and Assyria pp. 48,196

(٣) محوزة مدينة كانت قرب المدائن في الجانب الغربي من دجلة (٤) طيسفون احدى المدائن السبع اضحت في عهد الساسانيين عاصمة بلادهم وموقعها حيث يشاهد اليوم ايوان كسرى وقبر سلمان الفارسي (سلمان پاك)

المشهورة . ونهردعة وبورسيبا وپمباديته وسورا : وسورا الفرات قرب سورا المذكورة قبلا وماتا محسايا بجوار سورا الفرات ، وشاف ياتيب .

وفي بلاد عيلام . شوشن ، وبيت لافط اوجندبسابور وحلح في بلاد ماذي .

ان المدن التي اشتهرت بنوع خاص بالاداب العبرية وفازت بالقدح المعلى بمدارسها وجامعاتها . وفاخرت الامم بعلمائها وادبائها هي نهردعة Nahardéa او Nardéa وسورا Sora وپمباديته Pambaditha او Pumbaditha واذ ازهرت آداب اللغة العبرية في بابل واضحت هذه المنطقة منبعث انوار العلم ومطلع شمس المعارف التي تألقت انوارها على العالم اليهودي فيجمل بنا ان نقف عندها قليلاً .

يظهر ان اسم نهردعة كان يطلق على الصقع الذي فيه المدن المذكورة وغيرها من المدن التي اشار اليها التلموذ . ومن المرجح ان لفظ نهردعة مؤلف من لفظين عبريين مفادهما نهر الحكمة او نور الحكمة . اما مدينة نهردعة فقد ذهب بعض العلماء الى انهـا حديثة الحالية التي على الفرات . ويظن ان اول من قال بذلك دانفيل « D,Anville » وقد استند في رأيه هذا الى تسمية جغرافيي العرب هذا الموضع « النور » وفي ذلك اشارة الى ازدهار العلوم فيه .

وصف يوسيفوس في كتابه العاديات اليهودية نهردعة انها مدينة بابلية آهلة بالسكان وفيها اراض واسعة مخصبة وجديرة بصد غارات العدو لانها محاطة باسوار منيعة وبنهر الفرات . وذهب بطلميوس الى انها في صقع بين النهرين وعلق كلاريوس Cellarius على كلام بطلميوس وقال انها من المدن الواقعة بين حدود بين النهرين

وحدود بابل ·

وزارها الرابي بتاخيا في القرن الثاني عشر وبالغ في محيطها وقال انه مسير ثلاثة ايام وكل شيء فيها خراب يباب · وفي قسم منها يسكن جماعة من اليهود وقد اروني كنيس « شاف وياتيب » لما اطلعتهم على خاتم رأس الجامعة الذي يقيم في بغداد ·

وقد تكلم عن اطلال هذا الكنيس القديم بنيامين التطيلي · وذكره التلمود (روش هاشانا ٢٤ : ٦ الجلة ٢٩ : ٦) وارتأى الدكتور بنش Dr. Benisch ان معنى « شاف وياتيب » الهدم والجدد البناء ·

وقد تضاربت اراء العلماء في رأي دنقيل ومن لف لفه في ان الحديثة هي نهردعة فمنهم ايدوه وقالوا ان جامعة تجمع بين هذا الصقع وصقع نهر سورا الواقع في عبر الفرات من جانب بلاد العرب وكانت عليه سورا احدى مدن الجلاء فهذا مما يلمع الى الامر ويؤيده توافق الاسماء ·

اما الذين يجعلون نهردعة في سهل بابل الغربي فيفضي بهم الامر الى ان يعتبروا عبادبتة هي الحديثة نفسها · وجاء في كتاب جغرافية التلمود لنيبور « Nebauer » اسم بدينة Beditha وقيل ان معناه « نهر » او « العبر » وهناك علاقة مستحكمة العرى بين بدينة وحديثة وعلى راي نيبور ان هذا الموضع كان حاضرة الجلاء (جولا) او « روش هشانا » ثم يصف نهردعة على انها على بعد ٢٠ فرسخاً الى شمالي سورا · وعلى هذا القياس نرجع الى جبة · فتكون هذه المدينة قائمة على انقاض نهردعة الغابرة · غير ان بنيامين التطيلي يقول بان جبة هي عبادبتة عينها وان نهردعة كانت

على نهر الملك وليس على نهر سورا (١)

وزيادة على الايضاح نقول جاء في معجم البلدان في مادة بهقباذ .. اسم لثلاث كور ببغداد من اعمال سقي الفرات ... بهقباذ الاعلى سقيه من الفرات وهو ستة طساسيج طسوج خطرنية وطسوج النهرين وطسوج عين التمر والفلوجتان العليا والسفلى وطسوج بابل والبهقباذ الاوسط وهي اربعة طساسيج طسوج سورا وباروسما والجبة والبداة وطسوج نهر الملك . والبهقباذ الاسفل خمسة طساسيج الكوفة وفرات باد قلي والسيلحين وطسوج الحيرة وطسوج تستر وطسوج هرمزجرد . انتهى

والصقع الذي نشأت فيه المعاهد العلمية اليهودية هو البهقباذ الاوسط وفيه سورا: وهي قرب الحلة المزيدية . وعبادبتة « ومعناها فم البداة » وهي مدينة قد تكون جبة او البداة او غيرهما بقربهما . وان نهردعة هي الحديثة الحالية وهذا هو ارجح الاراء

ولا بد هنا من كلمة عن اللغة العبرية وتأثير الارمية عليها . يذهب فريق من العلماء الى ان اليهود تركوا التكلم باللغة العبرية وجنحوا عن اتخاذها لغة التفاهم بينهم في احوالهم الاجتماعية منذ جلاء بابل فقط اي منذ القرن السادس قبل الميلاد . فهذا الراي لا يقبل الا بتحفظ شأن المذاهب التي تختص بظهور اللغات وموتها ومما لاريب فيه ان اللغة العبرية الفصحى لم تبق لغة التأليف فقط بعد الجلاء بزمن طويل بل كان

(١) اعتمدنا في هذا المأخذ على: W. Francis Ainsworth : A Personal Narrative of the the Euphrates Expedition. Chap XXI. P 431 - 437

تتكلم بها علية القوم واشرافهم . وبصعب مجاراة من ذهب ان جلاء فريق من اليهود الى بابل ردحاً من الزمان لا يتجاوز خمسين اوستين سنة حرف لغة القوم لابل اماتها وقام عوضها لغة دخيلة اتخذوها لسان التفاهم بينهم كما الفوا فيها عدة كتب مثل الترجوم والجومارا والمشنا والتلموذ. شاع هذا الراي عهداً من الزمان وكان له انصار من العلماء . استندوا الى شهادة التلموذ ولم يصبر هذا الراي على نار التمحيص بل سرعان ما قوضت دعائمه وهوت اسسه ورجع عنه انصاره لاسباب علمية وهي :

(١) يخبرنا التاريخ ان معظم المنفيين الى بابل كانوا من سادة القوم وعلمائهم ورجال الدين وارباب الفتاوى . وكانوا اودعوا اسرار اللغة المقدسة وزبدة آدابها والتقاليد الدينية وخلاصة مأثوراتها اما البقية الباقية في اورشليم فكانت تتكلم لغة دب فيها الدخيل والغريب من الالفاظ والمصطلحات .

(٢) ان احتكاك الاسرائيليين بالارميين من شمالي مملكة اسرائيل عريق في القدم وان الاسرائيليين اخذوا منهم بعض الفاظ في ذلك الزمن .

(٣) يظهر ان اللغة الارمية كانت اللسان السياسي للدولتين الآثورية واليهودية منذ عهد الملك حزقيا راجع ٢ ملوك ١٨ : ٢٦ . ولما سقطت السامرة جلي اليهود من شمالي مملكة اسرائيل واسكن فيها طارئة من الناس يتكلمون الارمية .

(٤) في بعد بضعة اميال من ارض مملكة اسرائيل القديمة كان اليهود يتكلمون لغة مؤلفة من العبرية والارمية وقد حذا حذوهم سكان اليهودية وتبعوهم في هذا الميل الطبيعي فتبدلت اللغة العبرية باللغة الارمية . وقد جاء سبي بابل منشطا هذه

الحركة ليس الا . اما نحن فنذهب مع القائلين بان اللغة العبرية الاورشليمية الفصحى حفظت في بابل اكثر مما حفظت في بلادها . وقد كتبت على ضفاف الفرات التآليف البديعة والمصنفات الجليلة في اللغة العبرية الفصحى . ومنها الفصول الممتعة المجموعة في سفر أشعيا من الفصل الاربعين الى الفصل السادس والستين وبعض المزامير وغيرها كما نرى (١)

ان الاداب التي انتجها العبريون في عهد ساداتهم في سهول الفرات ودجلة كانت في بعض اعتبارات من ابدع ما كتبه الشعب الصغير . فان حزقيال في بيئته الجديدة والغريبة أتاه الوحي وكتب في القسم الثالث من كتابه منهجاً لشعب اسرائيل الجديد تتضاءلت امامه مناهج سفر الاشتراع . وقد لاحظ دارسو التوراة في هذه السنين الأخيرة ان سفر الاشتراع يلزم كل لاوي بان يكون كاهناً اما حزقيال الكاهن فقد خالف نوا اص سفر الاشتراع واكتفى بالصدوقيين فقط من اللاويين ان يكونوا كهنة . وبهذا الاختلاف خرج على سفر الاشتراع وانكر سيطرته وسيطرة كتبته والملك هوشع الذي كان محاميه لابل وكان قد قاوم الشعب العبري جميعه ذلك الشعب الذي اعلن باتفاق مع الملك ان سفر الاشتراع يكون القانون الملكي والقومي الجديد للحكومة والعبادة .

واذ انتقلنا الى سفر اللاويين نرى الفصول العشرة من الاصحاح السابع عشر الى الاصحاح السادس والعشرين التي يطلق عليها « كتاب القداسة » أنشئت في عهد

(١) E. Renan : Histoire Générale et Système Comparé des langues Sémitiques

الجلاء منذ القرن السادس قبل الميلاد وما بعده تتضمن خطة حياةٍ تفوق الحياة التي سار فيها الشعب المنفي في بلاد يهوذا قبل سقوطه .

ان اعظم تأليف جاء في آداب اللغة العبرية في عهد الجلاء لا بل من اعظم تأليف في آداب اي لغة كانت هو تلك القصيدة الغراء العالية التي بدأت في الفصل الاربعين من سفر اشعيا حتى نهاية الفصل الخامس والخمسين ومطلعها : (١)

« عزوا عزوا شعبي يقول الهكم »

ولقد يأخذ الباحث النقاد العجب من ان هذه القصيدة الفريدة كتبت في ارض المنفى لما كان الشعب اليهودي يذوق مضض الحياة وآلام الغربة في سهول بابل الشاسعة. وبيت القصيد فيها ان المؤلف يحرض المنفيين على الادعاء بالحرية ويستنهضه الى المطالبة بالخلاص . يناديهم بالرجاء والامل ، ويحتم عليهم السير في القفار المهلكة حتى يفضي بهم السير الحارض الوطن القديم ارض يهوذا ! فتقر عيونهم هناك بالمشاهد الفتانة برؤية المزارع القديمة والكنوز الجليلة ، بالديار العزيزة وبمقدس صهيون التي حنت اليها قلوبهم. كتبت هذه القصيدة على ما يظهر حوالي سنة ٥٦٠ ق م لما حل كورش الفاتح العظيم على اعالي دجلة واراد ان يستولي على الغرب فلمعت بارقة الرجاء للمؤلف وتوقع ان ينزل الفاتح الى الجنوب ويستولي على ارض بابل ومدنها و كنوزها . فاخذ يصف تلك الوقائع ويتوقع زوال الأسر (٢)

(١) راجع الحاشية الاولى من ص ٦١ من هذا الكتاب عن مؤلف هذه الفصول.

(٢) A. Duff : History of Old Testament Criticism PP. 32,34

ويمكننا القول هنا مع ارنست رينان : اضحت بابل لا بل المدن التي تحيط بهذه المدينة العظيمة حاضرة ثانية لمأثورات اليهود ولغتهم وعظم شأن قطر بابل وزادت خطورته في تاريخهم القومي بعد ان خرب الرومان اورشليم فاصبح آنئذ مقرهم ومقام آدابهم اللغوية وقد ارتأى المستشرق اوالد ان في بابل وضعت اسس درس اللغة العبرية درساً علمياً منذ القرون المتوغلة في القدم ولا نخطئ المحز ان قلنا ان في هذه الديار خفقت تقاليد اليهود بعد ان نكبت مرتين في غضون سبعة قرون وكاد يتقلص ظلها من اورشليم . (١)

وقد اشتهرت في العراق مدارس اليهود الدينية ولا سيما مدرسة نهردعة وسورا وفمباديتة فمدرسة نهردعة كانت مركزاً مهماً لليهود تجمع فيها هدايا يهود بلاد فارس وبين النهرين وبلاد العرب لهيكل اورشليم ومدارسها. (٢) كما مر بك في صفحة ٧٠ من هذا الكتاب ونالت مدرستها صيتاً بعيداً منذ القرن الثاني للمسيح ولم يطل امدها طويلاً بل خربت المدينة في سنة ٢٥٩ . م (٣)

اما مدرستا سورا وفمباديتة فقد ذاعت شهرتهما في اربعة اقطار المسكونة وحصلتا على منزلة سامية في آداب اللغة العبرية واضحى رؤساؤها انواراً يستضيء بعلومهم العالم اليهودي عدة قرون وانتجوا ذلك التأليف العظيم الذي اصبح مرجعاً للتفاسير

(١) E. Renan : Histoire Générale et Système Comparé des langues Sémitiques.

(٢) راجع ص ٧٠ من هذا الكتاب

(٣) S. Mendelssohn : the Jews of Asia 214

الدينية والمعاملات الدنيوية اريد به التلموذ البابلي .

كان مؤسس مدرسة سورا في بابل الراب الشهير المعروف برابان عريقا . وكان قد عينه راس الجالوت مفتشاً لاسواق بابل . ويظهر انه استقال من وظيفته هذه عند تأسيس المدرسة سنة ٢١٩ م . وترأس ١٢٠٠ تلميذ قام باود عدد منهم لانه كان من رجال اليسار واصحاب الاملاك الكثيرة . وقام باصلاحات عديدة فاحترمه جميع سكان المملكة .

ومن معاصري الراب الموما اليه مار شموئيل الفلكي المتوفى سنة ٢٥٤ م فانهما افادا بمساعيهما يهود بابل واصلحا حالتهم الادبية وبثا بينهم حب الدرس والوقوف على الشريعة حبا حملهم على ان يمقتوا الجهال الذين لم يطلعوا على آداب اللغة العبرية وتاريخ اليهود . وكان تضلعهما عظيماً من الشريعة كما ان اختلاف نظريهما في المسائل كان كبيراً ولما دون التلموذ بعد ذلك نرى ان جامعيه اذا ارادوا ان يؤيدوا بعض المسائل فيه قالوا : ان الراب ومار شموئيل اتفقا عليها .

وفي ختام القرن الثالث للميلاد فقدت جامعة سورا رجلها العظيم وعميدها الكبير من كان قد البسها ثياب العز والفخر اريد به ناحونا الثاني خليفة الراب الذائع الصيت (١)

وقد عرف بضع مئات من العلماء الاعلام الذين خرجوا من مدارس سورا وبمبادية على مختلف العصور لان هاتين المدرستين بقيتا نحو ثمانية قرون منبعث العلم الديني لليهود

(١) S. Mendelssohn : the Jews of Asia 214

ونخص بالذكر في الحقبة التي سبقت عهد التلموذ البابلي ربا بن نحماني المتوفى حوالي سنة ٣٣٠ م وقد لقب بـ« قلاع الجبال » نظراً الى لياقته اللسانية . فان مجادلاته مع الرابي يوسف بن حيا ومجادلات تلميذيهما ابيا ورحا هي من اهم قوام الباحثات الدقيقة في الجمارة البابلية .

واشتهر في القرن الرابع للميلاد رئيس مدرسة بمبادية يوسف برشيحا وقد نسبت اليه الاقتباسات الواردة في التلموذ من تراجيم (جمع ترجوم) الانبياء . وبقيت العلوم زاهرة في بابل بعد ان خبا نورها في فلسطين وفي عهد الراب آشي الشهير رئيس مدرسة سورا (٣٥٢—٤٢٧) تمت خطط التلموذ البابلي وذلك نحو قرن بعد اتمام التلموذ الفلسطيني . والراب آشي وان اعتبر مؤلف هذا السفر النفيس الا انه في الحقيقة ليس عمل رجل واحد ولا تأليف مدرسة واحدة . فان جمعه دام سنوات عديدة بعناية رؤساء المدرسة وليس بعشارفهم او بنظارتهم مباشرة . ولم يذكر آشي اسمه فيه الا لانه آخر من عمل فيه . وقد جاء بعده عالمان انجزا نهائياً التلموذ وهما الربا توسيفا Tosêpha'a (المتوفى سنة ٤٧٠) ورابينا اي راب ابينا (المتوفى سنة ٤٩٩) ولهذا جاء في التاريخ ان تلموذ بابل نجز في اليوم الثالث عشر من شهر كسليو واليوم الثاني من كانون الاول سنة ٤٩٩ م .

ان نظام الجامعات كان مؤسساً على اسس تقيد الدارسين والعوام . وكان دستورها ديمقراطياً . ومن اهم احوالها الاجتماع العام المدعو (كله) الذي كان يلتئم مرتين في السنة اي في شهر ايلول عند انقضاء الصيف وفي آذار عند انقضاء الشتاء . وكان يحضر

هذين المؤتمرين العلماء والدارسون من كل صقع وحدب على اختلاف اعمارهم وتباين درجات علمهم . فتتهافت الاسئلة من كل جانب على ذلك المؤتمر . فيتناقش الاعضاء فيها ويفتون ويوقع تلك الفتوى بعد البت فيها رئيس الاجتماع « ريش كله » وكانت منزلته بعد رئيس « الجلسات المدرسية » « ريش متبتا » . وعليه فقد كانت الجامعات البابلية بمنزلة مدارس خصوصية للشريعة وجامعات او دور ندوة للشعب(١)

واذ افضى بنا البحث الى المشنا والجمارة والتلموذ وجب علينا ان نقف عندها ونبحث عنها بحثاً مجملاً على قدر مايتحمله كتابنا هذا فنقول : ان التلموذ اسم عام للمشنا والجمارة ويطلق بنوع خاص على الجمارة وحدها ولا سيما التلموذ البابلي . اما « المشنا » او الشريعة الشفهية فقد اختلف علماء اليهود في اصلها فمنهم من رفعها الى عزرا ومنهم الى سليمان وداود ومنهم الى موسى. والذين عزوها الى موسى افترقوا في الرأي فذهب فريق منهم الى انها سلمت اليه كتابةً كما هي او خلاصتها وفريق الى

(١) ان رؤساء اساقفة الكنيسة النسطورية كانوا يعقدون مثل هذه المؤتمرات او السنهدوسات مرتين في السنة في عهد البطريرك بابي ٤٩٧ — ٥٠٢ فكان كل رئيس اساقفة يجمع اساقفته مرتين للمفاوضة في شؤون اقليمه ثم اقتصروا على الاجتماع مرة في السنة في شهر ايلول وذلك في عهد البطريرك حزقيال (٥٧٠ — ٥٨١) راجع السنهدوسات الشرقية طبعة شابو (ص ٣١٣ وص ٣٨١) ورسالتنا في جريدة « صدى بابل » العدد ٥٧ من سنتها الثانية بعنوان « احوال الكلدان على توالي الازمان » .

انه تلقاها مشافهةً . وتحتوي على احكام دينية وقضائية تفسر احكام شريعة التوراة او شريعة موسى . ومعظمها مكتوب باللغة العبرية التي كانت جارية بعد السبي وتنقسم الى ستة اقسام (سداريم) الاول يبحث في الفلاحة (زراعيم) والثاني في الاعياد والمواسم (موعيد) والثالث في النساء وحقوقهن (ناشيم) والرابع في العقوبات (ازكين) والخامس في الذبائح والضحايا (قادشيم اي المقدسات) والسادس في الطهارة والنجاسة (طهوروت) .

ويقسم كل قسم من هذه الاقسام الى عدد معلوم من الرسائل (ماسكتوث اي انسجة) والرسائل الى فصول (براكيم) والفصول الى فقرات او قضايا . ولا محل هنا للافاضة في كل واحد من هذه التقاسيم .

فالتلموذ الفلسطيني يذكر كل فقرة او قضية من المشنا ويردفها بالجمارة . اما التلموذ البابلي فيكتفي بالاشارة الى صفحة المشنا ويعقبها بالجمارة تواً ويشير الى كل وجه من الصفحة بـ (ا) و (ب) . والجمارة البابلية او التلموذ البابلي يبحث عن ٣٦ رسالة ونصف من المشنا . ولغته الارمية الشرقية (التي تضاهي الارمية المندائية) والتلموذ الفلسطيني مكتوب بالارمية الغربية (التي تضاهي ارمية الكتاب المقدس او ارمية التراجيم (جمع ترجوم) الا قسم البارينا فانه بالعبرية . وان كان عدد الرسائل التي يبحث عنها التلموذ البابلي اقل من التلموذ الفلسطيني الا ان حجم الاول يفوق حجم الثاني نحو ثلاث مرات . وقد قال احد الربانيين ان الشريعة المكتوبة هي ماء والمشنا خمرة والجمارة شراب معطر نفيس كل النفاسة (١)

(١) Hosmers : Jews . 144

وقـد تضاءلت أنوار التلموذ الفلسطيني امام التلموذ البابلي . فنـال هذا منزلة سامية عند علماء اليهود ولايزال كذلك الى يومنا هذا . وان استعمل حيناً القرائيون التلموذ الفلسطيني في مجادلاتهم . (وسيأتي ذكر القرائيين في حينه)

تقسم حقبات العلوم الدينية عند اليهود بعد المسيح الى « عموراييم » اي متكلمين اومفسرين وهم العلماء الذين ظهروا حوالي سنة (٢٢٠ـ٥٠٠ ميلادية) فانشأوا الجمارة وانتهت حقبتهم بانتهاء التلموذ . ثم جاءت بعدهم حقبة « السابورائي » اي الشارحين او المرتئين ودامت هذه الحقبة نحو اربعين سنة (٥٠٠ ـ ٥٤٠ ميلادية) وقد اضافوا على التلموذ بعض اضافات من عندياتهم للشرح وللقضايا الجديدة .

وجاء بعد حقبة السابورائي « حقبة الغاوونيم » وهم رؤساء مدرستي سورا وبمباديثة في بابل . وغاوونيم جمع « غاوون » ومعنى هذا اللفظ العبري « المفخم » . وهذه الكلمة وان كانت قديمة العهد الا انها اطلقت بنوع خاص على رؤساء المدرستين منذ اوائل القرن السابع للميلاد الى القرن الحادي عشر اي نحو اربعمائة سنة ونيّف . وقد اختلفت منزلة الغاوونيم باختلاف الدهور والاشخاص الذين تولوا هذا المنصب .

وقد خلف كثيرون من الغاوونيم مصنفات جليلة اشتغلوا بها فرادى وانفسها في عيون اليهود بالنظر الى اتساع الآداب عندهم هي مؤلفاتهم الموضوعة على طريقة السؤال والجواب ولاسيما تلك التي تعالج ابحاث الهلاقا . (١) وكانت ترد اليهم هذه الاسئلة من اقطار

(١) الهلاقا « Halacha » القانون العرفي المختص بالحياة والقضاء والقدر .

مختلفة . فاما يجيب عنها الغاووني بنفسه ويبت فيها بتاً منفرداً واما يكون الجواب خلاصة المناقشة التي تدور حول الموضوع بين اعضاء المدرسة . واول ظهور هذه المصنفات كان في القرن السابع بقلم مار راب ششنا وآخرها في عهد حي غاوون المتوفى سنة ١٠٣٨ وكل المؤلفات التي ظهرت في تلك الاثناء هي مشحونة فوائد أدبية .

ومن جملة مؤلفات القرن الثامن كتاب الاسئلة (شايلتوث) من آثار راب احي صبحا وان لم يكن غاوونيا فالمرجح انه من مدرسة بمباديثة . كان احي صبحا عالماً من اشهر العلماء التلموذيين ولم يظهر تأليفه المذكور وهو مجموعة اناشيد عن الشريعة اليهودية والاخلاق الا وشاع تدريسه وتناقلته افواه العامة . والمشهور ان هذا التأليف اول سفر كتبه عالم يهودي بعد انتهاء التلموذ .

نكتفي بما ذكرناه عن الآداب العبرية في بابل في هذا الفصل الموجز لابل موجز الموجزات وعن مدارسها ولكنا سنذكر في مطاوي بحثنا في كل عصر بعض العلماء الذين نبغوا في غضونه .

٥٥٥٥٥٥٥٥

يهود العراق
في
عهد العرب

عرفت اليهودية في بلاد العرب في عهد الجاهلية . وقد كان لليهود في تلك الجزيرة جماعة ضخمة قبل ظهور النصرانية بنصف قرن . ويدعي يهود اليمن ان اجدادهم ظعنوا الى ذلك القطر منذ عهد سليمان الحكيم . ومن مأثوراتهم المرجح قبولها ان طائفة منهم جاءت اليمن قبل خراب الهيكل الاول باثنتين واربعين سنة ويزعم ان ارميا النبي نزل اليمن على راس ٧٥٠٠٠ يهودي بينهم الكهنة واللاويون . وان عزرا الكاتب قبل ان يرجع الى اورشليم في عهد كورش (٤٥٨ ق م) عطف على بلاد العرب واراد ان يقنع مهاجري اليهود بالرجوع الى وطنهم فابوا . وبعد ستة قرون من ذلك التاريخ نرى القوم في اليمن راتعين في بحبوحة الهناء ويقال ان في القرن الثاني الميلاد هاجر اليه طائفة كبيرة منهم (١)

ويقال ان اليهودية كانت منتشرة في اليمن على عهد الملك « ياسر انعم او انعم الانعامة » الذي أمر بنصب صنم نحاس وكتب على صدره بالمسند هذا الصنم لياسر انعم الحميري ليس وراءه مذهب فلا يتكلفن احد ذلك فيعطب . وقيل ان وراء ذلك الرمل قوماً من أمة موسى . وهم الذين جاء عنهم في الآية : ومن قوم موسى امة يهدون بالحق

(١) S. Mendelssohn : the Jews of Asia 164 - 166

وبه يعدلون (سورة الاعراف) والله اعلم . (١)

وقيل ان انتشارها كان في عهد خليفة ياسر انعم وهو تبع وهو تبان وهو اسعد ابو كرب . ولا يعلم بالضبط زمن ملكه فمنهم من قال انه في اوائل القرن الثالث للميلاد ومنهم من ذهب الى انه كان في القرن الرابع . وقيل انه تهود على ايدي حبرين من بني قريظة اسمهما كعب واسد وهو الذي ادخل اليهودية الى بلاد اليمن (٢)

وتولى في اوائل القرن السادس للميلاد عرش اليمن الملك الشهير ذو نواس وكان يهودياً وحمل على نصارى نجران واستظهر عليهم وخيرهم بين التهود والاخدود فاستجاروا بالحبشة فاجاروهم وحملوا على ذي نواس وتغلبوا عليه وعلى قومه وقيل انه لما رأى ذلك ركب فرسه واغرق نفسه في البحر (٣)

وانتشر الدين اليهودي في قبائل من العرب في حمير وبني كنانة وبني الحرث بن كعب وكندة (٤) . وقد قام منهم شعراء مجيدون لهم قصائد حسان صحيحة السبك مرصفة المعاني كاوس بن دني من قريظة والربيع بن الحقيق من رؤساء قريظة وكعب بن الاشرف بن النضير وابي الزناد اليهودي . وغيرهم من الذين وصل الينا ذكرهم اومن الذين انقطع عنا خبرهم (٥) . ومن يهود الجاهلية ذلك الشهم الكريم الذي سارت الركبان بذكره وضربت الامثال في سماحته ووفائه السموأل بن عاديا صاحب القصر الابلق في تيماء وقد مدحه الاعشى في قصيدة منها :

(١) الكامل لابن الاثير ج ١ : ١٠٨ (٢) الطبري ج٢: ٩٥ و٩٦ (٣) الطبري ج ٢ : ١٠٧ (٤) المستطرف للابشيهي الجزء الثاني ص١١٤ (٥) الاغاني ج ١٩ : ٩٤

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به ... في جحفل كسواد الليل جرار

فشك غير طويل ثم قال له ... اقتل اسيرك اني مانع جاري (١)

وكان بينهم رجال حرب وطعان اظهروا في وقائعهم في صدر الاسلام قدرة على القتال ونزوعاً الى اتخاذ السلاح ورباطة جأش اسهب في وصفها كتاب العرب ودونوا حوادثها في كتبهم (٢) وتعاطى يهود بلاد العرب التجارة حتى انهم احتكروا بيع السلع في يثرب لان رؤوس اموالهم كانت تساعدهم على الاحتكار (٣)

* * *

كانت حالة اليهود في الشرق في مفتتح القرن السابع على ما مر بك في الفصول السابقة . وكانت دولتان عظيمتان تتنازعان النفوذ في العالم وكل منهما تحاول مد سيطرتها على الاخرى وتسعى الى توسيع نطاق ملكها اريد بهما دولة الرومان ودولة الفرس . وكانت دولة ثالثة دون الاثنتين في الحول والطول ولكنها كانت تجمع قواها من حين الى آخر وتنزل ميدان الاعتراك الا وهي دولة الحبشة .

ولما كانت الامور سائرة هذا السير انبعثت من بلاد العرب قوة عظيمة قلبت العالم ظهراً لبطن وبرز من مفاوز الحجاز رجل فتح صحيفة جديدة في تاريخ الدين والمجتمع والسياسة وهو النبي محمد بن عبدالله بن عبد المطلب رسول العرب . فبث دعوته ونشر الاسلام في المسكونة .

(١) الاغاني ج ١٩ : ١٠٠ (٢) الطبري ج ٢ : ٢٩٧ وج ٣ : ٢ و ٥٢ و ٩١

(٣) تجارة العراق قديماً وحديثاً ص ٣٨

واذ كان لكل دعوة من مبادئ تعزز كيانها وتسند قوامها وتضمن سلامتها ولكل ملة شرائع تنص بواجبات الملل الاخرى وحقوقها وقد اودعت للاسلام تلك الشريعة سورة التوبة .

سارت الكتائب الاسلامية من بلاد العرب وتوجهت الى العراق بقيادة سعد ابن ابي وقاص في عهد الامام عمر بن الخطاب وفتحت الخورنق والحيرة والقادسية وبهمشير والايوان واسبانبر(١) وكل بلاد العراق ودكت معالم الفرس واستولى المسلمون على العراق وسكانه . فكان نصيب اليهود كسائر اصحاب الاديان في هذه الاقطار فنهم من دانوا بالاسلام ومنهم من ادوا الجزية .

ويظهر ان اليهود والنصارى في العراق استبشروا بالفتوحات الاسلامية وساعدوا الفاتحين المسلمين اهل التوحيد لأنهم كانوا يستثقلون وطأة حكم الفرس الوثنيين ولا سيما في أخريات ايامهم حيث كان الضعف قد فشا في دولتهم .

جاء في تاريخ اليهود ان البستاني (٢) راس الجالوت ارضى الامام

(١) اسبانبر معناها مدينة الخيل لان (اسبان) الخيل و (بر) المدينة باللغة الفارسية القديمة . فقد اخطأ اذاً من قال اسبانير كما جاء في كتب كثيرة . وقد هدانا الى هذا التصحيح حضرة استاذنا العلامة الاب انستاس الكرملي .

(٢) البستاني هو راس جالوت على اليهود بعد الفتح الاسلامي تولى هذا المنصب في منتصف القرن السابع للميلاد . وهو الذي اعاد مجد رئاسة الجالوت بعد زواله . وبقي هذا المنصب في اعقابه يتوارثه الخلف عن السلف عهداً طويلاً

عمر بن الخطاب وخدم المسلمين خدمات جليلة . فتقديراً لتلك الخدم انعم عليه بعهدة (١) اودعها وصايا بحق اليهود . وقبل منصب رئاسة الجالوت واقر بمنزلته وسلطته على ابناء قومه (٢)

ان الامام عمر بن الخطاب حتم على اهل الذمة في العراق جزية رتبها كما يلي . قسم القوم ثلاثة صفوف : العلية والاوساط والسواد وكان يتقاضى من كل نفر من علية القوم جزية قدرها ٤٨ درهماً ومن الاوساط ٢٨ درهماً ومن السواد ١٢ درهماً في السنة (٣)

وفي عهد يزيد الاول الاموي ومن عقبه من الخلفاء توّاً عاش اليهود في العراق في هدو وسلام (٤) وكان لرأس الجالوت نفوذ على ابناء قومه نفوذ السلطان .

وظف المسلمون اليهود في صدر الاسلام . لما كان موسى الاشعري والياً على البصرة كان له كاتب يهودي يعتمد عليه في شؤون الولاية ويركن اليه ولا يثق بغيره . فبلغ

(١) كثيراً ما ورد ذكر العهود التي اعطاها الخلفاء الراشدون للنصارى واليهود ولكن رجال التحقيق والتدقيق ينكرون صحة هذه العهود مستندين الى درس نصوصها . وقد ثبت عندهم ان انشاء العهود لايوافق انشاء زمان الراشدين وبين اسماء الشهود الذين وقعوها من قد انقضت آجالهم قبل تاريخ التوقيع .

(٢) S. Mendelssohn : The Jews of Asia 220

(٣) كتاب نزهة القلوب الفارسي لمؤلفه حمد الله المستوفي القزويني ص ٢٩ من طبعة ليدن

(٤) S. Mendelssohn : The Jews of Asia 221

الامام عمر عنه مادعاه الى طلب عزله فتوقف ابو موسى عن اجابة الامر معتذراً بانه لايجد لديه من يقوم مقامه سواه فعاوده عمر بالامر وبقي ابو موسى على رأيه . حتى كتب اليه مرة ثالثة .

ولما خط المسلمون الكوفة لم ينتقل اليها احد من اليهود بل بقوا في الحيرة وقد وقف سنة ٧٧ هجرية الحجاج بن يوسف الثقفي على المنبر في الكوفة وقال يا اهل الكوفة لا اعز الله من اراد بكم العز ولا نصر من اراد بكم النصر اخرجوا عنا لا تشهدوا معنا قتال عدونا انزلوا بالحيرة مع اليهود والنصارى .

وجاء في رواية عن الواقدي ان في سنة ٢٠ اجلي يهود نجران الى الكوفة. وعلى كل حال لم يطل الامد على انشاء الكوفة حتى نزلها اليهود وازهرت جماعتهم فيها . جاء في اخبار ابي العباس السفاح راس الدولة العباسية انه نزل عليه في الكوفة عبدالله ابن الحسن بن الحسن بن علي مناظره في الخلافة من آل البيت فسأله السفاح وكان به حفياً هل في نفسه شيء يشتهيه فيبلغه اياه فقال له قد بالغت في اكرامي واجلت في صلتي ولكنني مازلت اشتهي ان يجتمع لي مرة الف الف دينار . فقال ابو العباس لا يوجد يا اخي هذا المقدار في بيت مال المسلمين ولكن انتظرني ريثما اتداركه لك ثم ارسل السفاح من فوره الى رجل تاجر يهودي فاقترض منه هذا المال الجسيم .(١)

ولما عمرت بغداد سنة ١٤٦ هجرية (٧٦٣ م) تحلب اليها الناس من كل صقع وقطر للارتزاق والتجارة والادب وبينهم المسلم والنصراني واليهودي والصابئ والسامري

(١) مجلة المقتطف المجلد ٢٤ ايار سنة ١٩٠٠ ص ٣٨٦

والمجوسي والوثني وغيرهم . ولم تنفرد بغداد وحدها بهذا الامر بل كانت البصرة والكوفة في العهد العباسي الاول على هذا المنوال من تجمع اهل الملل والنحل على تباين مذاهبهم (١) .

وفي النصف الاخير من القرن الثامن للميلاد نشأت في بغداد بدعة القرائين على يد عنان الشهير (٢) فانه بعد ان فشل من الارتقاء الى منصب رأسة الجالوت لفساد سيرته وسوء اخلاقه وقلة تقواه واقام اليهود مكانه اخاه الصغير حنانيا عادى فرقة الربانيين التي كانت صاحبة الكلمة الراجحة في قومهم وخرج عليهم ببدعته الجديدة . ونادى اتباعه رأساً للجالوت .

فقامت قيامة الربانيين وتذرعوا بما لديهم من الحول والطول وسخروا نفوذ رأس الجالوت في احباط الفئة الجديدة وتوصلوا الى سجن عنان واصدار امر بقتله الا ان ابا حنيفة صاحب المذهب الحنفي انقذه من هذا الحكم وكانا في سجن واحد .

وجاءت اجيال بعد عنان ذاقوا فيها القرأوون مضض اضطهاد الربانيين ومما كسهم حتى اضطر قوم منهم الى مغادرة البلاد ورحلوا الى فلسطين حيث لم يكن نفوذ راس الجالوت واسع النطاق كما هو في العراق .

وما عتمت فلسطين ان اضحت مركزاً مهماً للقرائين واستظهروا فيها على

(١) جرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية .

(٢) يقال ان عنان توفى سنة ٧٦٥ للميلاد وقد ألف كتاب التفسير لأسفار موسى ومصنفات أخرى في اللغة العبرية التلموذية والعربية وقد فقد معظمها

الربانيين . ولما كان منتصف القرن التاسع للميلاد جاء ابن مئير من فلسطين الى العراق وجد لدى الربانيين ليسعوا بما لديهم من الوسائل في دار الخلافة انتصاراً لفرقتهم في فلسطين .

ان فرقة القرائين رفضت التلموذ وتمسكت بالشريعة المكتوبة وحدها او شريعة موسى . وقد جعلها بعضهم فرقة من الصدوقيين أو السامريين او رقى اصلها الى هاتين الفرقتين او الى غيرهما من الفرق اليهودية بيد أنه لا علاقة تاريخية البتة بينها وبين تلك الفرق القديمة بل ولا علاقة روحية (١)

عرف العرب فرقة القرائين باسم مبتدعها عنان فقالوا العنانية وأنها منسوبة الى رجل يقال له عنان بن داود راس الجالوت وهم يخالفون سائر اليهود في السبت والاعياد ويقتصرون على اكل الطير والظباء والسمك ويذبحون الحيوان على القفاء الخ .. (٢)

وقد ذكرها المقريزي في خططه وفرق بين العنانية والقرائين وجعلهما فرقتين مختلفتين .

واشتهر يهود العراق بعلم التنجيم والطلسمات وذهبت شهرتهم بعيداً في القرون الوسطى الى اوربة . وكان المنجمون اليهود يدخلون دار الخلافة ومما ذكره

(١) اعتمدنا على Encyclopaedia Britannica مادة Qaraites ومادة Anan وعلى Mann : The Jews in Egypt etc Vol I . 59 - 61

(٢) كتاب الملل والنحل للشهرستاني المجلد الثاني ص ٥٤

ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان . ان منجماً يهودياً زعم ان هرون الرشيد يموت في غضون تلك السنة فاغتم الخليفة لهذا الامر . ولما علم جعفر البرمكي بحال الخليفة ركب اليه وكان المنجم اليهودي في يد الرشيد. فقال له جعفر انت تزعم ان امير المؤمنين يموت الى كذا وكذا يوماً قال نعم . قال وانت كم عمرك . قال كذا وكذا امداً طويلاً فقال للرشيد اقتله حتى تعلم انه كذب في امدك كما كذب في امده فقتله وذهب ما كان بالرشيد من الغم وشكره على ذلك وامر بصلب اليهودي فقال اشجع السلمي (١) في ذلك .

سل الراكب المتوفى على الجذع هل راى ... لراكبه نجماً بدا غير اعور
ولو كان نجم مخبراً عن منية ... لاخبره عن رأسه المتحير
يعرفنا موت الامام كأنه ... يعرفنا انباء كسرى وقيصر
أتخبر عن نحس لغيرك شؤمه ... ونجمك بادي الشر يا شر مخبر

ومن غريب ما ورد عن الشاعر ابي دلامة (المتوفى سنة ١٦٠ هجرية ٧٧٦ م) ان ابنه مرض فاستدعى اليه طبيباً وشرط له جعلاً معلوماً فلما برئ قال له والله ماعندنا شيء نعطيك ولكن ادع على فلان اليهودي وكان ذا مال كثير بمقدار الجعل وانا وولدي نشهد لك بذلك فمضى الطبيب الى القاضي بالكوفة . وادعى على اليهودي فانكر هذا . وخرج الطبيب لاحضار شاهديه فانشد ابو دلامه في الدهليز بحيث

(١) هو اشجع بن عمرو السلمي من قيس ولد باليمامة ونزل البصرة ثم اتصل بالبرامكة واختص بجعفر فاوصله الى الرشيد واعجب به فارى (راجع الاغاني).

يسمعه القاضي :

ان الناس غطوني تغطيت عنهم ... وان بحثوا عني ففيهم مباحث
وان نبشوا بئري نبشت بئارهم ... ليعلم قوم كيف تلك النبائث

ولما ادى الشهادة قبل شهادتهما ولكنه اطلق اليهودي وتحمل الغرم من ماله وذلك خوفاً من لسان ابي دلامة (١)

في سنة ٧٩٧ م اوفد شارلمان انبراطور الغرب الى هرون الرشيد خليفة المسلمين وفداً وكان بينهم اسحق اليهودي . وهو الذي قفل راجعاً الى اوربة ووصلها بعد ثلاث سنوات سالماً ومات رفيقاه في الطريق . فواجه الانبراطور في شهر تموز من سنة ٨٠٢م في اكس لاشابل وقدم اليه هدايا نفيسة أتى بها من الخليفة . وكان بينها فيل غريب اضحى اعجاب ذلك العصر والمصر (٢) .

ومنذ نشوء الخلافة العباسية حتى وفاة هرون الرشيد كان يهود العراق على اتم الراحة والهناء . ولما مات الرشيد في سنة ١٩٣ هجرية (٨٠٩ ميلادية) بويع الامين بالخلافة بعد موت ابيه باثني عشر يوماً . وفي سنة ١٩٤ هجرية خلع الامين بيعة اخيه المأمون ونهى عن الدعاء له وامر بالدعاء لابنه موسى فوقع بسبب ذلك حروب وفتن كثيرة بين الامين والمأمون واصحابهما . وفي سنة ١٩٧هـ حاصر طاهر وهرثمة وزهير بن المسيب الامين محمداً ببغداد فكثر الخراب ببغداد وهدمت المنازل واحرقت

(١) ابن خلكان المجلد الاول ص ٣٤٣
(٢) Hosmer : History of the Jews 135

الدور وكثر النهب واخذت اموال التجار ودام الاضطراب الى سنة ١٩٨ هجرية ولم تنحصر تلك المحن ببغداد بل بلغت اذيالهـا الى كل اطراف العراق(١) . وقد لحق اليهود من الاذى في هذه الفتن شيء كثير وتجرعوا الامرين (٢)

وكانت علاقة يهود مصر بابناء دينهم في العراق وثيقة العرى . يرجعـون بامورهم الدينية الى الغاوونيم في بابل والى جامعاتهم . لانعرف اليوم اتساع نطاق ذلك التعلق، ولـكن مما لاريب فيه ان اليهود في مصر ساعدوا باموالهم اخوانهم العراقيين . ومعظم تلك الهدايا اتت من يهود عراقيين سكنوا مصر . وفي حوالي سنة ٧٥٠ ميلادية ترأس جماعة يهود الفسطاط رجل عراقي . وقد عثر احد الباحثين في هذه الايام الاخيرة على رسالة من نحمياغاوون بمباديثة (٩٦١—٩٦٨) بعثها الى الجماعة في الفسطاط(٣)

كان معظم الخلفاء العباسيين على جانب عظيم من التساهل مع هذا القوم واكثرهم تساهلاً المأمون فانه رأف برعاياه واستفـاد من مواهبهم العقلية وذخائرهم العلمية على اختلاف اديانهم وتباين مذاهبهم واطلق الالسنة والاقلام حرة تتكلم ماتشاء وتسطر ما تريد لاينازعها منازع ولا تسيطر عليها سلطة غشوم فضاهت حرية النشر والكلام في زمانه الحرية المستتبة اليوم بين ظهراني الامم العريقة في الحضارة .

ولما اراد هذا الخليفة ان يدون العلوم ويجمعها في دولته جمع في بغداد ثلاثمائة

(١) ابن الاثير في حوادث سنوات ١٩٣—١٩٨ هجرية

(٢) S. Mendelssohn : The Jews of Asia 221

(٣) J. Mann : The Jews in Egypt etc vol I. P 15.

عالم من كل فن من الفنون وعلم من العلوم من كل جنس ودين فألف منهم اكبر ديوان للعلم وهو اشبه شيء عند اهل هذا الزمان باكادمية العلوم ثم اذن بينهم بالحظر عليهم في اجتماعهم من مسلم وغير مسلم ان يستشهدوا باي القران والانجيل والتوراة وامر بان لا يتعرضوا في مباحثهم لما لا يمس بالاديان فيفضي بهم ذلك الى التخاذل والتشاحن والتباغض والتنافر (١)

وفي عهد المأمون وقعت الفتن في الامة اليهودية وتنازع الرئاسة فرق منهم فحكم الخليفة بينهم وحل المسألة بقرار ان كل عشرة نفر اذا اتفقوا يقومون لهم راساً عليهم فقام النصارى من جانبهم واعترضوا على هذا الأمر الذي لم يوافق مصلحة رؤسائهم(٢)

لانعرف الاسباب التي اوجبت ذلك النزاع ولا الفرق التي تنازعت الرئاسة كما نوه به صاحب ذخيرة الاذهان . بل اننا نعرف ان مثل ذلك النزاع على الرئاسة وقع بين يهود العراق مراراً عديدة . وانتج فتناً بين الجماعة . ومنه النزاع الذي قام بين الربانيين والقرائين على ما مر بك .

وقد اشتد الخصام بين رؤساء الجالوت والغاوونيم (رؤساء المدارس) ولا سيما بعد ظهور عنان وجعلت رئاسة الجالوت انتخابا يشارفه الغاوونيم. وان هذا الخصام افضى بهم الى ضعف هاتين الرئاستين . قال مندلسون في كتابه يهود آسية ، في

(١) مجلة المقتطف مجلد ٢٤ ص ٣٨٨ لسنة ١٩٠٠

(٢) كتاب ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان لمؤلفه القس بطرس نصري مجلد ١ : ٣٣٣

تضاعيف كلامه عن خلافة المنصور دام الخصام بين رؤساء الجالوت والغاوونيم يورث ضرراً عظيماً الى الجماعة بكل معنى الكلمة واشتد الخصام في القرن التاسع والعاشر (١)

ذكرنا في الفصل السابق عن الاداب العبرية في بابل نتفاً من تاريخ مصنفاتهم وكان نطاقها منحصراً في المواضع الدينية والمواد المتعلقة بالزواج والمعاملات في العبرية والارمية ولما جاء الفتح الاسلامي وانتشرت اللغة العربية في العراق وحدثت النهضة العلمية والفكرية على عهد العباسيين ولا سيما في زمان الرشيد والمأمون انفتح مجال واسع ليهود العراق وعالجوا مواضيع مختلفة في الرياضيات والطب والفلسفة والصرف واللغة العربية . واقتبسوا شيئاً كبيراً من الاداب العربية . وقام بينهم مؤلفون نشروا معاجم ومنه معجم التلمود الذي الفه سيماح بن بتلوا ، غاوون پمباديتة وهو اليوم مفقود وظهر كتاب « الهلاخوت الاكبر » لمؤلفه يهوذا غاوون سورا « والمعروف انه ليس غاوونياً » وكان قد ظهر قبله في القرن الثامن كتاب « الهلاخوت الاصغر » الفه شمعون كيرا . وكتاب السدور لعمرام بن ششوا .

وقد اشتهر من اطباء يهود العراق في ذلك الزمان فرات بن شحناثا خادم الحجاج ابن يوسف الثقفي وعيسى بن موسى العباسي ولي العهد في ايام المنصور وكان يشاوره في كل اموره ويعجبه عقله (١) ومن المنجمين اليهود ماشاء الله كان في زمن المنصور

(١) اخبار الحكماء لابن القفطي ١٦٩

(٢) S . Mendelssohn : The Jews of Asia 222

وعاش الى ايام المأمون وكان فاضلاً اوحد زمانه وسند بن علي المنجم المأموني كان يهودياً فاسلم في عهد المأمون وكان يعمل في جملة الراصدين . امره المأمون بان يقيس هو وخالد بن عبد الملك المروزي قوساً من الهاجرة (١) ومن ادباء اليهود ابو عبيدة الشاعر المتوفى سنة ٢٠٩ هجرية (٨٢٤ م) وله كتاب المثالب (٢)

واول من ضبط قواعد النحو هرون بن موسى وهو يهودي من اهل البصرة اسلم واشتغل بالادب وضبط النحو لكنه لم يؤلف فيه (٣)

ولقد كان لمسئلة التقويم خطورة عند اليهود لمعرفة اعيادهم واصوامهم : فقبلت الجماعة في بابل التقويم الذي اقره علماؤهم في جبل الزيتون باسم رئيس جامعة فلسطين واعضائها على ماجاء في رسالة لابن مئير في جدال قام بينه وبين سعديا في سنة ٩٢١ — ٩٢٢ . وقد اجاب علماء بابل على ادعاء ابن مئير بهذا الخصوص برسالة يظن الباحثون ان كاتبها رأس الجالوت : ان لا خلاف بين الفلسطينيين والبابليين في السنة الكبيسة لان جميع اليهود قبلوا ذلك استناداً الى حساب وصلنا بالتقليد ولكن مادة النزاع قائمة على ان شهري حشوان وكسليو هما تامان او ناقصان . وكانت بابل تعتمد في هذا الباب سابقاً على فلسطين لانها (اي بابل) لم تكن واقفة كل الوقوف على حساب التقويم الا ان قبل سنوات سافر بعض العلماء من هنا الى الارض المقدسة ووقفوا على

(١) مجلة المشرق سنة ١٩٠٠ ص ٦٧٧ ومجلة الضياء السنة الثانية ص ١٣٤

(٢) مجلة المقتطف المجلد ٤٤ الجزء ٢ ص ١٦٧

(٣) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ : ١١٤

معضلات التقويم . واخذ من ذلك الحين كل قطر يضع تقويمه مستقلاً عن الثاني وزال كل اختلاف ولم يذكر اليوم المعمرون منا ان جامعة بابل يجب ان تستشير فلسطين في وضع التقويم .

يعترضنا هنا مشكل تاريخي وهو متى زار علماء بابل فلسطين ؟ . فقد ذهب بعضهم الى ان ذلك كان في عهد الاموريين لما وضع هليل الثاني قواعد التقويم . لكنه ثبت مؤخراً ان بابل كانت تعتمد على رئيس مدرسة فلسطين واعضائها في سنة ٨٣٥ ميلادية على ما جاء في احدى المخطوطات وهي قطعة من رسالة كتبها رأس الجالوت ربما كان داود بن يهوذا . ولذا فان ادعاء ابن مئير بهذا الحق بعد ٨٥ سنة لم يكن فارغاً غير ان الظاهر ان يهود بابل شعروا حالاً بعد سنة ٨٣٥ بحاجة الى تعلم اصول التقويم من فلسطين لاسباب مجهولة . فسافروا حالاً وضبطوا قواعده واستقلوا بوضعه .

ومما يستحق الذكر ان اول غاووني بابلي اشتغل بمسألة التقويم كان الرباني نحشون من مدينة سورا ٨٧٤ — ٨٨٢ ميلادية وهو ابن الرباني صادوق الغاووني سنة ٨٣٣ — ٨٣٥ (١)

وما تم ان اشتهر يهود بابل بحساباتهم واخذ عنهم ابناء قومهم في الاندلس فقد قال عنهم ابو القاسم صاعد الاندلسي ما يأتي : ولقد كان ليهود بغداد تضلع من فقه دينهم وحسابات اعيادهم وسني تاريخهم حتى ان يهود الاندلس كانوا يرجعون اليهم في كل ذلك ويستجلبون من عندهم حساب عدة من السنين يتعرفون به مداخل تاريخهم

Mann : The Jews in Egypt and Palestine PP 51 - 54(٢)

ومبادىء سنتهم وبقي الامر على هذا المنوال حتى نبغ بينهم الطبيب حسداي بن اسحق وكان من احبارهم الاعلام فخدم الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ونال عنده نهاية الحظوة وتوصل به الى استجلاب ماشاء من تآليف اليهود بالمشرق فاستغنوا عما كانوا يتجشمون الكلفة فيه (١).

كل يعلم ان الحكومات كانت في الاعصر الخالية متعلقة بارادة الوازع . فان كان ملك البلاد مفطوراً على العدل والحق قضى رعاياه ايامهم في رخاء وسلام وساروا نحو الرقي والنجاح وان جنح الى الظلم والجور باتت الامة في مرتع وخيم ولعبت بها ايدي سبا . اذ لم يكن للملك من سلطة قانونية مصدرها الشعب تهيمن عليه وتناقشه الحساب . وهكذا كانت سلطة الخلفاء العباسيين ومن ملك في ايامهم من الملوك . فان قام منهم خليفة سمح كالمأمون اصبح العراقيون على اختلاف مللهم ونحلهم في رغد وابتسم لهم الدهر . وان تولى الحكم رجل غشوم رزحوا تحت عبء الاكدار والمصائب . وكان تأثير العسف على الطوائف التي هي من غير دينه اشد وانفذ .

فحالة اليهود في العراق في عهد العباسيين سارت هذا السير . وبعد ان تقلبوا في نعيم العيش في عهد المأمون تنغصت حياتهم في عهد المتوكل فانه كان شديد الوطأة على اهل الذمة اذ امرهم سنة ٢٣٥ هجرية (٨٤٩ م) بان يلبسوا لباساً يميزهم عن المسلمين ويركبوا سروجاً تختلف عن سروجهم وان يجعلوا على ابواب دورهم صور شياطين من خشب مسمورة تفريقاً بين منازلهم ومنازل المسلمين ونهى ان يستعان بهم في الدواوين

(١) طبقات الامم لابي القاسم صاعد الاندلسي ص ١٣٤

واعمال السلطان التي يجري احكامهم فيها على المسلمين ونهى ان يتعلم اولادهم في كتاتيب المسلمين وامر بهدم معابدهم الحدثة وبأخذ العشر من منازلهم وبتسوية قبورهم مع الارض وبغير ذلك مما يذلهم وكتب بذلك الى العمال في البلاد (١) . ولم يكن المتوكل مع اهل الذمة على هذا العسف وحدهم بل اغلظ معاملته مع اهل البيت وحرث قبر الحسين. (٢)

فقد كان لهذا الامر مؤثرات مجحفة بالنصارى واليهود على السواء . فان منصب راس الجالوت تعطل بعد ان تولى المتوكل الخلافة وكان ذلك المنصب افاد اليهود فائدة جليلة مدة سبعة قرون وساعد القوم على ادارة شؤونهم الداخلية ادارةً تضاهي الاستقلال الذاتي . (٢)

واشتهر عند يهود العراق في هذا الزمن سعديا بن يوسف من مدرسة سورا المعروف بسعديا الفيومي نسبةً الى مدينة الفيوم في مصر التي هي وطنه الاصلي . طبق صيته الخافقين وخلد ذكره على ممر القرون ومختلف الاجيال . وتضاءلت امامه شهرة اعظم طائفة من المؤلفين اليهود . ويظهر انه لمنزل العراق كان على جانبٍ من المعرفة والمنزلة العلمية حدثت عنها الالسنة . ولد سنة ٨٩٢ ميلادية ورقي الى منصب الغاوون في سورا سنة ٩٢٨ وتوفي سنة ٩٤٢ . ولما تولى رئاسة مدرسة سورا دخلت المدرسة في دور جديد وازدهرت فيها العلوم اي ازدهارٍ . وكان معظم سعيه موجهاً الى مناضلة القرائين ومحاربتهم . وقد خلف تآليف كثيرة نشرت كلها . وراس تركته العلمية ترجمته العربية

(١) الطبري المجلد ١١ ص ٣٦—٣٨ (٢) كتاب الفخري لابن الطقطقي ص ٢١٥

(٢) Graetz, History of the Jews, vol 3. P. 206

للعهد القديم نقله عن العبرية .

ومن مشاهيرهم هرون الكاهن ابن يوسف من احبار بغداد في القرن العاشر الميلاد وكان مناظراً لسعديا الفيومي الآنف الذكر (١)

وجاء في كتاب الحكماء لابن القفطي (٢) ذكر ربن الطبري اليهودي المنجم كان حكيماً طبيباً عالماً بالهندسة وانواع الرياضة وحل كتباً حكمية من لغةٍ الى لغةٍ اخرى . وكان ولده علي طبيباً مشهوراً انتقل الى العراق وسكن سر من رأى . وربن هذا كان له تقدم في علم اليهود والربن والربين والراب اسماء لمقدمي شريعة اليهود. وقد جاء في كتاب عيون الانباء (٣) عن ابي الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري انه اسلم على يد المعتصم وسكن سر من رأى وادخله المتوكل في جملة ندمائه وهو معلم الرازي صناعة الطب ومن مؤلفاته كتاب فردوس الحكمة وكتاب ارفاق الحياة وكتاب تحفة الملوك وكتاب كناش الحضرة وكتاب منافع الاطعمة والاشربة والعقاقير وكتاب حفظ الصحة وكتاب في الحجامة وكتاب في ترتيب الاغذية (٤)

(١) مجلة الهلال لسنة ١٩١٤ (٢) ص ١٢٨

(٣) عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة المجلد الاول ص ٣٠٩

(٤) جاء اسم هذا المؤلف في كتاب الفهرست طبعة فلوجل ص ٢٩٦ علي بن زبل واظنه غلط نسخ لان صاحب طبقات الاطباء قال نقلاً عن الفهرست ربل . وقال عنه انه كان في اول امره نصرانياً فاسلم وكذلك جاء في ترجمة ابي بكر محمد بن زكريا الرازي في كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان المجلد الثاني ص ٥٠٣ من

وفي سنة ٣٢٩ هجرية (٩٤٠—٩٤١ م) نكب الكوفي هرون اليهودي جهبذ ابن شيرزاد وبقي عليه من مصادرته ستون الف دينار فاخذت داره وكانت قديماً لابراهيم بن احمد المادرائي راكبة دجلة والصراة وفيها بستان ابي الفضل الشيرازي ودار المرتضى وحمل هذا اليهودي الى بجكم بواسط فضرب بين يديه بالدبابيس

طبعة مطبعة الوطن اذ قال : « وكان اشتغاله بالطب على الحكيم ابي الحسن علي بن ربن الطبري صاحب التصانيف المشهورة ومنها فردوس الحكمة وغيره وكان مسيحياً ثم اسلم » ورجح الدكتور الفونس منكنا هذه الرواية الاخيرة عن دين الطبري الاول في مقدمة ترجمته الانكليزية لكتاب للطبري المذكور سماه المترجم The Book of Religion and Empire الا اننا نرجح يهوديته .

واذا كان الشيء بالشيء يذكر نقول كثيراً ما يختلط على المؤلفين اديان بعض العلماء الاولين ومما استغربناه كل الاستغراب ما جاء في كتاب تاريخ الاسرائيليين لشاهين بك مكاريوس المطبوع سنة ١٩٠٤ في مطبعة المقتطف بمصر ص ١٧٢ في الفصل الذي ارصده المؤلف لاطباء اليهود عن جبرائيل بن بختيشوع انه كان يهودياً والحال ان اسرة بختيشوع كانت كلها نصرانية على مذهب النسطورية كما هو مشهور معلوم « راجع كتاب الحكماء لابن القفطي وطبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ومقالتنا في مجلة المشرق بعنوان « بختيشوع الطبيب النسطوري واسرته (سنة ١٩٠٥ ص ١٠٩٧)

ومن ذلك ما جاء في فهرست كتاب الحكماء لابن القفطي ص ٤ المطبوع بمطبعة

حتى مات (١)

وكما قام خليفة اوسلطان او وزير ينزع الى الاجحاف بحقوق الامة ويثقل كاهلها بالمصائب كان اهل الذمة اقرب الناس الى مظالمه وهذا التاريخ اكبر شاهد على حقيقة هذه النظرية التي لا يتنازع فيها اثنان . ومن مؤيداتها ما اتاه الوزير ابو عبدالله البريدي . يعلم من له اقل وقوف على تاريخ بني العباس ان الخليفة المتقي لله استوزر

السعادة بمصر هكذا « زكريا الطيفوري اليهودي المتطبب » واعتماداً على هذه الفقرة ذكرت الطيفوري وزكريا الطيفوري بين اطباء اليهود في مقالتي « يهود العراق » المنشورة في مجلة المقتطف في شهر سبتمبر ١٩٢٠ ص ٢٢٣ وبعد التحقيق ثبت لدي ان هذه الاسرة كانت على النصرانية وذلك اعتماداً على ما ورد في كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة المجلد الاول ص ١٧٩ واليك العبارة بنصها وفصها « (قال يوسف بن ابراهيم) وكان ليوحنا بن ماسويه ابن يقال له ماسويه امه بنت الطيفوري جد اسرائيل متطبب الفتح بن خاقان .. انتهى » . واسرائيل هو ابن زكريا بن اسرائيل الطيفوري المذكور كما جاء في كتاب الحكماء لابن القفطي ص ١٢٨ . ومن الثابت المعلوم ان يوحنا بن ماسويه كان نصرانياً على النسطورية فلا يتزوج الا نصرانية فتكون امرأته نصرانية بنت الطيفوري النصراني وعليه لم يكن الطيفوري يهودياً فاقتضى التنبيه احتراماً للحقيقة والتاريخ .

(١) عن حاشية كتاب تجارب الامم لابن مسكويه الجزء السادس ص ٨ — ٩ وهو مما جاء نقلاً عن صاحب التكملة .

مرة اولى سنة ٣٣٠ هجرية (٩٤١—٩٤٢ م) ابا عبدالله البريدي . ثم قام اليه امراء العسكرية فاضطر الى الهرب من بغداد بعد مدة دون الشهر الا انه جمع له قوة وكر راجعاً اليها بعد ايام . ولما استولى على البلد اخذ اصحابه في النهب والسلب وكبست الدور واخرج اهلها وزادت المحن وعظم الامر وغلت الاسعار وحبط اهل الذمة وعسف اهل العراق وظلمهم ظلماً لم يسمع مثله . (١) فقوله حبط اهل الذمة يشمل النصارى واليهود فانهم قاسوا ماقاسوه من هذا الطاغية مما لايصفه قلم . ولا يبعد ذلك وقد هجاه ابو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الاغاني بقصيدةطويلة اولها :

يا سماء اسقطي ويا ارض ميدي   قد تولى الوزارة ابن البريدي

واشتهر في تاريخ مصر السياسي رجل من يهود بغداد ولد سنة ٣١٨ هجرية (٩٣٠ م) عند باب القز اسمه يعقوب بن كلس سافر به ابوه الى الشام وانفذه الى مصر سنة ٣٣١ ه (٩٤٢—٩٤٣ م) فجعله كافور الاخشيدي على عمارة داره ثم بلغ شأواً قصياً من المجد حتى صار الحجاب والاشراف يقومون له . وتقدم كافور الى سائر الدواوين انلايمضي دينار ولا درهم الا بتوقيعه كان هذا كله وهو على دينه ثم اسلم سنة٣٥٦ هجرية (٩٦٧ م) . ولما مات كافور قبض عليه وزيره ابوالفضل جعفر بن الفرات . الا ان ابن كلس بذل الاموال حتى افرج عنه فتوجه الى بلاد المغرب وتعلق بخدمة المعز العبيدي . ولم يزل يترقى الى ان ولي الوزارة للعزيز نزار ابن المعز سنة ٣٦٨ (٩٧٨—٩٧٩) وكان هو اول وزير للدولة الفاطمية في الديار

(١) الكامل لابن الاثير ٨ : ١٣٤—١٣٥

المصرية . وبقي في هذا المنصب الرفيع حتى موته سنة ٣٦٩ هجرية (٩٨٠ م) وقيل انه مات على دينه وكان يظهر الاسلام . وزاد على هذه الفقرة ابن خلكان والصحيح انه اسلم وحسن اسلامه (١)

ويقال ان اول ممثل سياسي ليهود مصر امام حكومتها العربية جاء من بغداد في النصف الاخير من القرن الرابع للهجرة اوالقرن العاشر للميلاد . ورواية الخبر ان سلطان مصر تزوج من بنت الخليفة العباسي الطائع لامرالله الذي بويع له سنة٣٦٣ه (٩٧٣ م) ولما سارت الى مصر سنة ٣٦٦ هجرية تفقدت شؤون بلادها الجديدة واذ عرفت ان ليس لليهود ممثل سياسي كرأس الجالوت في مسقط راسها طلب زوجها احداعضاء اسرة الجالوت من بغداد وعهداليه رئاسة اليهود في الفسطاط ولقب لقب « ناجيد » (٢)

ومما هو حري بالذكر ماورد عن سنان بن ثابت بن سنان في خلافة المقتدر بالله في مفتتح القرن الرابع للهجرة انه ورد اليه توقيع من الوزير علي بن عيسى ابن الجراح يقول فيه ان ينفذ الى السواد متطببين وخزانة للادوية والاشربة يطوفون فيه ويقيمون في كل صقع منه مدة ماتدعو الى المعالجة اليه . ففعل ولما انتهت البعثة الطبية الى سورا والغالب على اهلها اليهود كتب الى الوزير يعرفه بورود كتابه من السواد يذكرون فيه كثرة المرضى وان اكثر من حول نهر الملك يهود ويطلب رأيه

(١) وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الثالث ص ٣٩١

(٢) Jacob Mann : The Jews in Egypt etc I : 251

في معالجتهم واعلمه ان رسم البيمارستان ان يعالج فيه الملي والذمي ويسأله ان يرسم له في ذلك مايعمل عليه فاجابه . « ليس بيننا خلاف في ان معالجة اهل الذمة والبهائم صواب ولكن الذي يجب تقديمه والعمل عليه معالجة النـاس قبل البهائم والمسلمين قبل اهل الذمة (١)

في هذه الرواية التاريخية ثلاث فوائد ثمينة جداً اولا ان العرب عرفوا المستشفيات المتنقلة في العراق منذ القرن الرابع للهجرة . ثانياً ان اغلب سكان سورا ونهر الملك كانوا يهوداً ثالثاً ان الرأي السائد في ذلك العهد المظلم ان اهل الذمة هم الحلقة الوسطى بين الناس والبهائم .

وفي سنة ٣٨٦ هجرية (٩٩٦ م) قبض ابو علي وهو الموفق الوزير على جماعة من اليهود في بغداد وعسفهم في المطالبة والمعاقبة وكان سبب ذلك ان بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي لما كان في واسط طلب من ابي علي الموفق ملتمسات . فقصد ابن فضلان اليهودي وطلب منه قرضاً يرد عوضه فلم يسعفه . ولما صار ابو علي الموفق الى بهاء الدولة قرر معه في اخذ اليهود ومصادرتهم تقريراً معلوماً فكان ما اتفقا عليه (٢)

وكانت حال اليهود في العراق متقلبة لا تستقر على قاعدة واحدة من السعد اوالشقاء بل كانت تتغير بتغير العمال والحكام والسلاطين اذ لم يكن هناك قوانين مرعية

(١) عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ١ : ٢٢١

(٢) تجارب الامم لابن مسكويه حوادث سنة ٣٨٦

يتخذونها دستوراً للادارة بل كانت ارادة عامل البلد اوسلطان الاقليم العامل الوحيد في تدبير شؤون البلاد واحوال العباد . فقد بلغ احد اليهود في عهد السلاجقة منزلة لم ينلها غيره من اهل الذمة عند المسلمين وهو ابن علان اليهودي ضامن البصرة . وكان نظام الملك يحبه كثيراً وكان امره قد عظم جداً الى حد ان زوجته توفيت فمشى خلف جنازتها كل من في البصرة الا القاضي فاخذ السلطان منه مائة الف دينار . ثم استكثر عليه ارباب الحسد هذه النعمة وسعوا في قتله غرقاً سنة ٤٧٢ هجرية (١٠٧٩ م) فحزن عليه نظام الملك وانقطع عن الركب ثلاثة ايام واغلق بابه (١)

وبعد بضع سنوات تولى الخلافة المقتدي بامر الله (٢) فاغلظ معاملة اهل الذمة وسار على اثر المتوكل في ذلك والزم اليهود بلبس الغيار والعمائم الصفر واما النساء فالازر العسلية وان تخالف المرأة منهم بين لوني خفيها فيكون الواحد اسود والاخر ابيض وان يجعلن في اعناقهن اطواقاً من حديد اذا دخلن الحمامات فهربوا كل مهرب من هذا الجور واسلم بعضهم . وكان سبب ذلك ان يهودياً ببغداد يقال له ابو سعد بن سمحا كان وكيل السلطان جلال الدولة ملكشاه ووكيل نظام الملك فلقيه انسان يبيع الحصر فصفعه صفعة ازالت عمامته عن رأسه فاخذ الرجل الى الديوان وسئل عن السبب

(١) الكامل لابن الاثير ١٠ : ٤٣

(٢) هو عبدالله بن محمد بن القائم تولى الخلافة سنة ٤٦٧ هجرية ١٠٧٤ م وتوفي سنة ٤٨٧ هجرية ١٠٩٤ م وفي زمانه استقل جميع الحكام ولم يبق له حكم الا في بعض بلاد قليلة .

في فمه فقال هو وضعني على نفسه . فسار كوهرائين ومعه ابن سمحا اليهودي الى العسكر يشكيان وكانا متفقين على الشكاية من الوزير ابي شجاع فلما سارا خرج توقيع من الخليفة بالتشديد على اهل الذمة على ما سبق . ولما وصلا الى العسكر شكيا من الوزير الى السلطان ونظام الملك واخبراهما بما يشنع عليهما فارسلا الى الخليفة في عزله فعزله وكان ذلك سنة ٤٨٤ (١) فانصرف الى داره وهو ينشد :

تولاها وليس له عدو   وفارقها وليس له صديق

ان المؤرخين العرب لم يذكروا الا النزر القليل من اخبار وطنيهم اهل الذمة ولم يهتموا الا بتدوين انباء الخلفاء والفتوحات وسير علمائهم وما جاء في كتبهم من تاريخ النصارى واليهود من النتف القليلة اوردوها على سبيل العرض ليس الا . او انهم ذكروها لعلاقتها بتاريخ البلاد واشتراك المسلمين بها . فهم من هذا الباب ليسوا نظير الاوربيين الذين خاضوا كل المواضيع من شرقية وغربية وتعمقوا في درسها حباً بالاطلاع وترويجاً للعلوم .

ومن تلك النتف ماجاء في حوادث سنة ٥٠١ هجرية (١١٠٧ م) عن حريق خرابة ابن جردة في بغداد وكان من تلك المحلة جماعة من اليهود تركوا اشياءهم طعمة للنار لتمسكهم بسبتهم وكان منهم فريق قد عبروا الى الجانب الغربي للفرجة على عادتهم في السبت الذي يلي العيد فلما عادوا وجدوا بيوتهم قد خربت واهلها قد احترقوا واموالهم قد تلفت (٢)

---

(١) الكامل لابن الاثير ١٠ : ٦٨   (٢) الكامل لابن الاثير ١٠ : ١٧١

وفي سنة ٥٧٣ هجرية (١١٧٧—١١٧٨ م) كانت فتنة ببغداد وسببها انه حضر قوم من مسلمي المدائن الى بغداد فشكوا من يهودها وقالوا : لنا مسجد نؤذن فيه ونصلي وهو مجاور الكنيس (التوراة) فقال لنا اليهود قد آذيتمونا بكثرة الاذان فقال المؤذن مانبالي بذلك فاختصموا وكانت فتنة استظهر فيها اليهود فجاء المسلمون يشكون منهم فامر ابن العطار وهو صاحب المخزن بحبسهم ثم اخرجوا فقصدوا جامع القصر واستغاثوا قبل صلاة الجمعة فخفف الخطيب الخطبة والصلاة فعادوا يستغيثون فاتاهم جماعة من الجند ومنعوهم فلما رأى العامة مافعل بهم غضبوا وقصدوا دكاكين المخاطين لان اكثرهم يهود فنهبوها واراد حاجب الباب منعهم فرجموه فهرب منهم وانقلب البلد وخربوا الكنيس الذي عند دار البساسيري واحرقوا التوراة وامر الخليفة ان ينقض الكنيس الذي بالمدائن ويجعله مسجداً (١)

وكان حال اليهود في العراق في القرن الثاني عشر للميلاد والقرن السادس للهجرة على جانب عظيم من الحرية ورغد العيش فان السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه كان قد قبض على ازمة الاحكام في بغداد بعد ان استظهر في معركة على الخليفة العباسي المسترشد بالله واسره ثم قتل الباطنية الخليفة وذلك سنة ٥٢٧ هجرية (١١٣٢م) وبقي نفوذ السلطان مسعود في عهد الخليفتين الراشد بن المسترشد والمقتفي بن المستظهر . وقد كان في هذا العهد سلطان الموصل اتابك عماد الدين الزنكي واحسن كل من السلطانين الى اليهود .

---

(١) الكامل لابن الاثير ١١ : ١٨٣

في نحو منتصف القرن الثاني عشر ظهر رجل وادعى أنه المسيح وكان اسمه داود الرائي . ولد في ضواحي العمادية في مكان يدعى شفتون كان آهلاً يومئذ باليهود ولا يعلم اليوم موقعه . فارسل الى بغداد ليتفقه بالعلوم الدينية ويدرس التاموس على رئيس الجالوت « حسدي » فنبغ في العلوم الكتابية والتلموذ والدروس الدنيوية واللغة العربية وتضلع من اسرار السحرة والمشعوذين .

وكان في ذلك العهد قد تولى الخلافة المقتفي بالله (١) فعصاه داود الرائي ووعد اليهود الثائرين ان يقودهم الى اورشليم . وكان في الجبل مسقط راسه عدد من اليهود ورجال الحرب وما فتئ ان انضوى اليه اتباع كثيرون وكانوا يعللون النفس بتحقيق امانيهم التي كانوا يصبون اليها وهي نجاتهم من ربقة الظلم . ولا نعلم ما فازوا به من النجاح وما كان من امرهم لان المصادر التي تروي اخبار ذلك الدجال متضاربة الروايات وقد مازجها الاقاصيص الغريبة والشعوذات ولكن الظاهر ان الرجل فشل في مسعاه وخفق اتباعه وتشتتوا وكان نصيب زعيمهم الموت ولكن لا يعلم اي ميتة مات .

وقد زعم بنيامين التطيلي ان الرائي شق عصا الطاعة على ملك فارس فاستدعاه هذا الملك الى قصره فجاء اليه بكل جسارة فزجه بالسجن وبعد ثلاثة ايام فر من السجن بمعجزة

(١) هو محمد بن المستظهر الذي بويع له بالخلافة في ١٢ ذي الحجة سنة ٥٣٠ هجرية (١١٣٦ م) ولقب المقتفي لامر الله . وتوفي سنة ٥٥٥ هجرية (١١٦١ م) وهو اول من استبد بالعراق منفرداً عن سلطان وحكم على عسكره واصحابه من حين تحكم المماليك على الخلفاء .

وبعد ان زار بلاط ملك فارس رجع الى مسقط رأسه العمادية حيث قص وقائعه على اليهود المعجبين . وبعد ذلك طلب ملك فارس الى الخليفة في بغداد ان يأمر رئيس الجالوت ورؤساء المدارس ان يسخروا نفوذهم لقمع مساعي داود الرائي ويتهددوا بالقتل جميع اليهود الذين يسكنون في مملكته .

وكتب يهود بلاد فارس الى رئيس الجالوت وعرضوا عليه الخطر المحدق بهم المؤدي الى اضمحلالهم . ثم كتب رسالة رئيس الجالوت ورؤساء المدارس بالاتفاق وارسلوا بها الى داود الرائي وارشدوه ان يرعوي ويكف عن حملته والا رشقوه بسهام الحرم ولعنوه .

ولم يبال الدجال بكل ذلك ولم يلتفت الى نصائح الناصحين بل لج في غوايته وتمادى في ضلاله . فاضطر عامل العمادية (سن الدين والاصح سيف الدين) ان يرشو حما داود ليقتله فكان الامر كذلك فشرب الدجال كأس الردى من يد حميه في بيته وعلى فراش راحته وانتهت تلك الفتنة بموت مثيرها .

فقام انصار مذهبه بعده واسسوا شيعة المناحيين واشتقوا هذه التسمية من اسم زعيمهم داود الرائي وكان يعرف بـ « مناحيم بن سليمان بن آبروهي » . واختلط بسيرته كثير من الاقاصيص واحاديث الخيال والف المؤلفون شيئاً غير نزر في هذا الباب مما يلذ مطالعته وليس من موضوعنا الخوض فيه .

وجاء في رواية انه لما وقف ملك فارس على هذه الاحداث ارسل واستدعى داود للحضور . فذهب داود غير هياب ولا وجل ولما التقيا سأله الملك . أأنت ملك اليهود؟ فاجاب . انا

هو . وعليه امر الملك في الحال ان ينتقل ويلقى في المطبق (وهو السجن المعد للذين يسجنون طول حياتهم) وكان في مدينة دبستان على عدوة « قزل اوزون » .

وبعد مرور ثلاثة ايام بينما كان الملك في مجلسه يستشير اشرافه وقواده في امر اليهود الذين شقوا عليه عصا الطاعة ظهر داود بغتة بينهم وكان قد تخلص من السجن بدون موازرة احد ما ولما رآه الملك سأله من ذا الذي اتى به الى هناك او من اطلق سراحه . فاجاب داود : حكمتي ودهائي وحدهما ، وبالحقيقة اني لا اخاف منك ولا من جميع خدامك . فامر الملك ان يقبض عليه في الحال ويؤسر الا ان الخدم اجابوا قائلين انهم لم يروه ولم يشعروا بحضوره الا بسماع صوته فتعجب الملك كل العجب من حكمة داود البالغة الذي خاطبه هكذا : انا الان ذاهب في طريقي فذهب ومعه الملك واشراف مملكته وبطانته واتى ضفة النهر . فاخذ داود رداءه والقاه في الماء وعبر عليه . فرآه آنئذ جميع حاشية الملك يعبر النهر على رداءه فتبعوه بالقوارب ففشلوا ولم يبلغوا اليه واعترفوا بانه لا يضاهيه ساحر في العالم بعمله هذا . وفي ذلك القى عصا ترحاله في عمارية « Amaria » التي كانت تبعد عن الموضع عشرة ايام وذلك بموازرة سام هامفوراش وقص على اليهود المتعجبين منه كل ماحدث له .

فكتبت جماعة اليهود الذين في بلاد فارس الى رئيس الجالوت ورؤساء المجامع : كيف تجيزون ان نموت وتموت جماعة هذه البلاد . اقمعوا اعمال هذا الرجل واحقنوا دماء الابرياء . (١)

(١) S . Mendelssohn : The Jews of Asia 200

صورة مكتوب رئيس الجالوت ورؤساء المجامع الى داود :

ليكن معلوماً لديك ان زمن خلاصنا لم يدن بعد ولم تشاهد الامارات المعلنة ذلك ولا يتسنى للانسان ان يضطر الى الاقناع . ولهذا نأمرك بان تترك الطريق الذي سلكت فيه والا حرمناك من كل اسرائيل . وارسل بصور هذه الرسالة الى نسخة رئيس الجالوت في الموصل والى ربان يوسف « الفلكي » المسمى « برهان الفلك » وكان هذا في الموصل ايضاً ورغبوا اليهما في ان يبعثوا بها الى داود الرائي . فكتب كل من رئيس الجالوت في الموصل والفلكي رسالة باسمه ونصحاه وارشداه الى الحق . ولكنه داوم على مسالك الاثم .

* * *

فلنرجعن قليلا الى الحركة العلمية اليهودية في العراق حوالي سنة ٩٧٠ م . سافر اربعة وفود من العراق يمثلون جامعة بمباديثة وجهتهم شمالي افريقية واوربة وهم شمريا بن الحنان (وكان من تلامذة شريرا ورأس حلقة سكان نهر دعة في المدرسة) وهوشيل ابو حنانئيل وموسى وابنه حنوك فقبض عليهم وفي الاسكندرية وافتداهم قومهم ويظن ان شمريا لم يرجع الى بمباديثة بل بقي في الفسطاط فكتب اليه كل من شريرا وحي سنة ٩٩١ (١)

ويقال ان بواسطة العلماء الذين نزحوا من العراق الى الغرب انتقلت العلوم الى اوربة ونشأت الحركة العلمية في تلك الاصقاع . وبين مشاهير اليهود الذين نبغوا في القرن

(١) راجع Mann-The Jews in Egypt. etc vol 1 : 25 - 27

العاشر الميلادي بعد شريرا الغاووني في بمباديتة الذي الف كتاباً نفيساً على طريقة السؤال والجواب واتخذ موضوعه سؤالاً وجهه اليه سكان مدينة القيروان ويعتبر هذا التأليف ثميناً جداً لما حواه من المعلومات التاريخية عن منشأ التقليد بين اليهود وكانت وفاته سنة ٩٩٨ ميلادية .

واشتهر بعده ابنه حي ولد سنة ٩٣٩ ومات سنة ١٠٣٨ ميلادية درس على والده ولما ترعرع اعان والده في عمله . وقد سجنه الخليفة القادر بالله واباه شريرا زمناً قصيراً . ولما توفي ابوه عين حيا غاووناً على بمباديتة سنة ٩٩٨ ميلادية وبقي في منصبه هذا الى يوم موته في ٢٨ آذار سنة ١٠٣٨ م وقد خلف كتباً مهمة عن شريعة التلموذ وعن المشنا وقد نسبت اليه عدة قصائد ولكن يشك العلماء في مؤلفها .

وكان في مؤلفاته الدينية يستند الى العادات والتقاليد التي لا تمس الشريعة . وهو من المحافظين على القديم وكان متضلعاً من الفقه الاسلامي والطريقة الجدلية وكثيراً ما كان يسترشد بالفقه وعلم الكلام .

ووقف على العربية واسرارها والف فيها وله معجم سماه الحاوي . وكان حي آخر غاوون قام لمدرسة بمباديتة .

من الغاوونيم في مدرسة سورا نذكر صموئيل بن حفني الذي توفي سنة ١٠٣٤ م وهو آخر غاوون قام لمدرسة سورا . الف كتباً ضخمة في الشريعة وعرب اسفار موسى الخمسة وله تفاسير على معظم كتب العهد القديم ومقدمة عربية على التلموذ (١)

---

(١) راجع Encyclopaedia Britannica

ومن معاصري حي المذكور رئيس الجالوت حزقيا وهو الذي ترأس مدرسة بغداد بعد وفاة حي سنة ١٠٣٨ ميلادية . وبعد حزقيا تبوأ رئاسة الجالوت داود ابنه وجاء بعده حفيده حزقيا الثاني على الراجح .

ومن مشاهير اطباء اليهود في العراق هبة الله بن ملكا ابي البركات اليهودي في اكثر عمره المسلم في آخر امره . كان طبيباً فاضلاً عالماً بعلوم الاوائل وكان حسن العبارة لطيف الاشارة صنف كتاباً سماه المعتبر وكان في وسط المائة السادسة هجرية في عهد السلاجقة وقد طبب سنة ٥٤٤ هجرية (١١٤٩ م) سيف الدين غازي بن اتابك زنكي صاحب الموصل .

زار هذه الديار الرابي بنيامين بن يونا التطيلي اليهودي حوالي سنة ١١٦٠ ميلادية وروى شيئاً كثيراً عن يهود العراق ومما قاله :

كان في الموصل ٧٠٠٠ يهودي ومن مشاهيرهم في عهده الربان زكاي من سلالة داود الملك والربان يوسف الفلكي الشهير الملقب ببرهان الفلك وكان لهم فيها كنائس . وفي الرحبة ٢٠٠٠ يهودي وفي الجبة على الفرات ٢٠٠٠ يهودي وفيها مدفن راس الجالوت البستاني الذي كان معاصراً للامام عمر بن الخطاب على ما مر بك صفحة ١٠٢ من كتابنا هذا وكان عدد اليهود في بغداد ١٠٠٠ نسمة ولهم عشر جمعيات او عشرة مجالس ولكل منها رئيس ولم يكن لاعضائها عمل غير النظر في مصالح الشعب الاسرائيلي في كل ايام الاسبوع ما خلا يوم الاثنين اذ كانوا يجتمعون اجتماعاً عاماً لينظروا في مصالح الناس من اي دين كانوا والى اي مذهب انتسبوا .

وكان للطائفة مستشفيات و٢٨ كنيساً في جانب الرصافة والكرخ وكان عددهم في الحلة ١٠٠٠٠ نسمة .

وقد افادنا هذا السائح افادات نفيسة عن راس الجالوت ومنزلته وكان في ايامه الربان دانيال . وكانت سلطته على يهود ارض شنعار وبلاد الكلدان وبلاد فارس وخراسان وسبا واليمن وديار بكر وبين النهرين وارمينية وبلاد الهند وجيحون (Oxus) والتبت .

وله وحده ان يقيم الربانين والشمامسة على جماعات هذه الاقطار بوضع يده عليهم .

ولما كان ينصب الخليفة راس الجالوت كان يهدي الهدايا النفيسة الى الخليفة والى الامراء والقواد ورجال الحكومة . وكانوا يركبونه على مركبة الوزير ويذهبون به الى دار الخلافة وتقرع امامه الطبول والزمارات . ولما يذهب الى داره يأتي رؤساء المدارس (الفاونيم) ويقدمون اليه فرائض الاحترام . ثم يذهب الى الكنيس بأبهة فائقة فيجلس على عرش فخم يقام له ويلقي خطاباً تعقبه تسبحة شكر (قديش) يذكر اسمه فيها . ثم يسير الى مقر منصبه .

واذا خرج راس الجالوت لزيارة الخليفة تقدمه موكب من الفرسان المسلمين واليهود وهم ينادون امامه : وسعوا الطريق لسيدنا ابن داود . فكان الناس يقومون اجلالاً له ومن لايؤدي هذا الاحترام تأمر الحكومة بجلده مئة جلدة وكان يسير في طرق مدينة السلام فارساً مرتدياً البسة حرير مقصبة وعلى راسه تاج عظيم تغطيه قطعة

بيضاء وعليها عصابة اوسلسلة (١)

وكان من حقوقه ان يغرم بالمال اهل عقيدته ويحرم الكلام مع المذنب ولكن لايمكنه في دار السلام حبس ولاضرب (٢) .

ذكر القلقشندي في كتابه صبح الاعشى ماكان يكتب الخلفاء الى رؤساء اليهود عندتنصيبهم قال : وطريقهم ان يفتتح بلفظ « هذا كتاب امر بكتبه فلان ابو فلان الامام الفلاني امير المؤمنين الفلاني لفلان . . ثم يقال اما بعد فالحمد لله ويؤتى فيه بتحميدة او ثلاث تحميدات ان قصد المبالغة في قهر اهل الذمة بدخولهم تحت ذمة الاسلام وانقيادهم اليه ثم يذكر نظر الخليفة في مصالح الرعية حتى اهل الذمة وانه انهي اليه حال فلان وسئل في توليته على طائفته فولاه عليهم المبرزة على غيره من ابناء طائفته ونحو ذلك ثم يوصيه بما يناسبه من الوصايا .

فيظهر مما تقدم ان رؤساء الجالوت وربانيهم كانوا يتولون شؤون قومهم الدينية والمذهبية وفيها شيء من السلطة الدنيوية وكان يعينهم الخليفة ويزودهم بمرسوم يضاهي الفرمان الذي كان يعطيه اياهم سلاطين « آل عثمان » .

وربما كان الخليفة يعنيهم باجل الالقاب ولم يقع بيدنا من عهد العباسيين نص صريح يؤيد ذلك الا انه في سنة ٦٢٦ هجرية كتب القاضي محي الدين بن الزكي الى رئيس

---

(١) M. Edward Charton. Voyageurs Anciens et Modernes Benjamin de Tudèle Vol. 2. 187

(٢) حياة الحيوان للجاحظ مجلد ٤ ص ٩

اليهود بالشام قال فيه : الرئيس الاوحد الاعز الاخص الكبير شرف الطائفة الاسرائيلية فلان .

وكان الكتاب والصيارفة من اهل الذمة يتلقبون بالقاب غالبها مصدرة بالشيخ اومضافة الى الدولة . مثال ذلك ولي الدولة او غيره ومنهم من يحذف المضاف اليه في الجملة ويحافظ على اللقب بالالف واللام فيقولون الشيخ الشمسي والشيخ الصفي .

وقد عرف العرب شيئاً من رتب القوم الدينية فاوردوها في كتبهم فقالوا :

الرئيس : وهو القائم فيهم مقام البطرك في النصارى (١) وجاء راس الجالوت رئيس اليهود كما ان الاسقف رئيس النصارى (٢) وعندي ان المقابلة الاولى اصح .

الحزان : وهو فيهم بمثابة الخطيب يصعد المنبر ويعظهم .

الشليحصور : وهوالامام الذي يصلي فيهم .

وقد عرف كتبة العرب اعياد اليهود وصيامهم وشعائرهم وذكروها في مؤلفاتهم ولا يتسنى لنا نقلها هنا فلتراجع في مظانها .

وكان اليهود مبثوثين في العراق حتى اطلق اسمهم على امكنة عديدة منها : قنطرة اليهود الوارد ذكرها في مادة كرخايا من معجم البلدان . ومنها اليهودية ودرب اليهود وقد نسب الى هذين الموضعين رجال من اهل العلم والفضل منهم ابو محمد عبد الله بن عبيدالله بن يحيى المودب البيعي اليهودي (٣)

وقد جاء ذكرهم في معجم البلدان في مادة هاطرى قال ياقوت: قرية بينها وبين

(١) صبح الاعشى للقلقشندي ٥ : ٤٧٤ (٢) ثمار القلوب للثعالبي (٣) معجم البلدان

الجعفري الذي عند سامرا ثلاثة فراسخ وهي دون تكريت واسفل منها الدور الاعلى المعروف بالخربة وكان اكثراهلها اليهود والى الان في بغداد (اي في عهد ياقوت) يقولون كانك من يهود هاطرى .

وتعاطى يهود العراق التجارة واشتغلوا بانواع التجارات المعروفة في ذلك الحين وورد عنهم افادة تاريخية جليلة في كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (١) ننقلها بحرفها الواحد لفائدتها . قال مسلك التجار اليهود الراذانية (٢) الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والافرنجية والاندلسية والصقلبية وانهم يسافرون من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق براً وبحراً يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف ويركبون من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بالفرما ويحملون تجاراتهم على الظهر الى القلزم وبينها خمسة وعشرون فرسخاً ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم الى الجار وجدة ثم يمضون الى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدارصيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجعوا الى القلزم ثم يحملونها الى الفرما ثم يركبون في البحر الغربي فربما عدلوا بتجاراتهم الى القسطنطينية فباعوها

(١) ص ١٥٣ — ١٥٤ (٢) هكذا جاء ضبط اسمهم وربما كان نسبة الى راذان كورة بسواد العراق الا ان كلمان هوار في كتابه الفرنسي تاريخ العرب قال بضبط اسمهم « راه دانية » من لفظتين فارسيتين «راه» ومعناها طريق و«دان» عارف .

من الروم وربما صاروا بها الى ملك فرنجة فيبيعونها هناك وان شاؤوا حملوا تجارتهم من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بانطاكية ويسيرون على الارض ثلث مراحل الى الجابية ثم يركبون في الفرات الى بغداد ثم يركبون في دجلة الى الابلة ومن الابلة الى عمان والسند والهند والصين .

وكان اليهود يتجشمون اخطار السفر في سبيل التجارة في عهد العباسيين ويركبون اهواله غير هيابي الموت في سبيل الكسب والربح . وكثيراً ما كانوا يجمعون اموالاً طائلة تثير عليهم حسد الحاسدين وقد وقفت على حكاية في هذا الباب لا بأس من ايراد خلاصتها هنا وهي ماحدث عن اسحق ابن اليهودي وكان رجلاً يتصرف مع الدلالين في عمان فوقع بينه وبين رجل من اليهود خصومة فهرب من عمان الى بلاد الهند ومعه نحو مائتي دينار ولم يملك سواها وغاب عن البلد نحو ثلاثين سنة لايعرف له خبر فلما كان في سنة ثلثمائة للهجرة ورد عمان من الصين في مركب لنفسه وجميع مافيه له . واتفق مع احمد بن هلال صاحب عمان على ان لا يحصي مافيه ويعشر منه على الف الف درهم ونيفاً . فحسده الخلق وطلب منه بعض اهل الشر شيئاً فلم يعطه فخرج قاصداً بغداد وكان ابو الحسن علي بن محمد بن الفرات وزيراً فسعى باليهودي فلم يلتفت اليه فتسبب الى بعض الاشرار من خواص المقتدر بالله ونصح في اليهودي . فاستعظم المقتدر امر اليهودي وانفذ في الوقت خادماً يقال له الفلفل اسود مع ٣٠ غلاماً الى عمان وكتب الى احمد بن هلال يأمره بحمل هذا اليهودي مع الخادم ورسول من جهته . فلما وقف احمد بن هلال على كتاب الخليفة اتفق مع

اليهودي على ان يدافع عنه على مال جليل ثم دس الى التجار من عرفهم ما في حمل اليهودي عليهم وعلى سائر الغرباء والقاطنين ممن يتجر من سوء العاقبة والجرأة عليهم فغلقت الاسواق وكتبت المحاضر الى الخليفة بانه متى حمل هذا اليهودي انقطعت المراكب عن عمان وهرب التجار وانذر الناس بعضهم بعضاً انلا يطرق احد ساحلاً من سواحل العراق . فرجع الخادم الفلفل الى الخليفة ونجا التاجر اليهودي (١)

وقد نال شهرة بعيدة في القرن الحادي عشر للميلاد التاجران الاخوان اليهوديان ابوسعد ابراهيم وابو نصر هرون . فان اصلهما من مدينة تستر (وهي ششتر الحالية) سافرا الى القاهرة وبقيا فيها . وكان ابو سعد يتاجر بالتحف والعاديات وكان ابو نصر صيرفيا ودلالاً للبضائع التي ترد من العراق .

وكان الصيارفة اليهود في العراق على شيء من الوجاهة وكان رجال الدولة العباسية يودعونهم دراهمهم . وقد قال ابن الفرات وزير الدولة العباسية في احدى نكباته انه له عند يوسف بن فنحاس او بنحاس وهرون ابن عمران الجهبذين اليهوديين مبلغاً عظيماً من المال (٢) .

اشتغل يهود العراق ببيع الخمور كما تشهد بذلك الادلة التاريخية فقد جاء في شعر لابي دلامة قاله في الخليفة المنصور لما اخذ الناس بلبس القلانس الطوال المفرطة

(١) كتاب عجائب الهند تأليف بزرك بن شهريار الناخذاه الرام هرمزي

(٢) مجلة المقتبس العدد السابع المجلد الثالث ص ٤٢٥ الصادر في شهر آب سنة ١٩٠٨

سنة ١٥٣ هجرية (٧٧٠ م) وكانوا فيما ذكر يحتالون لها بالقصب :

وكنا نرجي من امام زيادة ۞ فزاد الامام المصطفى في القلانس
تراها على هام الرجال كأنها ۞ دنان يهود جللت بالبرانس (١)

وجاء في معجم البلدان في مادة سورا ابيات لابي جفنة القرشي يقول فيها :

وفتى يدير علي من طرف له ۞ خمراً تولد في العظام فتورا
مازلت اشربها واسقي صاحبي ۞ حتى رأيت لسانه مكسورا
مما تخيرت التجار ببابل ۞ او ما تعتقه اليهود بسورا

وذكر مهيار الديلمي في ديوانه يهود غمي وكانت قرية من قرى بغداد قرب البردان وعكبرا في البيت الآتي :

حبت فاقرا شرابها المسلمين ۞ واغنت بغمي اليهود التجارا

وورد في معجم البلدان في مادة قاطول شيء عن بائعي الخمر من اليهود :

الا هل الى الغدران والشمس طلقة ۞ سبيل ونور الخير مجتمع الشمل

ومنها :

فحانة من عيد اليهودي انها ۞ مشهرة بالراح معشوقة الاهل

وزار العراق حوالي سنة ١١٨٠ ميلادية السائح اليهودي الربان بتاخيا من مدينة راتسبون وقال ان في بغداد ١٠٠٠ يهودي يخرجون مقنعين دائماً (٢) . وقال بعد

(١) الطبري في حوادث سنة ١٥٣ هجرية
(٢) Tour du Monde dans le Journal Asiatique 1831 Page 280

وفاة رئيس الجالوت دانيال بن حسداي الذي ذكره بنيامين التطيلي كما مر بك تولى هذا المنصب ابن اخيه باسناده ربان سموئيل بن علي وكان للربان سموئيل ابنة فقيهة تدرس طلاب العلم وكانت تلقي الدروس عليهم من شباك عال وهم جلوس بحيث تراهم ولا يرونها (١) وقد شاهد هذا السائح مدة اقامته في بغداد وفود بلاد الارمن وكوه قاف على رئيس الجالوت سموئيل بن علي يطلبون منه معلمين يعلمون بني قومهم اصول الدين ويهذبون جماعتهم الموجودة في تلك الاقطار .

وساح في هذه الاقطار سنة ١٢١٧ يهوذا الحريزي جاءها من اسبانية والف في اللغة العبرية مقامات ادبية على طراز مقامات الحريري العربية ووصف بها رحلته يتكلم فيها عن نفسه في الشخص الغائب ومما يذكر عنه انه نظم قصيدة الى الاله السرمدي بثلاث لغات فالقسم الاول من البيت في اللغة العبرية والثاني في اللغة العربية والثالث في اللغة الكلدانية .

ونبغ في القرن الثالث عشر ابن عزرا في الجزيرة والربان اسحق بن اسرائيل في بابل الا ان قصائده كانت ركيكة من سفساف الشعر . والربان اسحق الحوني ويعد هذا من منشطي العلوم اكثر مما يعد بين المؤلفين وقد نزل بغداد قادماً اليها من البرتغال الربان موسى بن ششت الشاعر الذي نقل جيد الشعر العبري الى بغداد .

وجاء في المعلمة اليهودية عن اخريات ايام الدولة العباسية « ان حال اليهود في هذا الزمان كانت في البلاد التي يتكلم اهلها العربية والفارسية متسكعة في الظلمات والاستبداد

(١) راجع Encyclopaedia Britannica مادة : Exilarch

والخنوع ، ولا عجب في الامر فقد كانت اسباب القهقرى والانحلال قد تفشت في الدولة العباسية وتلك قاعدة عامة ان الدول التي تقارب شمس وجودها الغروب تكثر فيها دواعي الجور والاعتساف .

ومما جاء في التاريخ ان ابا عبدالله بن فضلان جلس سنة ٦٢٧ هجرية (١٢٢٩م) في ديوان الموالي واستوفى الجزية من اهل الذمة وكان يطيل وقوفهم بين يديه حتى يسومهم خسفاً . ويحكى ان ابن الشريح راس مشيئة اليهود مضى الى داره ليلاً وسأله ان يأخذ الجزية منه فلم يلتفت اليه وقال له لابد ان تحضر نهاراً الى الديوان وتؤديها

وفي سنة ٦٣٩ هجرية (١٢٤١ م) ظهر ابو الطليق معتوق المعروف بابن شقير المنكر وهو شيخ من اهل قراح ظفر وكان بقالاً (وفي رواية كان نقالاً) فكان اذا صادف احد اعيان النصارى واليهود راكباً ضربه وانزله عن دابته . وهكذا عمل مع ابن كرم اليهودي .

وفي سنة ٦٤٥ هـ (١٢٤٧ م) رتب دانيال بن شموئيل بن ابي الربيع راس مشيئة اليهود وانفذه الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي الى قاضي القضاة عبدالرحمن بن اللمغاني فاجلسه بين يديه وقال له : رتبتك زعيماً على اهل ملتك .... لتأخذهم بحدود دينهم وتأمرهم بما امروا به في شريعتهم وتنهاهم عما نهوا عنه في شريعتهم وتفصل بينهم في وقائعهم وخصوماتهم بموجب شريعتهم والحمد لله على الاسلام .

ثم نهض ولبس طرحته في دهليز القاضي وتوجه الى بيته راجلاً في جمع من اليهود وجماعة من اتباع الديوان فتعرض جماعة من العامة لرجمه فانكرت الحال عليهم

ومنعوا واخذت منهم جماعة فحبسوا وعوقبوا (١) .

ويظهر ان دانيال بن شموئيل تولى منصب رئاسة مشيئة اليهود على اثر وفاة ابي الفتح اسحق بن الشويح وفي رواية ابن الشريح وكان هذا ذا فضل وادب يكتب خطاً حسناً وينظم شعراً عربياً جيلاً ويعرف علم النجوم معرفة جيدة (٢)

وفي سنة ٦٤٨ هجرية سأل غالي بن زكريا الاربلي ان يترتب راس اليهود فاجيب

---

(١) اعتمدنا في هذه المآخذ الثلاثة على كتاب تاريخي مخطوط نقل يبحث مؤلفه فيه عن اخريات ايام العباسيين وايام المغول والنسخة الاصلية موجودة عند العلامة سعادة احمد تيمور باشا في مصر وبعث بنسخة منه الى حضرة الاب انستاس الكرملي وعن هذه النسخة نقل نسخته صديقنا الفاضل ي . ع . س وقد سمح لنا ان ننقل عنها هذه الاخبار فاوجب علينا شكره كما نشكره لتفضله علينا بعدد من الرحلات في اللغات الاوربية افادتنا في بحثنا عن يهود العراق في عهد الاتراك .

قد نشر حضرة الاب لويس شيخو في مجلة المشرق في عددها الصادر في شهر آب سنة ١٩٢٠ نتفاً نفيسة من الكتاب المخطوط المذكور . ونحن نصطلح من الان وصاعداً في الالماع الى هذا التأليف على العبارة الاتية « تاريخ العراق في عهد المغول » لمؤلف مجهول .

(٢) اعتماداً على الكتاب المخطوط الذي عنوناه « تاريخ العراق في عهد المغول لمؤلف مجهول »

الى ذلك وشافه الوزير بذلك وانفذ في بغداد الى قاضي القضاة فقلد فخرج ومعه جماعة من اليهود واتباع من باب النوبي ومعه تقليده الذي كتب له من الديوان (١)

يروى ان في سنة ٦٤٩ هجرية شاهد علي ابن ابي الفتح ابي الفرج الوزير ابن رئيس الرؤساء صيرفياً يهودياً حاملاً دراهم فتبعه الى بيته وقتله وسلبه ماله فاستنجدت امرأته بالناس فقتلها وقتل نفراً من الناس الذين تبعوه . (٢)

نجعل مسك الختام لهذا الفصل حادثة وقعت سنة ٦٤٥ هجرية وهي انه فاضت دجلة فخاف الناس من الغرق واقام اليهود سكراً في محلاتهم وعاونهم المسلمون في عملهم الا انه جرت على اثر ذلك فتنة بين الطرفين لمنازعة بينهم فقبضت الشحنة على اليهود . (٣)

(١) (٢) (٣) اعتماداً على الكتاب المخطوط الذي عنوانه « تاريخ العراق في عهد المغول لمؤلف مجهول »

يهود العراق
في
عهد المغول والتتار

في منتصف شهر المحرم من سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة (٢٣ كانون الثاني ١٢٥٨) نزل على باب بغداد هولاكو المغولي اخو مانغو الخان الاكبر لبلاد التتار وكلاهما حفيد جنكيز خان . وفي قيادته عسكر جرار . وفي اليوم السادس والعشرين من محرم سنة ٦٥٦ (٥ شباط ١٢٥٨) شددوا الحصار على بغداد من جميع الجوانب وفي اليوم الرابع من صفر اضطر الخليفة العباسي المستعصم بالله الى الحضور بين يدي الطاغية المغولي ومعه اولاده واهله . فدخل عسكر هولاكو المدينة واعملوا فيها السيف والنار وارتكبوا الموبقات وسبوا الذراري ونهبوا وسلبوا وبقي النهب يعمل الى سبعة ايام . فهلك سكان مدينة السلام على اختلاف طبقاتهم وتباين مذاهبهم ماخلا نفر قليل من النصارى وفي رابع عشر صفر رحل هولاكو من بغداد وفي اول مرحلة قتل المستعصم وابنه الاوسط مع ستة نفر من الخصيان بالليل وقتل ابنه الكبير ومعه جماعة من الخواص .

دالت دولة العباسيين من العراق وانطوى بساط ملكهم من بغداد بعدان حكموا خمسة قرون او ٥٢٤ سنة هجرية وقام منهم سبعة وثلاثون خليفة . ومرت ايام عز وعظمة على العراق والعرب في حكمهم .

لم يأت المغول والتتار الى العراق بالنور والمجد والعظمة والعلوم بل جاؤوا بالظلام والذل والحطة والجهل . وحتم على ابناء الرافدين منذ ذلك العصر المشؤوم ان يقطعوا مراحل حياتهم في البؤس والشقاء . وطحنتهم الايام طحن الدقيق وخيم الجهل على ربوعهم فحكمتهم الاجناب وتولى امرهم كل غريب عن البلاد .

ولم يسلم اليهود من هذه النائبات بل لحقهم قسط وافر من الاذى والجور والعسف . وتجرعوا غصص النائبات من قتل وسلب وسبي حين دخول المغول البلاد . واشتركوا بالمحنة التي امتحن بها نصارى بغداد في غرة ملك ارغون حتى لم يجسر واحد من الرجال ان يظهر في الطرق وكانوا يرسلون نساءهم الى الاسواق متزييات بزي المسلمات لابتياع ما يحتاجون اليه الا ان ليل المصائب كان قصيراً وما فتئت ان ظهرت لهم من خلال الضيق اشعة الرجاء فقام منهم رجل نال كلمة نافذة في البلاد ومنزلة جليلة القدر اريد به الطبيب اليهودي سعد الدولة . فانه خلف سنة ٦٨٢ هجرية (١٢٨٣ — ١٢٨٤ م) جلال الدين السمناني في وزارة المالية . كان سعد الدولة في اول امره دلالاً بسوق الصاغة بالموصل (١) ثم صار طبيباً خاصاً بارغون وكان يقيم في اكثر امره في بغداد . فولاه ارغون وعظمه ومكنه فحكم في سائر البلاد التي بايدي التتر . وان ما حدا بالملك التتري الى رفع مقام طبيبنا اليهودي ان سعد الدولة مدة اقامته في بغداد وقف على احوال المالية وعلى ما كان يرتكبه اصحاب اروق من اختلاس الاموال وما كانوا يتلاعبون بالضرائب .

(١) كتاب المختصر في اخبار البشر لابي الفداء ٤ : ١٧

فبين لارغون ان معظم اموال الخزينة يتسرب الى جيوب اروق واخيه الوزير بوقا . واخبره بهدم مدارس كثيرة وخانات واحد الجوامع وان انقاضها اتخذت لابنية امر بتشييدها بوقا . وايده في مدعياته هذه كل من اردوقيا وبايان سوكرجي وكان كلاهما من ارباب الحول والطول في قصر الملك . فامر ارغون سعد الدولة واردوقيا وبايان سوكرجي بان يفحصوا دفاتر الجباة ويجبوا الضرائب . فجبى الطبيب اليهودي مبلغاً عظيماً ودفعه الى ارغون . فسر الايلخان من عمله هذا وعينه مفتشاً على مالية بغداد ورفعه عقيب ذلك الى منصب الوزارة على كل المملكة . ولما تقلد الوزارة عين اخاه فخر الدولة ناظراً عاماً على مزارع العراق العربي . واخاه امين الدولة حاكماً على الموصل وسائر اقاربه في وظائف اخرى من وظائف الدولة في اقطارها القريبة من بغداد (١) وسنأتي على ذكر اعمال سعد الدولة وما كان من امره .

واشتهر في هذه المطاوي ببغداد عز الدولة سعد بن منصور بن سعد الملقب بابن كمونة وكان عالماً متضلعاً من علم الفلسفة . فألف سنة ٦٨٣ هجرية (١٢٨٤م) كتاباً سماه الابحاث عن الملل الثلاث تعرض فيه بذكر النبوات . فثار العوام وهاجوا واجتمعوا لكبس داره وقتله فركب الامير تمسكاي شحنة العراق ومجد الدين ابن الاثير وجماعة الحكام الى المدرسة المستنصرية (٢) واستدعوا قاضي القضاة والمدرسين

(١) C. Huart: Histoire de Bagdad 6-2

(٢) شرع المستنصر بالله بانشاء المستنصرية في سنة ٦٢٥ هجرية (١٢٢٨ م) .

لتحقيق هذه الحال وطلبوا ابن كمونة فاختفى واتفق ان ذلك اليوم كان يوم الجمعة فركب قاضي القضاة للصلاة فمنعه العوام فعاد الى المستنصرية فخرج ابن الاثير ليسكن العوام فاسمعوه اقبح الكلام ونسبوه الى التعصب لابن كمونة والذب عنه فأمر الشحنة بالنداء في بغداد بالمباكرة في غد الى ظاهر السور لاحراق ابن كمونة فسكن العوام ولم يتجدد بعد ذلك له ذكر . واما ابن كمونة فانه وضع في صندوق مجلد وحمل الى الحلة وكان ولده كاتباً هناك فاقام اياماً وتوفي فيها (١)

ووكل بعمارتها الى مؤيد الدين ابي طالب محمد بن العلقمي واقامها على شاطئ دجلة الشرقي في آخر سوق الثلثاء . وقال عنها احد الكتبة لم يعمر في الدنيا مثلها . بنيت على شكل مستطيل وفي كل جانب ايوان فيه مدرس من كل مذهب من المذاهب الاربعة وفي طرفي كل ايوان رواق ممتد وفي منتهاه حجر للتلامذة وفي الطبقة العليا تشاهد غرف على هذا النسق ايضاً . وكان فيها خزانة كتب ومطبخ وحمام وساعة عجيبة تشير الى اوقات الصلوة والتدريس ومنصة يجلس عليها المرضى فيتفقدهم الطبيب وكان الانتهاء من بنائها سنة ٦٣١ هجرية واما بناء المنصة والساعة فتم سنة ٦٣٣ . وقد حولها الاتراك الى دار مكس ولا تزال كذلك حتى اليوم ويعرف مكانها «بالكمرك» وللتوسع راجع مقالتنا « المستنصر والمستنصرية » المنشورة في ملحق جريدة العراق في ١٥ تموز ١٩٢١

(١) الكتاب المخطوط الذي عنوانه تاريخ العراق في عهد المغول «لمؤلف مجهول» وعنه نشر الاب لويس شيخو هذا الخبر في مجلة المشرق الغراء آب ١٩٢٠ ص ٦٠٥ .

وفي رواية كانت وفاة ابن كمونة سنة ٦٧٦ هجرية (١٢٧٧ م) (١) ولابن كمونة تآليف اخرى غير الابحاث في الملل الثلاث عرفنا منها تذكرة في الكيميا (٢) وشرحاً على التلويحات في المنطق والحكمة للشيخ شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي المقتول سنة ٥٨٧ هجرية (٣) وشرح الاصول والجمل من مهمات العلم والعمل الفه لابنه شمس الدين صاحب ديوان الممالك وهو كشرح لكتاب « الاشارات والتنبيهات في المنطق والحكمة لابن سينا » (٤) والحكمة الجديدة في المنطق (٥) علمنا والكتاب ماثل للطبع ان عند العلامة جميل الزهاوي نسخة منه.

وقد هز ابن كمونة عاطفة الدين في علماء العرب بكتابه الابحاث في الملل الثلاث فارهفوا اقلامهم لرده وانتقاده فكتب مظفر الدين احمد بن علي المعروف بابن الساعاتي المتوفى سنة ٦٩٤ هـ كتابه « الدر المنضود في الرد على فيلسوف اليهود (يعني ابن كمونة) (٦) وكتب في دحضه الشيخ زين الدين سريجا بن محمد الملطي ثم الماردينى الشافعي المتوفى سنة ٧٨٨ هجرية كتابه المسمى « نهوض حثيث النهود الى خوض خبيث اليهود . » (٧)

واصديقنا الاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي تأليف عنوانه « فلاسفة اليهود

---

(١) كشف الظنون للحاج خليفة مجلد ١ :١٠٣ (٢) كشف الظنون مجلد ١: ٢٧٧
(٣) كشف الظنون مجلد ١ :٣٢٩ (٤) كشف الظنون مجلد ١ : ١٠٣ و ٢ : ٥٢
(٥) كشف الظنون مجلد ١ : ٤٥٠ (٦) كشف الظنون مجلد ١: ٤٨٠ (٧) كشف الظنون مجلد ١: ٣٣٨ و ٢: ٦٢٤

في الاسلام ، خص فيه فلاسفة ابن كمونة وغيره ممن اشتهر من فلاسفة اليهود في الاسلام ولا يزال الكتاب مخطوطاً فنرجو نشره في القريب العاجل فائدة للعلم .

وكانت جماعة يهود الموصل مزدهرة حوالي هذا الزمان اي بعد قرن من رحلة بنيامين التطيلي اليها . واشتهر فيها الربان داود بن دانيال بمدافعته عن مذهب ابن ميمون . (١)

ومما حدث لليهود في بغداد سنة ٦٨٧ هجرية (١٢٨٦ م) انه وصل في شهر صفر من هذه السنة جماعة من اليهود من تفليس وقد رتبوا ولاة على تركات المسلمين فاجروا الامر على ان لا يورثوا ذوي الارحام فانكر الامير اروق ذلك وامر بان يعمل بمذهب الامام الشافعي كما كان يعمل قديماً فاتفقت وفاة بعض العوام وخاف ابن عم له فانكر النواب نسبه وختموا على تركته فاستغاث واستنصر بالعوام فاجتمع معه خلق كثير ووقعت فتنة اوجبت خوف النواب من القتل فاختفوا وتحصنوا في بيوتهم فنهب العوام دكاكين اليهود من الخلطين وغيرهم فكفهم الديوان عن ذلك وخرج النواب من بغداد متوجهين الى بلادهم فصادفهم الاكراد في الجبل وقتلوهم . (٢)

لنعودن الى سعد الدولة واعماله . فانه بعد ان تسلم ازمة الاعمال تقدم سنة ٦٨٨

(١) Jewish Encyclopedia Vol .IX. P 97

(٢) اعتماداً على الكتاب الذي عنوناه « تاريخ العراق في عهد المغول» لمؤلف مجهول .

هجرية (١٢٨٩ م) بالقبض على الزين الحظائري ضامن التمغات ومجد الدين اسمعيل بن الياس واستوفى ما عليهما من الاموال في ثلاثة ايام ووكل بهما وقتل الزين ظاهر عند سور بغداد في ٢٠ جمادي الاخرى وقتل مجد الدين في ٢٢ من الشهر عينه . ثم قتل غيرهما ومنهم ناصر الدين الذي دفن في جوار سلمان الفارسي . وفي رجب من تلك السنة قتل منصور بن علاء الدين صاحب الديوان ببغداد (١)

وفي سنة ٦٨٩ كتب بعضهم ذما في اليهود ووقف عليه سعد الدولة واطلع عليه السلطان ارغون فحكمه في كل من كتب فقتل على اثر ذلك جمال الدين بن الحلاوي ضامن تمغات بغداد وصلبه بباب النوبي (٢)

ومن اعماله في اخريات ايامه انه سمع ان نور الدين عبدالرحمن بافشان ملك واسط تكلم عليه في حال السكر فبعث مهذب الدولة بن الاشعيري الى واسط فقبض على ملكها وارسله الى بغداد مطوقاً بالحديد على ان يقتل فيها . فلما وصل الى بغداد وكل به في دار النيابة ثلاثة ايام . فلما كان اليوم الثالث وصلت الايلجية من اردو بايدو وحضروا ليلاً عند جمال الدين الدستجرواني كاتب العراق واخبروه بان السلطان ارغون توفى وقتل الامراء سعد الدولة قبل وفاة السلطان وان اردو بايدو فوض اليه امر العراق وامره بالقبض على فخر الدولة اخي سعد الدولة . فاتفق مع الايلجية وشحنة بغداد وقبضوا على فخر الدولة في سبت من سبوت ربيع الاخر ،

(١) و(٢) اعتماداً على الكتاب المخطوط الذي عنوناه « تاريخ العراق في عهد المغول » لمؤلف مجهول .

ولما قبض فخر الدولة نهبت داره وادور اليهود كافة واخذت اموالهم ودام ذلك ثلاثة ايام فركب جمال الدين في جماعة من الجند ومنعوا العوام عن ذلك وحبسوا جماعة منهم وقتلوا منهم فسكنت الفتنة . (١)

وفي تلك السنة قتل شاب من اليهود وحدث على اثر وفاته فتنة . ولما سكنت الحال وخرج القوم على عادتهم الى اعمالهم اشاع طائفة من العوام ان الحكام قد فسحوا فيهم فسارع الاشرار والسفلة والشطار في ذلك ونهبوا ادورهم ودكاكينهم. فركب جمال الدين وكفهم عن الاذى ولم يبق بلد من بلاد العراق الاوجرى فيه على اليهود من النهب ماجرى في بغداد .

وطولب فخر الدولة وجماعة من اعيان اليهود باموال وضويقوا وعوقبوا عليها فادعوا ان اموالهم نهبت من دورهم . وارسل بايدو الى الموصل من قبض على امير الدولة اخي سعد الدولة واعتمل معه مثل ما اعتمل مع اخيه فخر الدولة (٢)

ومنذ ذاك الحين وقع اليهود في ضيق عظيم عد من اكبر البلايا وافجع المصائب .

وفي سنة ٦٩٤ هجرية ١٢٩٥م جلس السلطان غازان على التخت وامر بالزام اهل الذمة الغيار فكانت علامة النصارى شد الزنار في اوساطهم واليهود خرقة صفراء في عمائمهم فداموا على ذلك شهوراً ثم ازيل بمجرد تسلط العوام عليهم وطمع الجهال بهم . (٣)

(١) (٢) (٣) اعتماداً على الكتاب الذي عنوناه «تاريخ العراق في عهد المغول» لمؤلف مجهول .

وفي هذه السنة أصدر الامير نيروز امراً يقضي بتخريب كنائس النصارى واليهود وقتل رؤسائهم وكان هذا الامر في مراغة وبغداد وغيرها من الامكنة (١)

وفي سنة ٧٢١ هجرية (١٣٢٢ م) امر السلطان ابو سعيد بهادر المغولي ان توضع العلائم على الذميين من نصارى ويهود تمييزاً لهم من الاسلاميين عند وقوع الفتن فاسلم كثير من الذميين (٢)

وفي سنة ٧٣٤ (١٣٣٣—١٣٣٤) الزمت النصارى واليهود ببغداد بالغيار ثم نقضت كنائسهم ودياراتهم واسلم منهم ومن اعيانهم خلق كثير منهم سديد الدولة وكان ركناً لليهود عمر في زمن يهوديته مدفناً خسر عليه مالاً طائلاً فخرب مع الكنائس . وجعل بعض الكنائس معبداً للمسلمين وشرع في عمارة جامع بدرب دينار وكانت بيعة كبيرة جداً . (٣)

حكم العراق في هذه المطاوي دويلات ففي سنة ٧٣٦ هجرية (١٣٣٥ م) نشأت حكومة الجلائرية واستولى على القطر حسن بزرك ولم يدم طويلاً حكمها في العراق بل انطوى بساط صولتها بموت ابي سعيد وحلت محلها حكومة الخروف الاسود « قره قويونلي » واول من ملك العراق منها الشاه منصور بن محمد في سنة ٧٧٨ هجرية (١٣٧٦ م) ولم يستقر له الامر بل ان الشاه احمد الجلائري تغلب عليه واستولى

(١) Chabot : Histoire de Jabalaha

(٢) كتاب الفوز بالمراد في تاريخ بغداد للاب انستاس الكرملي ص ٢٠—٢١.

(٣) ابو الفداء مجلد ٤ ص ١١٣

على بغداد سنة ٧٨٥ هجرية (١٣٨٣ م)

وفي سنة ٨٠٢ هجرية (١٤٠٠ م) نزل تيمورلنك العراق ثانيةً فهلعت قلوب الاهلين وخاف اليهود هذا الطاغية فجاؤوا هاربين من القرى المجاورة واجتمعوا ببغداد الا ان كثيرين منهم قتلهم التتار ويقال ان اصحاب تيمورلنك قتلوا في تلك السنة نحو عشرة الاف يهودي في البصرة والموصل وحصن كيفا (١) ودمروا مدارسهم وانقطعت الرئاسة بينهم زمناً طويلاً وتبددت الجماعة في المدن والاقاليم فغدت حالهم مؤلمة موجعة (٢)

ولما مات تيمورلنك رجع احمد الجلائري الى بغداد وبقي زمام الحكم بيده الى سنة ٨١٠ هجرية (١٤١٠ م) وفي هذه السنة استولت حكومة الخروف الاسود ثانية وبقيت ربة الحل والعقد في بغداد الى سنة ٨٧٢ هجرية (١٤٦٨ م) وانتقلت الى حكومة آق قويونلي او الخروف الابيض وكان مؤسسها حسن الطويل .

وحدث في سنة ٨٩٩ هجرية (١٤٩٣ م) حادث هلعت له قلوب يهود العراق وهو ان يهود ايران اختلفوا مع الدولة فقاتلهم الأهلون وقتلوا منهم ثلثمائة الف يهودي . (٣)

لقد بلغنا الان عصراً تكتنفه ظلمات الجهل في العراق وتعز الموارد التاريخية على

(١) Mendelssohn: The Jews of Asia 232

(٢) Basnage: History of the Jews Book VII P: 696

(٣) الفوز بالمراد في تاريخ بغداد ص ٨٦

الباحث ولا سيما الحوادث التي تفيد بحثنا هذا . فان في هذه الحقبة يدخل تاريخ يهود العراق في غموض وابهام لقلة التآليف والتصانيف في عهد امست الديار ميدان الحروب والفتك والدمار بتقلب الحكومات وتغير الاحكام . وكانت كل فئة ضعيفة تحاول ان تخفي كيانها عن اعين الفاتحين او تريد ان تعيش عيشاً ذليلاً تتفيأ بفيء اقوياء البلاد وتستظل بظلال زعماء المحلات . فلم يكترث لهم ولا خبارهم المؤرخون . فلا نقطع بعدم وجود المصادر لتاريخ يهود العراق في هذا العهد لا بل نذهب الى انها مبعثرة بين الاضابير المصونة في البيوت والخزانات ومشتتة في تضاعيف الرحلات واخبار المتجولين في هذه الاقطار من الافرنج وغاية ما نرغب الى الادباء وحملة الاقلام ويهود العراق ان ينشروا ما تقع ايديهم عليه من اخبار هذه الامة في ديار بين النهرين سداً لهذا الخلل . او ان يجمعوه في خزانة خاصة به . فليس ليهود العراق خزانة «جنيزة» كما لهذه الامة في غير البلدان . فقد سبق يهود القاهرة اخوانهم يهود العراق في هذا الباب وانشأوا سنة ١٩١٣ خزانة دعوها (المكتبة الاسرائيلية) جمعوا فيها شتات المخطوطات من كتب وصكوك واوراق عقود وقصائد .

ومما هو حري بالذكر ان يهود العراق بقوا في هذه الديار في القرون التي عقبت استيلاء المغول والتتار . ولم يضطروا الى مغادرة اوطانهم مع ما كان فيها من المظالم والاضطهادات كما فعل النساطرة الذين هجروا بغداد والبصرة وكل مدن العراق ما خلا الموصل ونواحيها والتجأوا الى قمم جبال كردستان وبلاد الفرس حتى انقطع ذكرهم من عاصمة العباسيين عهداً وخربت بيعهم وهدمت معابدهم وباتت اديرتهم قاعاً بلقعاً

يعشش فيها اليوم الغراب وباد كل معبد لهم . ولم تعد فئة من النصارى الى مدينة السلام الا بعد مرور قرن او اكثر على نزوح اجدادهم عنها . والسر في الامر ان اليهود رضخوا لتقلبات الزمان وصروف الدهر ونوائبه وجاملوا الحكام والامراء . فهذا هو الشعب الذي يلتوي مع التواء الزمان ويحافظ على كيانه في وسط العواصف السياسية والتقلبات المدنية .

وقد جاء في احصاء قديم (١) وان لم اعرف منزلته من الصحة والضبط . كان عدد اليهود الذين يدفعون الجزية ٣٦٠٠٠ عند دخول هولاكو بغداد وكان عدد كنائسهم ١٦ . اما النصارى فكانوا ٤٣٠٠٠ نسمة ولهم ٥٦ بيعة . فلم يبق للنصارى من تلك المعابد القديمة معبد واحد . ولليهود بضعة معاهد قديمة من قبل العهد وعدد نفوسهم في بغداد اليوم اربعة اضعاف نصارى بغداد ولم يكن عدد نصارى بغداد قبل قرن الا ٥٠٠ نسمة فتكاثروا في منصرم القرن الماضي واوائل القرن الحاضر حتى بلغ عددهم اليوم ١٤٠٠٠ نسمة .



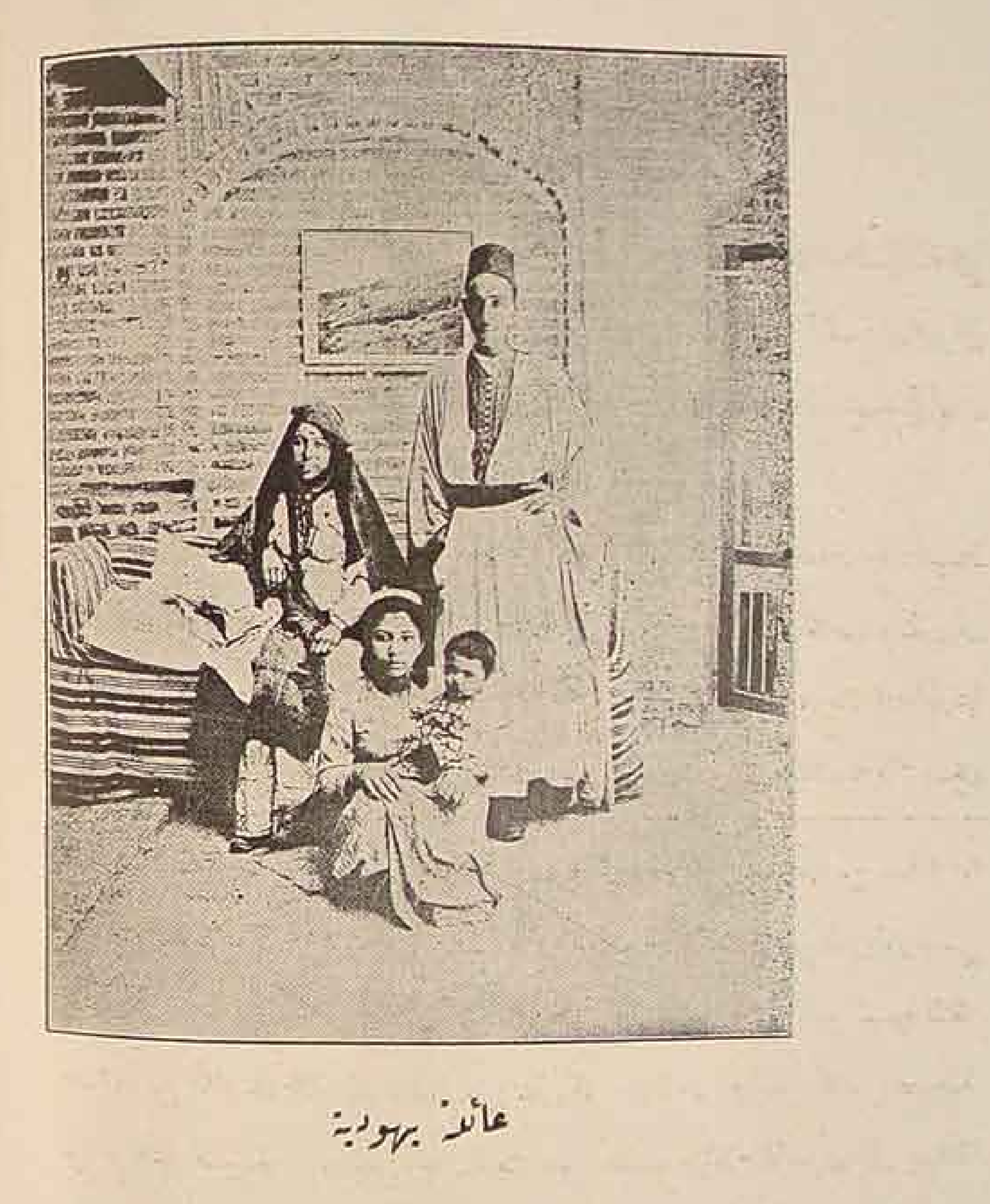
(١) الاحصاء مأخوذ عن كتاب خط اسمه « الدر المكنون في مآثر الماضية من القرون » لصاحبه ياسين العمري راجع مجلة المشرق سنة ١٩٠٨ ص٣٩٧ . الا اننا لا نثق بضبطه وان اعتمدنا عليه .

يهود العراق
في
حكم الاتراك

لا نرى مندوحة عن تصدير هذا الفصل بنظرة عامة في التطورات السياسية التي حدثت في هذا القطر وبلمحة تاريخية عن الايرانيين الذين تنازعوا الحكم في العراق قبل ان يستتب الامر للاتراك فيه . ثم نشفعها بكلمة وجيزة عن حال اليهود في ايران والعراق قبل زمان السلطان مراد الرابع .

رأينا في الفصل السابق أن بعد سقوط الدولة العربية العباسية اضحت بلاد نامهبط المغول والتتار وحكم فيها الجلائريون واصحاب حكومة الخروف الاسود والخروف الابيض. وفي ٩١٤ هجرية (١٥٠٨—١٥٠٩) كان حاكم بغداد رجلا اسمه (بارك) ولاه عليها السلطان يعقوب. فبعث الشاه اسمعيل الصفوي (١) في تلك السنة لالاحسين

(١) اسمعيل الصفوي مؤسس السلالة الصفوية في حكومة ايران حكم من سنة ٩٠٥ الى ٩٣٠ هجرية (١٤٩٩—١٥٢٤) وهو احد اعقاب الشيخ صفي الدين الاردبيلي وكان لهذا منزلة دينية . ورثها منه ابنه صدر الدين الذي حرر من اسر تيمورلنك جماعة من الاتراك كان قد اخذهم من ديار بكر . ولما حرروا من الاسر اصبحوا من مريدي الشيخ . وظمن جماعات من اعقاب هؤلاء الاسرى الى جيلان وعضدوا الصفويين في تأسيس دولتهم . وتعاظم امر الصفويين حتى خشي عاقبة امرهم



عائلة يهودية

برأس جيش لفتح بغداد . فولاه النصر واستولى على المدينة ثم توجه الشاه اسمعيل الى بغداد وقام ببعض اعمال يذكرها التاريخ .

قد جاء في كتاب يهود آسية (١) ان يهود بلاد فارس افتتنوا باعمال الشاه العسكرية وسعوا للحصول على رضائه الا انهم مع اعجابهم به وخضوعهم له لا يظهر انهم توفقوا لنيل التفات ملكهم المستبد والشديد الشكيمة .

وذكر صاحب كتاب خلاصة تاريخ العراق (٢) . وكان الشاه (اسمعيل) قد قتل كثيرين من مسلمي السنة وذبح جميع نصارى المدينة (بغداد) ولم يبق واحداً منهم اما اليهود فانه لم يتعرض بهم ... وكانوا يهدون اليه الهدايا الجليلة والاموال الطائلة

ميرزا جهان شاه ثالث حكام دولة الخروف الاسود فنفى من اذربيجان الشيخ جنيد حفيد الشيخ صفي الدين . فالتجأ جنيد الى حسن الطويل مؤسس دولة الخروف الابيض في ديار بكر . فاكرم مثواه وانزله على الرحب والسعة وزوجه من اخته — خديجه بيكم — واذ لم يتسن له الرجوع الى اردبيل سافر الى شروان واقام فيها. وقتل هناك . وتزوج ابنه الشيخ حيدر من بنت خاله حسن الطويل واسمها حليمة بيكم او « عالمشاه » خاتون وامها اميرة يونانية . فولد من هذا الزواج السلطان علي وابرهيم ميرزا والشاه اسمعيل مؤسس الدولة الصفوية . وبعد وفاته تولى الملك ابنه الشاه طهماسب .

(١) Mendelssohn:The jews of Asia P.80

(٢) الاب انستاس ماري الكرملي : خلاصة تاريخ العراق ص ١٩٥

لاحتياجه اليها يومئذ . » نورد هذا الخبر بتحفظ لاننا نجهل المصدر الذي اخذ عنه المؤلف .

مهما يكن الامر فان الشاه اسمعيل لم يعاد اليهود على ما يظهر عداء مبيناً بل ترك لهم حريتهم في اعمالهم واشغالهم . ومما يؤيد رأينا ما جاء في تلك المطاوي في رحلة لاحد الايطاليين (١) اي بين سنة ١٥١١ و ١٥٢٠ م فانه قال في معرض كلامه عن مدينة تبريز : وهناك يهود ايضاً ولكنهم ليسوا من سكانها المقيمين فيها بل انهم جميعهم غرباء يأتون اليها من بغداد وكاشان ويزد وهم من التبعة الصفوية فيسكنون في الخانات كسائر التجار الغرباء .

وبعد استيلاء الايرانيين على بغداد حكم فيها ذو الفقار ابن نخود سلطان من رؤساء قبيلة موصلو الكردية . وما عتم ان ساد على القطر كله لما طبع عليه من الشجاعة والسخاء . فاطاعه معظم الاهلين راضين غير ناقمين . ومال ذو الفقار الى السلطان سليمان القانوني وقرأ الخطبة وضرب السكة باسم السلطان العثماني وارسل اليه الوفود عارضاً عليه خضوعه واتباعه .

فثقل الامر على الشاه طهماسب وحزن على فقدان بغداد واستاء من مساعي ذي الفقار فجيش عسكراً وحمل على بغداد في شهر تموز من سنة ١٥٣٠م (٩٣٦هجرية) وبعد ان عجز الشاه طهماسب من الاستيلاء على بغداد حرباً تذرع بأخوي ذي الفقار ومناهما بالمواعيد . فاغتالا اخاهما وقتلاه .

---

(١) Hakluat Society:Travels of Venitians in Persia

وقد كان لهذا النبأ رنة في الأندية السياسية التركية فعهد السلطان سليمان الاول قيادة الجيوش الزاحفة الى العراق الى ابرهيم باشا الصدر الاعظم . فاكمل القائد العام تجهيزات حملته في ربيع الثاني ٩٤٠ هجرية (نهاية ١٥٣٣ م) وتوجه الى حلب وقضى فصل الشتاء فيها .

فتح الجيش التركي بغداد في سنة ٩٤١ هجرية (١٥٣٤ م) ودخل السلطان سليمان الاول عاصمة العباسيين . وبقي فيها نحو ستة اشهر . وخضع له في اثنائها مدن اخرى من العراق .

ان المصادر التي امامنا حين كتابة هذه السطور لا تفيدنا شيئاً عن تاريخ يهود العراق في زمن السلطان سليمان الاول ولا عن موقف هذا الفاتح الحكيم تجاه تلك الجماعة في بغداد وغيرها من مدن الرافدين . بل غاية ما نعلم ان عدد يهود العراق كان قد قل كل القلة بعد نكبة المغول والتتار وساءت احوالهم الادبية والمادية ولم يبق لهم شأن في البلاد . اما السلطان سليمان فانه لم يكن قد غمرهم باحسانه فانه لم يلحق بهم اذى البتة لما عرف به من الرشد والحكمة والتساهل والعدل . فقد امر جيشه بعد فتح بغداد ان يخيم في البرية في ربض الاعظمية وحظر على الجنود ان يجوزوا اسوار المدينة او ان يؤذوا سكان المدينة باذى ما (١)

ومما يزيدنا اقناعاً في ان حال يهود العراق كان هنيئاً على عهد السلطان سليمان الاول ماجاء في التاريخ عن حالة اليهود في تركية عموماً قبل ذلك الزمن

(١) C.Huart: Histoire de Bagdad P.39.

بنحو قرن وبعده .

كتب في اواسط القرن الخامس عشر احد اليهود المسمى اسحق زرفاتي رسالة وبعث بها الى يهود المانية والمجر دعاهم بها الى الهجرة الى بلاد الاتراك . ووصف بها وصفاً حماسياً حال اليهود في وطنهم الجديد . ومما قال فيها الكاتب: ان بلاد الاتراك ارض لا يعوزكم فيها الى شيء وان شئتم وافتكم كل الاحوال وفق مرغوباتكم . فبها تصلون الى الارض المقدسة سالمين. اوليس الافضل ان تسكنوا في حكم المسلمين من ان تسكنوا في حكم النصارى ؟ فانكم تتمكنون هنا من لبس افخر الاقمشة ... ويتمكن كل واحد هنا من الجلوس تحت كرمته وشجرة تينه . ومهما يكن الامر فانكم لا تجبرون على الباس اولادكم في البلاد النصرانية اللون الاحمر او الازرق ان لم تعرضوا بهم الى الضرب حتى يزرقوا او تسلخ جلودهم حتى يصبغهم الدم.(١)

اذاع اسحق زرفاتي هذه الرسالة في عهد قامت فيه قيامة اوربة على اليهود فطرد هؤلاء من اسبانية . فوجدوا في بلاد الاتراك ملجأ فانصبت قوافل المهاجرين عليها انصباباً من كل اقطار اوربة . فوجدوا فيها ميداناً واسعاً لنشاطهم ومنبتاً خصيباً لاستثمار مساعيهم . وكانت الحكومة التركية في ابان نهضتها وفي حاجة الى ايد عاملة ورجال علم وفن فرحبت بهم ورأت فيهم ضيوفاً نافعين فاكرمت مثواهم .

(١) ان هذه الرسالة المهمة محفوظة في الخزانة الوطنية في باريس (بيت الآثار القديمة) مرقمة برقم ٢٩١ وبحثت عنها المجلة اليهودية في المجلد الثاني عشر صفحة ٢٨٠ .

واسندت اليهم الوظائف المختلفة في الدولة .

واشتهر في القرن السادس عشر من اولئك المهاجرين الناسي يوسف البرتغالي المولد فانه نال من الطاف السلطان سليمان الاول والسلطان سليم الثاني ماجعله بين رجال الدولة العظام وبين مشاهير الماليين في الحكومة التركية لابل نزعت نفسه الى الملوكية وحكاية الحال ان السلطان سليماً قال له يوماً اذا تحققت رغبتي في فتح قبرص ستكون ملكها . فما كان من الناسي الا وعمل لوحة عليها شعار قبرص وكتب عليها « جوزف ملك قبرص » وعلقها على باب داره . وتعلماً من هذا الوعد لقبه لقب دوق نكسوس Duke of Naxos

وخسر الناسي يوسف معظم نفوذه السياسي بموت السلطان سليم وان اثبت له السلطان مراد الثالث القابه ومناصبه . وافته المنية سنة ١٥٧٩ م ولم يترك عقباً . (١)

واشتهر حوالي ذلك الزمان في سلطنة آل عثمان يهودي آخر اسمه سلمان اشكنازي اوابن ناثان . وتقلب في مناصب عديدة مهمة ثم بعثته الحكومة العثمانية سفيراً الى حكومة البندقية وقلدته سلطة واسعة . وكانت درايته بالامور السياسية واسعة أهلته لتدبير شؤون السلطنة العثمانية السياسية مع الدول النصرانية نحو ثلاثين سنة (٢) وكان هذان الرجلان وغيرهما من اليهود في العاصمة انصاراً لابناء قومهم الساكنين

(١) راجع Mendelssohn :The Jews of Asia 4 — 7
والمعلمة البريطانية مادة Joseph وعثمانلي تاريخي : احمد راسم مجلد ١ : ٣٠٣

(٢) Mendelssohn: The Jews of Asia 7 —10

في بلاد الاتراك يتوسطون في امور الجماعة على طول البلاد وعرضها .

بعد ان استولى السلطان سليمان الثاني على بغداد رتب عليها الحكام . وبقي الولاة العثمانيون يدبرون شؤونها عهداً حتى حكم فيها بكر صوباشي في سنة ١٠٢٨ هجرية (١٦١٩ م) واستبد في امورها وخرج على الحكومة التركية واستقل عنها . ولما تبوأ السلطان مراد الرابع اريكة آل عثمان سنة ١٠٣٢ هجرية (١٦٢٢ـ١٦٢٣م) بعث جيشاً لتأديبه . وبعد قتال كاد يخذل فيه بكر صوباشي ويولي الادبار استجار بالشاه عباس الاول فاجاره وبعث جيشاً الى بغداد الا ان بكر صوباشي ندم على عمله هذا وحاول ان يرد الجيش الفارسي عن مدينته الا ان لم يفده ندمه فحاصر الفرس المدينة وقاتلوا حاميتها وفي سنة ١٠٣٣ هجرية (١٦٢٣ ـ ١٦٢٤ م) استولوا على القلعة الداخلية ليلاً ولما اسفر الصباح وسمع الاهلون اصوات الابواق من اعالي البروج والاسوار علموا بما جرى في الليل وكان فزعهم عظيماً .

ولما دخل الفرس المدينة واستتب لهم الامر فيها اتوا بانواع الفظائع من قتل وتنكيل وتخريب وتدمير . (١) وهذه كانت اعمالهم في الموصل وسائر المدن التي احتلوها عقيب فتح بغداد .

لنترك مدينة السلام بيد الفرس ولندرس حال يهود العراق وبلاد ايران في هذا الزمن . زار العراق في مفتتح القرن السابع عشر السائح تكسيرا (١٦٠٤ـ١٦٠٥م) وقال عن يهود بغداد ما يأتي : وهناك (في بغداد من ٢٠٠ الى ٣٠٠ بيت من اليهود

(١) راجع: C. Huart : Histoire de Bagdad 52 - 59

ومنهم ١٢ او ١٥ بيتاً يرقون اصلهم الى الاسرى الاولين . وعدد من هذه الطائفة اغنياء ولكن اغلبهم في فقر مدقع وجميعهم يسكنون محلة واحدة ولهم كنيس ومصلى ويقومون بشعائر دينهم بكل حرية . (١)

ثم تطرق الى ذكر مدفن يوشع كادول في جانب الكرخ ووصف مزاره (٢) وبعد قليل ذكر في سياحته يهودعانة وقال عنهم : ان مائة وعشرين بيتاً من سكانها يهود عرب وان لم يكونوا اغنياء فانهم يعيشون عيشاً وسطاً . ويراعي جانبهم امير البلاد وموظفوه ولابد من ان ذلك يكلفهم شيئاً حسب العادة . ويملكون بيوتاً واراضي كما يملك العرب الذين يؤلفون بقية سكانها (٣)

ان الشاه عباس الاول الذي يصفه مؤرخو الاتراك بالفظاظة وغلاظة الاخلاق ويروون عن اعماله في بغداد بعد فتحها ما يشيب له الرضعان جزعاً كان مسالماً لغير المحاربين له مسالمة نسبية ولا سيما انه اراد ان يكثر سكان مملكته فانعم على الغرباء انعامات جليلة فاتوا اليها من كل صوب وحدب للاقامة فيها وللتجارة وكان بينهم جماعة من اليهود الذين استأثروا بالتجارة واغتنوا منها (٤) الا ان اللطف الذي ابداه الشاه لليهود لم يرق في عيون كثيرين من الايرانيين فجاش في صدورهم الحسد وارادوا انتقاماً من هذه الجماعة التي عرفت بتفننها بانواع الكسب ووسائل الربح

(١) The Travels of Pedro Teixeira Page 65—66

(٢) Ibid Page 68

(٣) Ibid Page 84

(٤) Basnage History of the Jews P 697

وسعوا فيهم عند الشاه عباس والصقوا بهم التهمات المختلفة فلم يفلحوا .

ولما اخفقوا في افتئاتهم رجعوا الى امور الدين وحركوا عاطفته في ملكهم . وجرت مفاوضات بين الشاه عباس الاول وعلماء اليهود في هذا الباب وقام بينهم جدال عن المسيح وزمن مجيئه افضى الى ان علماء اليهود ضربوا اجلاً الى مجيء المسيح سبعين سنة من ذلك الزمن وكان قصدهم الخروج من ذلك المأزق الحرج . وابدوا الامر باتفاق وقعوه ليس من خطتنا التوسع فيه (١) . واظن ان ما ذكره دلافاله في رسائله من اتهام اربعة يهود بالمجوسية في اصفهان في شهر تشرين الثاني ١٦١٩ م كان من هذا القبيل حتى اضطر ثلاثة منهم الى الخروج من اليهودية وقاسى الرابع الموت تمسكاً بدينه (٢)

مضت الايام وتوالت الاعوام حتى كانت سنة ١٦٦٣ م وكان يومئذ على عرش فارس الشاه عباس الثاني . واتفق في تلك السنة ظهور شباتي شوه الذي ادعى انه المسيح المنتظر وبعث باذاعته الى كل يهود العالم ومن بينهم يهود بلاد فارس . فاثارت هذه الاذاعة غضب الايرانيين وفتحت باب اضطهاد على اليهود قاسوا فيه الامرين ودام ثلاث سنوات ١٦٦٣ـ١٦٦٦ فنكبوا فيها . فمنهم من دان بالاسلام ومنهم من هاجر الى الهند والصين والى بلاد الاتراك ومنهم من قتل . وقد ذهب بعض المؤرخين

(١) Mendelssohn : the Jews of Asia Pages 81 - 84

(٢) Pietro della Valle: Les Fameux voyages tome 111 Page 87

الى ان بلاد ايران خلت من اليهود على أثر ذلك الاضطهاد الا اننا لانرتئي رأيهم ولا سيما ان السائح تيفنو Thevenot الذي هبط بلاد الفرس سنة ١٦٦٣ وبقي فيها الى سنة ١٦٦٦ وهي سنوات الاضطهاد عينها لا يذكر في رحلته شيئاً يستنتج منه قتل اليهود قتلاً عاماً . غير اننا نذهب الى ان هذا الاضطهاد دفع جماعات من يهود ايران الى ان يهاجروا الى العراق اذ كان هذا القطر من املاك السلطنة العثمانية . وان من هذا التاريخ بدأت هجرة اليهود الى العراق ولا سيما الى بغداد واخذ عددهم بالزيادة في عاصمة العباسيين .

ولابد من ان القارئ يسأل كيف استرجع الأتراك العراق بعد ان استولى عليه الفرس سنة ١٠٣٣ هجرية ؟

لم يغفل الأتراك عن امر العراق بعد ان خرج من ايديهم سنة ١٠٣٣ هجرية بل ان السلطان مراد الرابع عين سنة ١٠٣٥ هجرية (١٦٢٥ــ١٦٢٦ م) حافظ احمد باشا وزيراً بلقب سردار وفوض اليه استرجاع العراق من الفرس . وبعد قتال دام الى سنة ١٠٣٨ هجرية (١٦٢٨ ــ ١٦٢٩ م) لم ينتصر الأتراك فيه فعين السلطان مراد الرابع الصدر الاعظم خسرو باشا قائداً عاماً واودع اليه قيادة حملة العراق . وفي هذه السنة ايضاً مات الشاه اسمعيل الاول وخلفه على تخت ملوك الفرس حفيده صفي مرزا .

مهما كان من امر تلك الحملة التركية على العراق فانها لم تفلح في هجوماتها الشديدة على اسوار بغداد فاضطر السلطان مراد الرابع سنة ١٠٤٧ هجرية (١٦٣٧م)

الى ان يغادر عاصمة آل عثمان ويأتي الى العراق على راس جيش جرار وخيم في سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م) امام اسوار بغداد . ودخلها ظافراً بعد حرب عوان . وهذا كان آخر عهد الايرانيين في بغداد .

وقفنا على امرين من هذا العهد يمسان تاريخ يهود العراق اولهما مدون في كتاب والاخر من مأثورات يهود بغداد نوردهما على علاتهما والعهدة على مصدريهما .

ذكر بولاي لكوز كان عدد جيش السلطان مراد الرابع الذي توجه الى بابل ١٥٠٠٠٠ رجل بينهم عشرة آلاف يهودي من كتبة وسعاة ورؤساء جيش (١)

حدثني غير واحد من يهود بغداد ان السلطان مراد الرابع عند وجوده في هذه المدينة اوعلى اسوارها دخل متنكراً بيت احد اليهود ونزل ضيفاً على صاحبة البيت فاكرمت مثواه . ولما غادر البيت سألها هل لها حاجة او لقومها فطلبت اليه ان ينعم عليهم بارض لتكون مقبرة لجماعتها فاجاب طلبها واعطاها الارض المنشودة .

ان سكت التاريخ عن احوال اليهود في العراق في عهد السلطان مراد الرابع او ان كنت لم اطلع على ذلك في المصادر التي بين يدي من مؤلفات الافرنج او الأتراك كتاريخ هامر ونعيما ودوسون وهوارت فالمأثور عند يهود بغداد ان السلطان مراد الرابع احسن اليهم .

جهلنا لتاريخ يهود العراق لا يقف في عهد السلطان مراد وحده بل يتجاوز

---

(١) Les voyages et Observations de Sieur de la Boullaye le Gouz Page 325

ذلك النطاق ويمتد الى قرن وبعض قرن بعده . ولم نعثر على ذكر هذه الجماعة الا في سنة ١٧٦٦ ميلادية في تضاعيف رحلة نيبهر السائح الدنيماركي اذان الرحالة بترو دلا فاله الذي كان في بغداد في الربع الاول من القرن السابع عشر لم يتصد لذكر يهود العراق الا استطراداً في بحثه عن قبر حزقيال وجب دانيال لاغير .

اما رحالتنا نيبهر فقد قال عنهم : ان في الموصل ١٥٠ بيتاً من اليهود ويكسب هذا القوم في بلاد الاتراك معيشتهم بحرية تفوق الحرية التي لهم في اوربة حيث يحظر عليهم مماطاة الحرف ومع هذا فانهم لا يجسرون على السير في الطرق في بعض مدن الاتراك الا مضطرين هرباً مما يصيبهم من الاهانة من الاولاد .

وقد حدث لهم قبل ثلاث سنوات حادث خطير وهو انهم لما كانوا قافلين من زيارة قبر النبي ناحوم في القوش فقد ولد مسيحي من احدى القرى القائمة على طريقهم . وبعد البحث وجدت جثته في احدى الابار مثخنة جروحاً وكان لسانه مقطوعاً . فاتهم اليهود بهذه الفعلة واذلم يكن شهود على الامر دفعوا الف اشرفي (دوقية) الى الباشا وهكذا انتهت هذه الدعوى ويروي نصارى الشرق من امثال هذه الاقاصيص شيئاً كثيراً . وغايتهم من ذلك ان يبينوا ان اليهود يقبضون على اولادهم . (١)

وقد ذكر استطراداً قبر يوشع وتوسع في وصف زيارة اليهود للكفل وسننقل مروياته في البابين المختصين بهذين المزارين . وارصد بضعة اسطر لما كان يقاسيه القوم من الجور والعسف من البدو في اثناء زيارتهم الكفل حتى يضطروا احياناً

(١) C. Niebuhr . Voyage en Arabie tome 11 page 295

الى الالتجاء الى المزار والانحصار فيه ريثما يتوسط الامر حاكم الحلة او اذا كان عدد البدو كثيرا ينتظرون النجدة من والي بغداد لرفع الحصار . ومما قاله عن خوف اليهود من البدو . ان الرعب والفزع يستوليان على الزوار وان كان عددهم يفوق الغزاة البدو عشرة اضعاف او عشرين ضعفاً ولا يجسرون على اطلاق عيار ناري مرة واحدة لانهم يعلمون حق العلم ان الدم الذي يهرق من البدو يكلفهم ثمناً باهضاً . (١)

ومن مرويات اليهود في العراق ان احد ابناء قومهم المثرين المدعو الخواجه يعقوب ساعد العسكر العثماني بماله في حصار البصرة مساعدة جليلة ومد الاهلين بالمؤن في تلك الحرب التي شنها الشاه كريم خان في ١١٨١ـ ١١٩٠ هجرية (١٧٧٥ـ١٧٧٦م) وجاء خبر الخواجه يعقوب ومساعدته في رسالة عبرية الخط عربية اللهجة دعيت « الرسالة الفارسية . » وذكر المستر ريج هذا الرجل في كتابه الانكليزي المعنون « الاقامة في كردستان » المجلد الثاني ص ٣٨٩ . في مطاوي بحثه عن مزار العزير ودون اسمه هكذا Khoph yakoob ونسب اليه عمارة هذا المزار ولم يعلم من هو الرجل لان رحلة ريج كانت في اوائل القرن التاسع عشر .

وقد كتب عنهم روسو في اوائل القرن التاسع عشر مايلي :

يسكن اليهود في محلة واحدة في زاوية من مدينة بغداد والاتراك يحتقرونهم ويبغضونهم في كل آن وحالتهم السياسية والعمرانية منحطة كل الانحطاط ومع هذا كله فانهم كانوا يتوصلون الى دخول السراي ودار المكوس وبيوت الوجهاء حيث

(١) C. Niebuhr: Voyage en Arabie tome 11 page 217

يجدون من يستخدمهم في خدم مختلفة . (١) ومن ابناء قومهم في البصرة رجال يتعاطون التجارة (٢)

لم ينصف روسو اليهود بما كتبه بل ان فيه شيئاً من الاجحاف وربما كان هذا الاجحاف من الايجاز الذي توخاه في عبارته لاننا لانجد سببا لتعمده هذه الغاية ولاسيما نرى في كلامه حقائق ابدها غيره من الكتبة الاوربيين الذين هبطوا هذه الديار . فهذا هود السائح الانكليزي الذي زار العراق سنة ١٨١٧ م وصف حال يهود بغداد وصفاً مجملاً وتناول بحثه موضوعين من حياتهم في هذه البلدة الاول منها منزلتهم الاجتماعية ووافق ما كتبه روسو فيهم والثاني اعمالهم التجارية والاقتصادية وبرهنوا للملأ ان هذه الميزة التجارية تكاد تكون مسجلة لهذا الشعب العامل حيثما هبط . الا انمعظم الغنم الذي يجرونه من الاعمال يتسرب الى جيوب الولاة وكبار الموظفين ولذلك لم يحصلوا على ثروة طائلة يعتد بها (٣)

وان لم تكن منزلتهم الاجتماعية تسر اصدقاءهم على ماجاء في كتاب روسو ورحلة هود الا انه لايخلو تاريخهم من شواذ في هذا العصر اذ كان ينبغ بينهم رجال ينالون الكلمة الراجحة في البلاد . ولقد يستغرب القارئ من ان احد يهود بغداد كان

(١) Description du Pachalik de Bagdad Par M édité en 1809 page 12

(٢) Ibid page 32

(٣) Lt William Heude: A voyage up the persian Gulf and a journey overland from India to England page 182

سبباً لعزل الوزير سعيد باشا بن سليمان باشا من الولاية . وانتهى به الحال الى الموت قتلاً . واليك رواية الخبر .

ان احد موظفي الحكومة العثمانية واسمه حالت افندي كان قد جاء العراق بمهمة ثم سافر منها الى استانبول وعين «آتابكي دولت» واوعز اليه ان يناظر امور العراق نظراً الى الخبرة التي اكتسبها عن هذا القطر اثناء بعثته الاولى اليه . وكان صيرفه حزقيال اليهودي . وكان اخو حزقيال صيرفياً في بغداد فاراد ان ينال منصب رئيس الجهابذة (صراف باشي) فانكر عليه ذلك سعيد باشا ومنعه هذا الشرف . فوقع هذا العمل موقعاً سيئاً في عيني حالت افندي وتأثر من اخفاق اخي صرافه واخذ يتحين الفرص للايقاع بسعيد باشا .

وبما ان حكومة استانبول كانت تجيز حكومة العراق بين آن وآخر ان تضرب مسكوكات نحاس عند الحاجة امرت سعيد باشا ان يضرب مقادير من تلك النقود في بغداد . فاودع الباشا امر ضربها الى عزرا المذكور . ولما اهملت الحكومة وعمالها هذا الامر انتهز الفرصة عزرا ونقش اسم سعيد باشا في محل الطغراء وقدم منها نماذج اليه فاضطرب لهذا الحادث وامر في الحال بان تبدل الكتابة على السكة . ولكن جاء امره بعد خراب البصرة على مايقال في المثل . اذ سبق عزرا وبعث بعدد من هذه المسكوكات الى اخيه حزقيال واخبر حالت افندي ان الوزير ضرب السكة باسمه وعرض عليه تلك المسكوكات حجة واضحة تؤيد مدعاه .

فصدر الامر حالاً بعزل سعيد باشا . فتحزب له طائفة من البغداديين ولكنهم

اخفقوا في مسعاهم ودخل داود باشا بغداد بموكب حافل في ٥ ربيع الثاني ١٢٣٢ هجرية (٢٢ شباط ١٨١٧) وبعد ايام قلائل بعث رجالاً قتلوا سعيد باشا في بيته(١)

وكان لعزرا المذكور نفوذ عظيم وسلطة كبيرة على قومه فكان يسجن منهم من اراد سجنه ويجلد من شاء جلده . ويظهر انه كان (ناسياً) والناسي كلمة عبرية معناها السامي وكان هذا اللقب يعطى لرؤساء اليهود وقام مقام راس الجالوت في القرون المتأخرة. وكانت الحكومة المحلية تعترف بمنزلته وحقوقه .

وقد قرأت في احد السجلات المخطوطة لكاتب معاصر لعزرا صراف باشي انه امر بجلد ثلاثمائة جلدة يهوديا اسمه نسيم ومثلها لشريك نسيم المذكور وذلك على عهد ولاية داود باشا : وبعد ان استقر داود باشا على منصة الحكم وتولى شؤون الولاية اراد ان يبعث بالهدايا المقررة الى الباب العالي واذ كانت الطرق غير مأمونة ليسير فيها النقود طلب من صيارفة اليهود ان يأخذ منهم سفاتج على عمالهم في العاصمة فامتنعوا وتمحلوا له الاعذار والتجأوا الى بعض اصحابهم الاتراك من ذوي النفوذ لينقذوهم من هذه الورطة . ومن اعذارهم التي تذرعوا بها ان لا نقود لهم عند زبنهم في الاستانة فاذا سحبوا عليهم هذا المبلغ رفضت حوالاتهم .

(١) Clément Huart : Histoire de Bagdad pp 170-172

Lt. William Heude : A voyage etc page176

وبغداده كوله من حكومتنك تشكيليله انقراضنه دائر رساله در مؤلفي ثابت ١٢٩٢ سنه سنده وقت مطبعه سنده طبع اولنمشدر (درسعادت) ص ٣١ـ٣٣

فعين داود باشا احد الموظفين للمفاوضة معهم بهذا الشأن فلم ينجح في مسعاه فعين غيره بمكانه وهذا ايضاً اخفق في المفاوضة معهم . فجاء ثالث وترأس اجتماعهم اذ كانوا معتقلين منذ نحو ثلاثة ايام بلا اكل وشرب وبعد الجد الجهيد تحقق لديهم ان لا مناص لهم من هذا الامر فاعطوا السفاتج (١)

وقد اشتهر في عهد داود باشا اسحق اليهودي رئيس الصيارفة في بغداد وكان كثيراً ما يستشاره الوزير المذكور في اموره . وكذلك فعل لما انفذ الباب العالي صادق افندي ليصلح العراق وينظم شؤونه بعد انقراض الانكشارية ولاسيما لتحريض داود باشا على تقديم الضرائب المتأخرة الى الباب العالي .

ولما وصل صادق افندي بغداد وفاوض داود باشا في المهمة التي بعث من اجلها وعرف ماوراء الاكمة فكر في ايجاد وسيلة للتخلص من وفد الباب العالي فاستدعى للحال ثلاثة من معتمديه وهم سليمان اغا احد معتقيه ومصرف محمد اغا احد الاشراف والصراف باشي اسحق اليهودي وعقدوا اجتماعاً تآمروا فيه على صادق افندي . فارتأى سليمان اغا ان لا سلام الا بقتل صادق افندي . وايد هذا الرأي محمد مصرف افندي . وبعد ان سمع الوالي كلامهما اجاب ان في الامر خطراً ولكن لا يأمن احد على حياته بوجوده . فانه سيلقي اضطراباً اي اضطراب وسيسفك دماً اي دم . فلا اجدر بنا ان نمحو وجوده . »

فوافق اسحق على اقتراحهم وايد رأيهم بما قصه عليهم من الانباء التي هبطت

(١) Lt William Heude : A Voyage etc 182 - 183

عليه من ابيه الذي كان يومئذ في القسطنطينية . ودبروا في اجتماعهم هذا طرق الاغتيال. فتم القضاء وقتل صادق افندي (١) ودفن سراً في طابية الصابونچية (الصابونية) في القلعة الخارجية (٢)

ومن مأثورات يهود بغداد الصحيحة ان في عهد ولاية داود باشا حدث ضيق على جماعة من تجارهم وبينهم الخواجة داود ساسون ففر المذكور خفية الى البصرة على سفينة شراعية وامعن من هناك في البحر . ونزل الهند ثم الديار الاوربية وتعاطى التجارة فأثرى ويرى اعقابه اليوم في الهند وبلاد الانكليز وهم على جانب عظيم من الغنى والنفوذ وقد انعمت الدولة البريطانية على غير واحد منهم باوسمة رفيعة المنزلة والقاب شرف . ولهم بيوت تجارية في اقطار العالم .

(١) C. lément Huart : Histoire de Bagdad Page 178-179

وبغداد كولهمن حكومتنك تشكيليله انقراضنه دائر رسالهدر مؤلفي ثابت . ص ٤٣ — ٤٤

(٢) قد عثرت نبأ على قبر صادق افندي المذكور يوم الاثنين في ٢ تموز ١٩٢٣. لما كنت انوب عن مجلس ادارة بغداد في اللجنة التي ألفت لحل الخلاف القائم بين وزارة المالية ووزارة الاوقاف وامانة العاصمة في الاراضي المحاذية خندق بغداد. وموضع القبر على جانب الخندق الايمن في شمالي بغداد في راس محلة السور قريباً من مقر وزارة الدفاع الحالي . بناؤه حقير وفي طرف الجدث الشمالي قطعة رخام صغيرة كتب عليها اسم المقتول وتاريخ قتله .

ذكرنا من ولاة بغداد سعيد باشا وداود باشا وكان هذان الواليان من الكولهمندية (اي المماليك) . بدأت حكومة المماليك منذ تولي سليمان باشا الحكم في بغداد سنة ١١٦٣ هجرية (١٧٥٠ م) وكان مملوك احمد باشا والي بغداد . واستفحل امر المماليك في بغداد واستبدوا بالاحكام وقام منهم ولاة كثيرون في بغداد خرجوا على الحكومة العثمانية مرات عدة . وكان آخرهم داود باشا الشهير الذي نفي من بغداد الى الاستانة سنة ١٢٤٧ هجرية (١٨٣١ م) ومنها عين شيخ الحرم في المدينة سنة ١٢٦٠ هجرية ١٨٤٤م . وفي السنة التي نفي فيها داود باشا من بغداد استأصل لاز علي رضا باشا شأفة المماليك وقطع دابرهم .

لم نرو حتى الان في كتابنا شيئاً عن الحوادث الطبيعية من غرق وامراض وافدة اشترك في مصائبها سكان العراق على اختلاف اديانهم وتباين مذاهبهم لما في ذلك من خرق الخطط التي اعتمدناها في تأليفنا هذا . ولكننا وقفنا في تقرير المستر كروفس المرسل البروتستاني في العراق (١) على فائدة لها مساس بموضوعنا لم نر بأساً من نقلها قال : وفي سنة ١٨٣١ ميلادية حدث في بغداد طاعون شاب له الرضعان في المهد جزعاً واودى بالوف من سكان بغداد . فغادر البغاددة مدينتهم هرباً من الوباء الفاشي والموت الجارف . في اليوم العاشر من نيسان مات ١٢٠٠ نسمة في جانب الرصافة وفي نحو ذلك الزمان فاض دجلة وطفح فهدم ١٢٠٠ بيت في الجانب الغربي وبلغت الوفيات في اليوم الرابع عشر ١٨٠٠ في المدينة وفي الايام التالية قدر عدد الموتى بالف يومياً . وقدر مجموع الوفيات في شهر

(١) W. Budge : By Nile and Tigris Vol I : 191 - 192

نيسان بنحو ٣٠٠٠٠ وامست المدينة خالية من سكانها ولم يبق الا الموتى ودافنوهم والـقاؤون وفي اليوم السابع والعشرين من شهر نيسان حدث ان هدم قسم من سور المدينة في الجانب الشمالي الغربي ودخلت المياه محلة اليهود وهدمت نحو ٢٠٠ بيت.

يسرنا في هذا المقام ان ننقل افادات ذات قيمة عن سائح يهودي نزل العراق في منتصف القرن الماضي واودع رحلته اخباراً نفيسة عن قومه في هذه البلاد. وتطرق الى درس حالتهم الدينية والاجتماعية والمالية. ومما يؤخذ عليه انه غالى في بعض المواقف من كتاباته مغالاة لا يعذر عنها ولا تتفق مع الحقيقة التي هي ضالة المؤرخ المنشودة. اريد به بنيامين الثاني (١) قال ما ملخصه: في بغداد ٣٠٠٠ بيت يهودي ويساعد علمهم وصناعتهم وترفهم على امتداد التجارة والنشاط العام وازدهار هذا القطر. ويشاهد في هذه البلدة سعة حال وروح حقيقي للمشاريع اكثر مما في بقية ربوع هذا القطر. ويقبض اليهود على زمام التجارة وبينهم تجار كبار واشغالهم

(١) ان اسمه الحقيقي يوسف اسرائيل (١٨١٨—١٨٤٦) كان من يهود رومانية وانتحل اسم بنيامين الثاني تشبهاً بنيامين التطيلي واحياءً لذكر ذلك الرحالة الذي عاش في القرن الثاني عشر كما مر ذكره في هذا الكتاب في الصفحة ١٢٩. وقد بحث بنيامين الثاني في رحلته الاولى عن الاسباط العشرة المفقودة وكان عمره يومئذ ستا وعشرين سنة توفي في لندن بينما كان يتأهب لرحلة ثانية للبحث عن يهود الصين. اما كتابه الذي اعتمدنا عليه فهو رحلته بعينها اسمه:

Eight Years in Asia and Africa From 1846-1855 by J. J. Benjamins II From Foltischeny in The Moldavia.

واسعة النطاق مع البلاد الشاسعة ويزاحمون الوطنيين والاجانب.

وفضل حالهم على سائر يهود المشرق وقال انهم يعيشون في رخاء. واطرأ اخلاقهم وآدابهم وضيافتهم الغريب وقد غالى في معرفتهم العالم حتى افضى به غلوه الى ان انزلهم منزلة اعرق الشعوب الاوربية في الحضارة.

ومما قاله ان ثلاثة ربانيين قلدوا سلطة القضاء ويدعونهم «جانيم» رأس القضاة الراب يعقوب بن يوسف يعقوب ومعه الراب ايليـاهو عوبديا والراب عبدالله. ولا يحق لهذه المحكمة انزال القصاص باحدٍ بل انما ذلك من حقوق رئيس الحاخامين (حاخام باشي) الذي يعينه الباب العالي لهذا المنصب ويمثل الجماعة امام الحكومة، ويجمع لها الخراج (الجزية) من شعبه.

ويساعد رئيس الحاخامين في ادارة الشعب اعضاء من وجوه القوم (المجلس الملي) وكان يديرهذا المجلس يومئذ رابي رفائيل كاسين Kassin الحلي وكان له وجاهة خاصة عند الوالي وقد سمح له بان يحرسه اربعة حراس (قواويس) حتى اذا خرج تقدمه حرسه على الخيل.

ويرأس الجماعة بعد رئيس الحاخامين الناسي وكان يتولى هذا المقام حتى ١٨٤٩ او ١٨٥٠ الراب يوسف موسى روبين. وللناسي نفوذ عظيم على جماعته وعلى غيرها من الجماعات.

وقال ان التعليم الديني راق. وعندهم مدرسة دينية فيها ستون طالباً يتولى رئاستها رابي عبدالله بن ابرهيم سوميخ ويقوم بهذا العمل مجاناً لانه غني وله بيت تجاري مهم وقد اودع اعماله شريكاً له وخص نفسه بهذا العمل البار.

لليهود تسعة كنس في بغداد ثمانية منها في محلة واحدة والتاسع وهو كنيس الشيخ اسحق الغاووني .

وجاء رحالتنا بعد ذلك على وصف حياة قومه اليومية ولاسيما بعد ظهر الجمعة ويوم السبت واطرأ تمسكهم بسبتهم . وكان في مدة اقامته في بغداد ضيفاً لعبد العزيز بن عبد الثاوي .

وانتقد الزواج المبتسر عند بني قومه هنـا وبين مضاره للزوجين وعجب كل العجب من زواج البنات في الثامنة او العاشرة من عمرهن . وقال اذا بلغت الابنة الخامسة عشرة من سنها لايرجى زواجها بعد ذاك . وقال ان الثيبات لا نصيب لهن من الزواج ثانية . وفي الطائفة اليهودية ٤٠٠ او ٥٠٠ ثيب . وجاء على وصف حفلة الزواج عند اليهود (١)

وقال ان في الحلة خمسين بيتاً من اليهود وان الناسي هناك المعلم مردخاي . وللجماعة كنيس واحد . (٢) وزار الكفل والعزير وسنلخص وصفه لهذين المزارين اليهوديين في الفصل المرصود للمعاهد الدينية .

وفي رحلته فوائد عن يهود الموصل . جاء فيها ان في هذا البلد ٤٥٠ بيتاً ولايحق لهم الشكوى من حالهم فان كثيرين منهم يتعاطون تجارة واسعة وان كنيسهم فسيح . ولهم ثلاثة ربانيين كلهم من اسرة برساني والاهلون جاهلون وعندهم مدرسة دينية

(١) راجع رحلته المار ذكرها من صفحة ١٤٠ الى ١٥٣ (٢) الرحلة عينها ص ١٥٥ — ١٥٦

يدرس فيها مردخاي ابن الحاخام داود احد انسباء الصيرفي اسحق زلم .

وطاف بنيامين الثاني في البلاد الكردية كاربل وراوندوز وكركوك وذكر شيئاً عن احوال بني قومه هناك وملخصه انه رثى لجهلهم بامور دينهم وندب حالهم الاجتماعية وما يقاسونه من الحيف والجور من سكان البلاد .

وآخر ما زار من مدن العراق البصرة وقال ان فيهـا خمسين بيتاً من اليهود وكان عددهم قبل عشرين سنة من زيارته ثلاثة آلاف بيت . ولا يخفى على القارئ مغالاة سائحنا في هذا العدد اذ ان السياح الذين نزلوا البصرة قبله لم يذكروا شيئاً عن هذا العدد الكبير من اليهود . وكان عدد سكان هذه المدينة في اوائل القرن التاسع عشر منحطاً .

***

ان الطوائف في الدولة جزء من الكل . فاذا سـارت الدولة في طريق الحضارة والعمران اخذت الطوائف نصيبها من تلك النهضة وفقاً لفطرتها واستعدادها ومنزلتها في المجتمع . وان للدساتير التي تضعها الدولة نفوذاً على مقدرات شعوبها وجماعاتها . فان قامت على اسس العدالة والمساواة والحرية رتعت تلك الجماعات في بحبوحة العز والرخاء وبذلت المجهودات في سبيل الرقي والمدنية . وجرت شوطاً كبيراً في ميدان الاعمال . ومن ذلك لما فكرت الحكومة التركية في اصلاح نظامها وقوانينها وشؤون ادارتها نال اليهود شيئاً كثيراً من الراحة والهناء في بلاد العراق . وكان اول من فكر في هذا الاصلاح السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧ — ١٧٨٩ م) . غير ان ما اتاه السلطان

محمود من ابادة الانكشارية سنة ١٨٢٦ كان من اكبر الخطوات في سبيل الاصلاح وتنظيم الادارة فان هذه الفرقة كانت قد تسيطرت على المملكة وانت اعمالاً رزح تحت ثقلها سكان البلاد على طول المملكة وعرضها . ولم يستثن العراق من ظلم الانكشارية بل كانوا كثيراً ما يجحفون بحقوق الاهلين هنا ويبتزون اموالهم ولاسيما اموال اليهود والنصارى وقد وقفنا على حادثة مدونة ترتقي الى اوائل القرن التاسع عشر (١٨٠٢) وهي ان الانكشارية جاروا في بغداد على هاتين الطائفتين في اليوم الرابع والخامس والسادس من ايلول تلك السنة (١) بطالبهم منهم دراهم تحت ستار ظلام الليل .

ولم يقف اصلاح الاتراك مملكتهم عند هذا الحد بل لما جلس السلطان عبدالمجيد على اريكة اجداده ورأى ان القوانين والنظامات المرعية في البلاد لا توافق روح الزمان وسير الحضارة والعمران تلا في ٣ نوفمبر ١٨٣٩ على مسمع من كبار الموظفين وممثلي الدول ذلك المرسوم الشهير المعروف بـ (خطي شريف كلخانة) وفيه من مرامي الاصلاح وصيانة الحرية الشخصية واحترام الملكية والمساواة ونظام ادارة الجماعات غير المسلمة وغير ذلك مما انعش البلاد وبث في القوم روح الرقي وان لم يعمل بكل ما حواه ذلك المرسوم الشهير .

واصدر السلطان عبدالمجيد سنة ١٨٥٦ م مرسوماً آخر لا يقل اهمية عن خط كلخانة وهو فرمان الاصلاحات او كما يسميه الاوربيون في كتبهم « خط همايون

(١) راجع مجلة لغة العرب آب ١٩١٤ ص ٨٠

لسنة ١٨٥٦ م (١٢٧٢ هجرية) وقد جاء في هذا المرسوم (الفرمان) نصوص جليلة في حقوق النصارى واليهود وادارة شؤونهم الشخصية وسلطة رؤسائهم الدينية وتدبير مؤسساتهم ومساواتهم في الحقوق العامة مع جميع سكان البلاد . واحكام عادلة في حرية التدين والتمذهب باي دين ومذهب كان (١)

وفي سنة ١٨٦٥ أسست جمعية الاتحاد الاسرائيلي مدرسة عامرة في بغداد عهدت رئاستها الى رجل خبير بفن التدريس وهو المسيو ماكس بمشارفة اسحق لوريون الساعاتي ونظمت منهجها على مثال المدارس الابتدائية الاوربية وادخلت فيها تعليم الفرنسية والانكليزية من اللغات الاوربية والعبرية والعربية والتركية من اللغات الشرقية . والتاريخ والجغرافية والحساب والطبيعيات وعلم الاشياء والكيمياء من العلوم الحديثة . واخذت هذه المدرسة بالتوسع ولاسيما بعد ان شيد لها داراً عامرة السر البرت داود ساسون . وما زالت ترتقي هذه المدرسة بالمساعي التي بذلتها جمعية الاتحاد الاسرائيلي في باريس والجمعية الانكليزية اليهودية في لندن واللجنة اليهودية في بغداد . فكان المديرون والمعلمون يأتون من باريس ولندن للتعليم فيها . وانزلتها الحكومة التركية منزلة المدارس الثانوية او الاعدادية على تعبير الاتراك .

وقد حبس لها الاوقاف اهل الخير من يهود بغداد ولا سيما الطيبة الذكر رفقة نورائيل وانشأ فيها قسماً مناحيم افندي دانيال .

وتخرج في هذه المدرسة معظم رجال اليهود في بغداد وتهذبوا فيها فنزلوا معترك

(١) احمد راسم : عثمانلي تاريخي المجلد الرابع الصفحة ٢٠٤٨ الفائدة ١٩١

الحياة وافادوا البلاد بجدهم واجتهادهم ولا سيما بالمساعي التي بذلوها في توسيع نطاق التجارة مع اوربة واميركة وبلاد الشرق كالهند والصين وايران .

وفتحت هذه المدرسة ابوابها لغير اليهود ايضاً ودرس فيها غير واحد من المسلمين والمسيحيين . واذ كنت (المؤلف) من المسيحيين الذين درسوا في هذه المدرسة في غضون خمس سنوات ١٨٩٨ — ١٩٠٢ في عهد مديرية الموسيو دانون والموسيو سياح وجب علي بسائق الاقرار بالجميل ان اشكر العناية التي بذلها لي المديران المومأ اليهما والمعلمون قاطبة واذكر الوداد الذي اظهره لي رفقائي التلامذة .

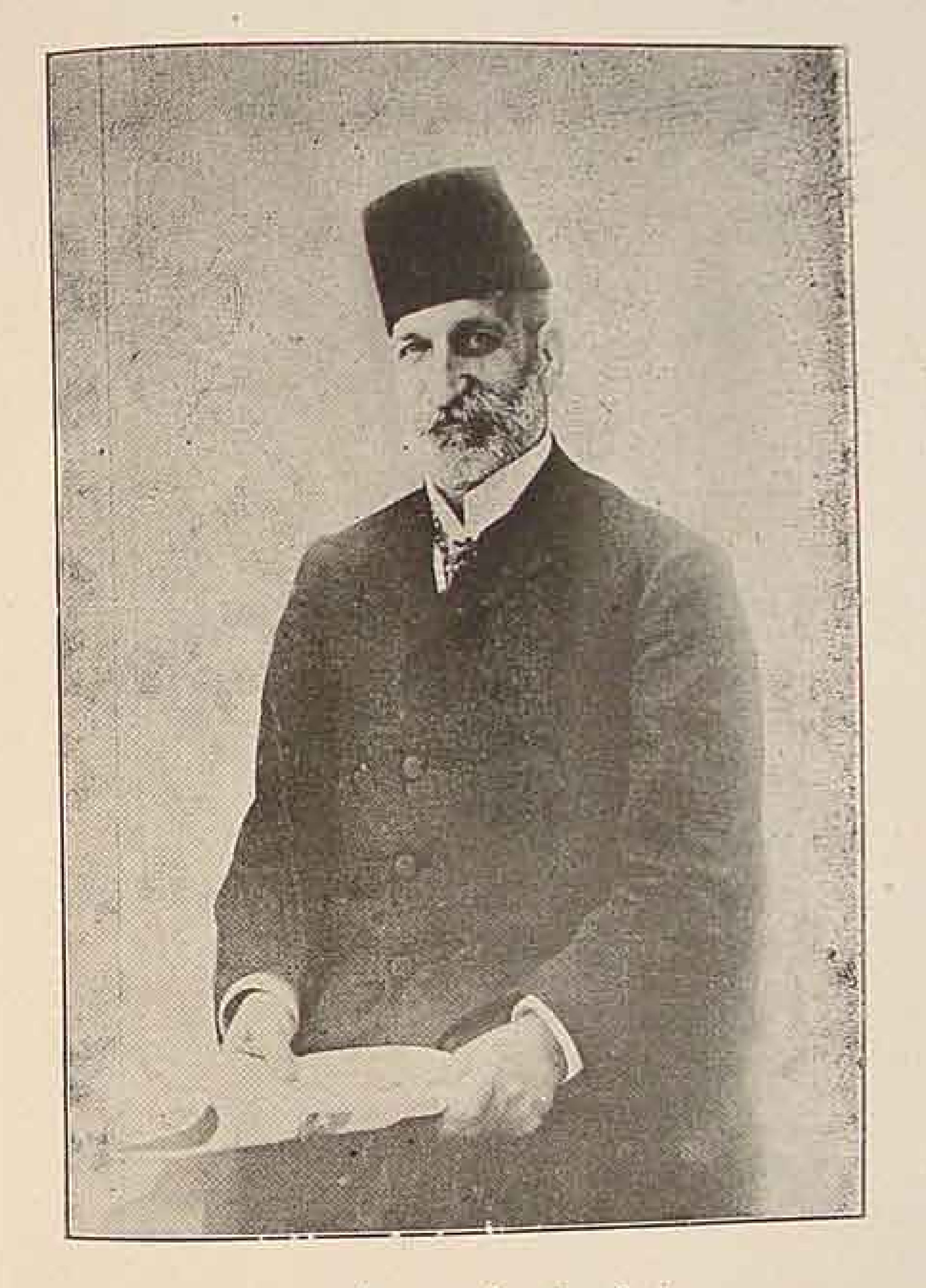
وفي سنة ١٨٩٣ انشئت جمعية الاتحاد الاسرائيلي مدرسة لتهذيب البنات .

ولم يقف اهتمام الجمعية الاتحاد الاسرائيلي بتهذيب يهود بغداد في العراق وحدها بل أنها انشأت سنة ١٩٠٣ مدرسة في البصرة وفي سنة ١٩٠٧ في الحلة وفي سنة ١٩٠٧ في الموصل وفي العمارة سنة ١٩١٠ .

وقصارى القول ان نوراً بهيئاً شرق على يهود العراق من تلك المعاهد العلمية التي اسستها جمعية الاتحاد الاسرائيلي في بلدان قطرنا المحبوب فاستوجبت شكر ان هذه الطائفة من رجال ونساء .

ومن ولاة بغداد الذين افادوا اليهود في العراق مدحت باشا ابو الاحرار . نزل بغداد سنة ١٢٨٥ هجرية (١٨٦٨ م) وبث فيها روح المساواة والحرية والعدالة . ونشط الاعمال الاقتصادية .

وكان لفتح ترعة السويس (١٨٦٩) شأن في امتداد تجارة العراق . فطمحت



حضرة مناحيم افندي صالح دانيل
رئيس عائلة آل دانيل الشهيرة في بغداد

بعد ذلك انظار يهود العراق الى فتح بيوت تجارية في اوربة ولا سيما في مانجستر ومرسيلية.

ولما فتح مجلس المبعوثين سنة ١٨٧٦ انتخب من يهود بغداد مناحيم افندي دانيال عضواً فسافر الى الاستانة وحضر جلساته.

وكان اليهود عائشين في حرية ولم يكدر صفاء حياتهم منذ ولاية مدحت باشا الا حادث واحد في سنة ١٨٨٩ م في عهد ولاية مصطفى عاصم باشا وهو حادث دفن الربان عبدالله سوميخ فان الطائفة ارادت دفنه في مقبرة يهوشوع كوهين كادول (نبي يوشع) ودفنته هناك بابهة عظيمة الا ان هذا الامر لم يرق في عيون سكان بغداد من العامة لانهم كانوا يدعون بملك هذا المقام. فاستفحل الامر وخيفت عاقبته فاضطر القوم الى نقل رفات فقيدهم من مرقده الى مكان آخر. والحق يقال ان عقلاء المسلمين وكبارهم توسطوا في الامر وسكنوا العامة فلم يحدث ما كان يحاذرون منه وهذه ميزة مسلمي العراق فانهم كانوا في كل حين يظهرون بهذا المظهر من الشمم مع اليهود والمسيحيين في المواقف الحرجة في زمن لم تكن البلاد قد تعودت مبادئ المساواة والديمقراطية.

ومن الولاة العثمانيين الذين يذكرهم اليهود باطيب الاحاديث المشير رجب باشا، فانه كان قائد الجيش ووالي الولاية. واظهر من التساهل والحلم والحرية ما سر له القوم كل السرور. وكان من اخص اصدقائه المعلم حاخام نسيم.

وقابل اليهود اعلان الحكومة الدستورية في الدولة العثمانية سنة ١٩٠٨

بهتاف الترحيب والفرح وقاموا بمظاهرات الارتياح. الا ان دعاة الرجعية حركوا العامة فحدثت فتنة في بغداد على اليهود في ١٧ رمضان من تلك السنة دامت بضع ساعات فخنقها اعيان المدينة في مهدها ولم تتركها الحكومة لتستفحل .

ان نظام الشورى في المملكة العثمانية والتغني بالحرية أثر على يهود العراق وعلى افكارهم ومبادئهم فاستثقلوا نفوذ ربانيهم عليهم من حيث الامور المدنية وقاوموهم في مسئلة الضرائب التي يتقاضونها من ذبح الغنم في اسواقهم (١) والف فريق منهم جمعية وانشأوا لها نادياً الا ان تلك الحركة ماتت في مهدها طفولتها لأنها لم توافق منفعة الجماعة

وانتخب ساسون افندي حاخام حسقيل للمجلس المبعوثين الذي عقد في عاصمة آل عثمان بعد اعلان الدستور . وتجدد انتخابه في دورات المجلس جميعها الى الحرب العامة . وكان ساسون افندي قد تقلب في مناصب الحكومة قبل الدستور وله خدمات جلى . وتعين في زمن كان مبعوثاً مستشاراً لوزارة التجارة في الحكومة العثمانية .

وبقي اسم ناظم باشا والي بغداد وقائد فيلقها حياً في ذاكرة يهود العراق لما لاقى القوم في ايامه من الحرية وحسن المجاملة ولهذا لما عزلته الحكومة العثمانية المركزية حزنت هذه الجماعة كل الحزن وانفذت البرقيات الى الاستانة تطلب بقاءه

(١) تتقاضى ادارة الربانيين في العراق ضريبة على اللحم الذي يباع في اسواق اليهود وتخصص هذه الضريبة بمنفعة الجماعة . وهذه عادة قديمة عند يهود العراق ذكرها ابن الاثير في حوادث سنة ٤٧١ هجرية (في الجزء التاسع الصحيفة ١٥٣ من الكامل)

في منصبه فلم تجب الحكومة ملتمسها .

وقد قام بين هذه الجماعة رجال خير شادوا المعاهد الخيرية . منهم منير الياهو شيد المستشفى الاسرائيلي الواقع قبال ثكنة الخيالة . وشيد السر اليعزر خضوري مكتب الاناث الاسرائيليات وهو بناء فخم وكان الانتهاء من تشييده سنة ١٩١١ فاقيمت حفلة تدشينه في ١٤ تشرين الثاني من تلك السنة . وحضرها احمد جمال بك (جمال باشا بعد ذلك) واغلب موظفي العسكرية والملكية والوجهاء وانفق عليه بانيه واحداً وعشرين الف ليرة عثمانية وجعل البناء على اسم قرينته لورا خضوري .

ولما شبت الحرب العامة سنة ١٩١٤ لاقت هذه الجماعة من الجور والحيف ما يشيب له الرضعان في المهد جزعاً . ولاسيما في عهد قيادة نور الدين فانه نفى عدداً من وجوههم ووجوه النصارى وبعض المسلمين العرب الى الموصل وكان في نيته ان يبعثهم الى درسم ويلحق بهم قوافل اخرى ولكن حالت دون رغبته بعض الاسباب .

واشتدت الازمة على اليهود في اخريات الحرب وكان يضيق معاون الوالي فائق ومدير الشرطة سعد الدين الخناق عليهم كل ما هبط سعر الاوراق المالية التركية وينسبان هذا الهبوط اليهم والى تلاعبهم بسعره. واجبرت الحكومة التجار على ان يبدلوا الليرة الورق بالذهب وعينت مقداراً على كل تاجر في كل شهر .

وقبضت الحكومة قبيل احتلال بغداد على عدد من اليهود ونكلت بهم سراً تنكيلاً شنيعاً وجدعت انوفهم وقطعت آذانهم وسملت عيونهم ثم وضعهم في اكياس

والقهم في دجلة .

مهما كان من ظلم الاتراك لليهود في ابان الحرب فان هؤلاء استفادوا من تجارتهم فائدة عظيمة واثرى كثيرون منهم لان مقاليد تجارة العراق بيدهم وكانت مخازنهم مشحونة بضائع فارتفعت الاسعار (١)

وأسس اليهود في عهد الاتراك مطبعتين الواحدة قديمة العهد وهي مطبعة بيخور والثانية انشئت بعد الدستور وهي « مطبعة دنكور »

وقد سبقنا وبحثنا عن ادارة الطائفة نقلاً عن بنيامين الثاني ص ٠٠ وقلنا ان لها مجلسين مجلس روحاني « بيت دين » اي بيت قضاء ومجلس جسماني (مجلس ملي) يؤلف بطريقة الانتخاب . ومدرسة دينية يتخرجون فيها الربانون . وعندهم عدد كبير من الكتاتيب تدرس فيها اللغة العبرية والكتاب المقدس والحساب .

ولهم مستوصف وصيدلية (رفوا) ولجان عديدة لجنة المدارس ولجنة الفقراء وغير ذلك .

(١) راجع كتابنا تجارة العراق قديماً وحديثاً ص ١١٤ وما بعدها

يهود اليوم

في الاحتلال البريطاني والحكومة العراقية العربية

شبه احد كتبة الانكليز دخول القائد العام مود بغداد في ١١ آذار سنة ١٩١٧ بدخول كورش بابل. فان الاهلين استقبلوا الفاتحين بالتهليل والترحيب(١) اذ اعتبروهما منقذين . اتى الاول بابل لخفف آلام الشعوب التي كانت ترزح تحت حكم السلالة العاشرة من ملوك الكلدان او الدولة البابلية الجديدة . وجاء الثاني بجيوشه الجرارة لما كان العراقيون قد استاؤوا من معاملة الاتراك ولاسيما في اخريات ايامهم اذ كانوا يرمون الى الاجحاف بالعناصر المختلفة العائشة تحت سيطرتهم . وقد تجلت وحدة العراقيين القومية على اختلاف اديانهم وتباين مذاهبهم بابهى مظاهرها في تلك المواقف العصيبة. ولا عجب في الامر فان العراقيين عاشوا قروناً متحدين متحابين لا تفصلهم فواصل الدين الا في فترات صغيرة لا يعتد بها وفي ازمنة ساد فيها الجهل .

ان احتلال البريطانيين العراق نشط بادئ بدء الوسائل الاقتصادية فربح الناس اموالاً طائلة واذ كان معظم التجارة بيد اليهود أثرى كثيرون منهم . وقد اسهبنا في البحث عن العوامل التي نشطت التجارة في كتابنا تجارة العراق فلا نرجع اليها الان.

لم يحدث في عهد الاحتلال البريطاني حوادث مهمة تخص اليهود الا ما ذكرناه .

(١) راجع R. C. Thompson: History and Antiquities of Mesopotamia 29

ولا يسعنا ان نضرب صفحاً في هذا المقام عن الالماع الى راحة هذه الجماعة في البلاد في عهد ثورة العراق لسنة ١٩٢٠ فان الرجال الذين قاموا بتلك الثورة لم يمسوا الوطنيين من اي معتقد كان بأذى ما . اذ انهم عرفوا معنى الروح القومي . وهذا اسطع شاهد على ان شعار العراقيين « الوطنية » .

ولكي تقف على عدد اليهود في القطر العراقي ننشر هنا احصاء لهذه الجماعة استللناه من احصاء نشرته حكومة الاحتلال لسنة ١٩٢٠ ولم يصدر غيره حتى اليوم.

عدد يهود العراق

منطقة بغداد		منطقة الموصل		منطقة البصرة	
بغداد	٥٠٠٠٠	الموصل	٧٦٣٥	البصرة	٦٩٢٨
سامراء	٣٠٠	اربل	٤٨٠٠	العمارة	٣٠٠٠
ديالى	١٦٨٩	كركوك	١٤٠٠	المنتفق	١٦٠
كوت الامارة	٣٨١	السليمانية	١٠٠٠		١٠٠٨٨
الديوانية	٦٠٠٠		١٤٨٣٥	المجموع	٨٧٤٨٧
الشامية	٥٣٠				
الحلة	١٠٦٥				
الدليم	٢٦٠٠				
	٦٢٥٦٥				

وبعد ان عرفنا عدد اليهود في العراق يجدر بنا ان نورد شيئاً عن مدارسهم وعدد التلامذة فيها ويسرنا ان ننقل هنا جدولين الواحد اخذناه عن نشرة جمعية الاتحاد الاسرائيلي لسنة ١٩١٠ والثاني عن تقرير لجنة مشارفة المدارس الاسرائيلية :

احصاء تلامذة مدارس يهود العراق بادارة جمعية الاتحاد الاسرائيلي سنة ١٩١٠

المدينة	جنس المدرسة	عدد التلامذة
بغداد	ذكور	٩٤٥
«	اناث	٤٢٩
«	مدرسة نورثيل	٢٥٥
«	مدرسة الاطفال لمناحيم دانيال	٢٤٨
البصرة	ذكور	٢٨٥
الموصل	«	٢٠٤
الحلة	«	١٧٥
العمارة	«	١٧٨
		٢٧١٩

تقرير لجنة المشارفة عن سنة ١٩٢٠_١٩٢١ في بغداد

المدرسة	ذكور	اناث	مجموع عدد التلامذة
البير ساسون	٥٦٠	٠٠	٥٦٠
لورا خضوري مع مدرسة الاطفال	٠٠	١٠٧١	١٠٧١
رفقة نورثيل	٣٢٧	٠٠	٣٢٧
هارون صالح	٣٢٤	١٣٥	٤٥٩
غان	١٠٠	٢٧٥	٢٧٥
تعاون	٤١٩	٠٠	٤١٩
مدراش	٢٣٠٠	٠٠	٢٣٠٠
	٤٠٣٠	١٤٨١	٥٥١١

وننشر هنا بعض الارقام المأخوذة من تقرير وزارة معارف العراق عن سنتي ١٩٢١ و١٩٢٢ يظهر عدد التلامذة الاسرائيليين في المدارس الابتدائية الرسمية والاهلية في العراق.

	١٩٢١	١٩٢٢	
المدارس الاهلية	٣٨٨٨	٣٨٥٣	المجموع
المدارس الرسمية	٤٢٨	٥٩٢	
	٤٣١٦	٤٤٤٥	

تنبيه — ان الفرق الظاهر بين عدد التلامذة الاسرائيليين في تقرير وزارة المعارف للعراق وتقرير لجنة مشارفة المدارس الاسرائيلية ببغداد ناشئ من ان وزارة المعارف لاتعتبر بين المدارس الابتدائية مدرسة الاطفال والغان وهارون صالح ورفقة نورئيل وغيرها . ويسرنا في هذا المقام ان نذكر تبرع الخواجة اليا شحمون لبناء مدرسة التعاون وان مناحيم افندي دانيال يقوم بنفقات مدرسة الغان . وعلى ذكر رجال الخير من الشعب اليهودي العراقي لايحق لنا ان نسكت عن اريحية الخواجا كورجي شنطوب الذي تبرع وشيد بيعة في البصرة للارمن الكاثوليك احياء لذكر امرأته التي كانت على الدين المسيحي في حياتها وموتها فتلك مأثرة تسطر في التاريخ كما دونت أخبار السموال ووفائه .

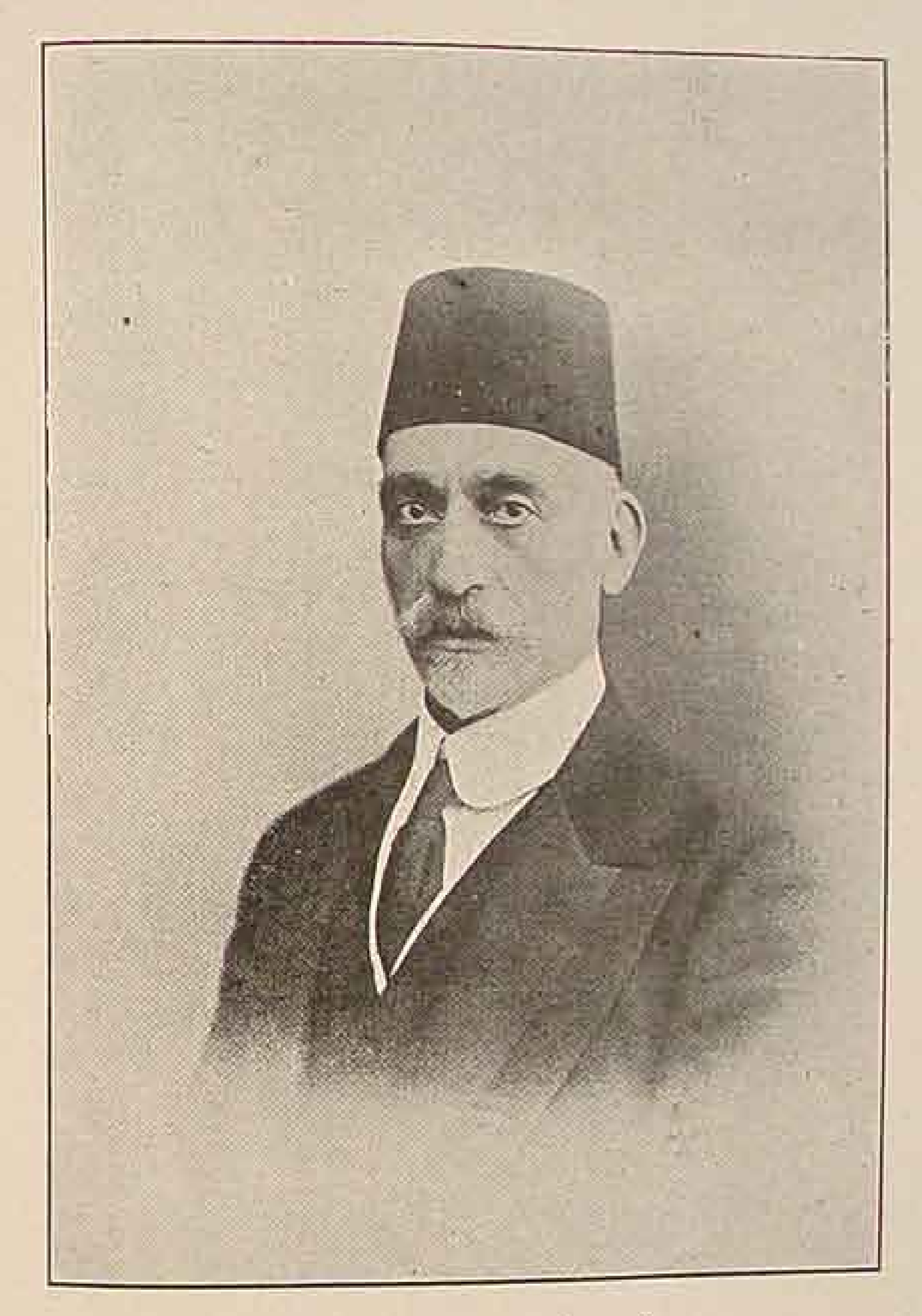
لم يحدث في تاريخ يهود العراق في هذه الحقبة حادث جلل الا تعيين معالي ساسون افندي حاخام حسقيل وزيراً للمالية في حكومة العراق الوقتية التي تألفت في ١٣ كانون الثاني ١٩٢٠ ثم تجدد تعيينه في كل من الوزارات التي عقبت تبوؤ جلالة الملك فيصل عرش حكومة العراق حتى ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٣ وفي غضون هذه السنة انعم عليه جلالة ملك بريطانية بوسام .K. B. E فاصبح بتقلده هذا

الوسام السر ساسون حسقيل . Sir Sassoon Heskel وقلده المندوب السامي السر هنري دوبس الوسام في ٤ كانون الاول في حفلة كشف الستار عن تمثال القائد العام الجنرال مود .

ومن اجل الحوادث التي يدونها المؤرخ في تاريخ يهود العراق هي تلك الحفلة الشائقة الفذة في بابها التي اقامتها جماعة اليهود في بغداد ترحيباً بسمو الأمير فيصل قبل ان يبايعه العراقيون الملك . اقامت الجماعة ذلك المهرجان في ١٨ تموز ١٩٢١ وحضره سمو ضيفنا بالامس وجلالة ملكنا اليوم واشترك بتلك المظاهر اعيان العراق وعلماؤه وادباؤه على اختلاف نحلهم وتباين مللهم والقيت فيها خطب الترحيب لجلالة ملكنا فيصل الاول وابدع خطبة تليت هناك خطبة جلالته . جاء فيها من المبادئ الديمقراطية آيات بينات ومن الفاظ الحرية ماسحر القلوب وخلب الالباب ومن مواعيد المساواة ما كان اندى من زلال الماء على الافئدة ، ومن روح التساهل مارقص له القوم وطربوا . ثم جاء الاسرائيليون بالتوراة مكتوبة على درج من الرق مصوناً في غلاف من ذهب فلثمها جلالته .

***

بعد ان بلغنا في تاريخ اليهود الى يومنا هذا علينا ان نرصد كلمة عن أسر صفوة القوم فقد جاء في كتاب « عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد » تأليف السيد ابراهيم فصيح ابن السيد صبغة الله الحيدري لسنة ١٢٨٦ هجرية ص ٢٢٠ وهو كتاب خط : ان من بيوت يهود بغداد القديمة من ذوي التجارة والرئاسة على



صاحب المعالي وزير المالية الحالي
حضرة السر ساسون افندي

قومهم . بيت عزره صراف باشي ، وبقي منهم البعض . ومنهم بوضة السوميخ . بيت ساسون . بيت ابي فبلاغ . بيت بحر . بيت الكرجي « انتهى » كلام الحيدري .

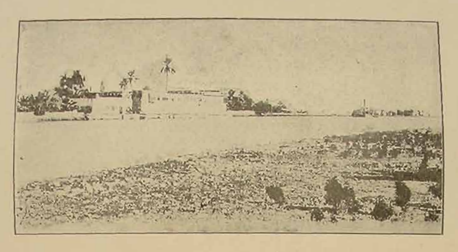
ومن مشاهير بيوتات يهود بغداد اليوم اسرة دانيال واسرة خاخام حسقيل وبيت المعلم الياهو واسرة زلوف واسرة شلومو داود واسرة اسحيق ، وطويق ، وعاني ، وبيخور وشماش .

وبين هذه الجماعة رجال من كل الطبقات والمهن بينهم التاجر والصيرفي والدلال والمحامي والطبيب ومن موظفي الحكومة الوزير والعضو في المحاكم العدلية ومجالس الادارة وغير ذلك ومن اهل الصنائع الحداد والنجار والبناء والاسكافي وقصارى القول ان يهود العراق يتعاطون كل المهن الا انك لا تجد بينهم من حملة الاقلام واصحاب المجلات والجرائد وسبب ذلك ان اليهودي يرمي الى ما به نفعه وسوق التأليف والكتابة كاسدة في ديارنا فانهم في هذا الباب يتبعون المثل اللاتيني القائل عش اولا ثم تفلسف .

وآخر حسنة اعدها ليهود العراق انهم يشعرون بان البلاد وطنهم وبأن الحكومة العربية العراقية هي الحكومة التي يجب عليهم معاضدتها ويتوقون ان يروها عزيزة الجانب ثابتة الاركان .

وفوق ذلك كله يبذلون ما في وسعهم كالمسيحيين ليعيشوا مع ابناء وطنهم المسلمين في الاخاء الوطني ويحافظوا على تلك الصلات الجميلة والعلاقات المتينة التي جمعت العراقيين في كل قرن جامعة الوداد والولاء . فالعراق يفتخر بهذه الوحدة الوطنية وتسعى كل نحلة وملة لتكون هذه الوحدة متينة العرى مجدولة القوى .

☘



مرقد العزير على نهر دجلة

المزارات الدينية اليهودية
في
العراق

لليهود في العراق امكنة مقدسة قديمة يؤمها اهل التقى من هذه الجماعة من اطراف العراق وكردستان وبلاد فارس للزيارة والتبرك وطلب شفاعة الانبياء والصالحين ممن يعتبر التقليد مدافنهم في هذه المعاهد . واشهر مزارات اليهود في العراق ١ً : قبر عزرا الكاهن ٢ً : مدفن حزقيال النبي او الكفل ٣ً : مرقد يوشع كوهين كادول ٤ً : مرقد الشيخ اسحق الغاووني ٥ً : قبر ناحوم الألقوشي .

١ً قبر عزرا الكاتب او العزير

يقوم هذا المعهد الديني اليهودي في بقعة من الارض على عدوة دجلة اليمنى بين القرنة والعمارة على مقربة اثنين وعشرين ميلا من ملتقى الرافدين حيث تكثر المستنقعات وتتوفر القصباء والحلفاء . هناك في تلك الخلوة البعيدة عن ضجيج الناس وقلاقل المدن . هناك حيث يسود السكون والهدوء تجري دجلة متعرجة وملتوية حاملة بين امواج مياهها من ذكرى التاريخ ابدعها ومن عبر الايام اوقعها في النفوس . هناك تجمل تقاليد يهود العراق مرقد عزرا الكاتب : كاتب الشريعة ورائد بني اسرائيل في رجوعهم الى مسقط راسهم وبيت عزهم وقدس اقداسهم . وتحف بالمقام اشجار النخل الباسقة التي تهديه آيات السلام وشعائر الاحترام

اختلف ثقات المؤرخين في مدفن هذا الرجل الامام ومحل وفاته فمنهم من قال انه دفن في عورتا من اعمال نابلس (١ . ومنهم من قال انه قبر في زمزومو Zamzumu) في اسفل دجلة بينما كان مسافراً الى بلاد فارس (٢ واثبت غيرهم انه لحد في اورشليم (٣ وربما كانت هذه الرواية على شيء من الصحة . الا ان تقليد اليهود في العراق وتواتر روايات المؤرخين والرحالين من غيرهم يعتبران مدفنه في العراق حيث يزوره بنو قومه .

اما نحن فلا نبت في هذه المسئلة التاريخية المتوغلة في القدم بل ندع الاهتمام بها الى الاثريين الاختصاصيين والمنقبين البحاثين اذ ربما توصل واحد منهم الى اماطة اللثام عن هذه الحقيقة التاريخية الكتابية وجل قصدنا في كتابة هذا الفصل ان ننقل اقدم النصوص الواردة في كتب التاريخ عن المزار العراقي اليهودي ووصفه .

ان ياقوت ذكر مدفن عزرا في اعمال نابلس على ما مر بك بيد انه ذكره ايضاً في محله في اعمال بصرة العراق في موضعين من معجم البلدان في مادتي ميسان ونهر سمرة واليك ما جاء عنه في كل منهما :

جاء في مادة ميسان : «اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان . . . . وفي هذه الكورة قرية فيها قبر عزرا النبي عليه السلام مشهور معمور يقوم بخدمته اليهود ولهم عليه وقوف وتأتيه النذور وانا رأيته »

(١) معجم البلدان مادة عورتا (٢) Sir E. A. Wallis Budge: By Nile and Tigris, vol I, P. 17 (٣) يوسيفوس . كتاب العاديات الفصل الحادي عشر العدد الخامس

وجاء في مادة نهر سمرة : «قرية فيها قبر العزير النبي عليه السلام في ارض ميسان»

وقد ذكر القزويني (١ من رجال القرن الثالث عشر للمسيح مشهد عزير النبي وهو يكرر كلام ياقوت بالحرف في كتابه آثار البلاد .

وقد زاره في القرن الحادي عشر الرحالة بنيامين التطيلي . ومما يؤسف له ان في اخبار هذه الرحلة التي نشرها آشير قد سقط اسم المكان الموجود فيه هذا المزار فورد كلامه على هذه الصورة مبتوراً قال : «ان مدفن عزرا الكاهن والكاتب واقع في . . . حيث دهمه الحمام بينما كان مسافراً من اورشليم الى الملك ارتحششتا وحيث يأتي اليهود للصلوة ايام الاعياد (٢ »

وقد ذكر هذا المزار يهوذا الحريزي الذي زاره في اوائل القرن الثالث عشر وقال عنه في رحلته التي بدأها سنة ١٣١٧ م في الفصل الخامس والثلاثين منها ما ملخص تعريبه : انه غادر بلاد اسبانية وسافر في البحر وكانت قبلته بلاد الكلدان قرب شوشن وعلى مقربة منها موضع يدعى سمدا (وربما صحيحه نهر سمرة) وبالعبرية اهوا (٣) فعلى

(١) اطلب طبعة غوتنجن سنة ١٨٤٨ (ص ١٣٠)

(٢) راجع M. Edouard Charton: Voyageurs Anciens et Modernes. II, 188

(٣) اعتماداً على هذا النص نشر حضرة الاب انستاس الكرملي فصلاً في ١١ كانون الثاني ١٩٢٠ في وضيعة دار السلام البغدادية رجح فيه توحيد نهر سمرا ونهر اهوا الوارد ذكره في سفر عزرا (٨ : ١٥ و ٢١ و ٣١) مخطئاً رأي من سبقه من العلماء الكتابيين في موضع اهوا . او نهر اهوا .

بعد ثلاثة فراسخ من هذا المكان تقريباً قبر عزرا الموجود منذ عهده الاول اي منذ بناء الهيكل الثاني الى نحو السنة الالف من الاسر . وكان بعد انقضاء هذا العهد العهيد عبارة عن كومة اطلال ولم تسمح تلك الدوارس لرائيها الوقوف على شيء من ذلك الأثر . وقد علمنا من اناس كثيرين انه منذ ١٦٠ سنة اوحي الى احد الرعاة موضع رمس هذا الملك الالهي وتكررت هذه الرؤيا ثلاث او اربع مرات . وقد ايد قدرته بشفاء عين الراعي فاعاد اليه بصره . وعلى اثر ذلك دعا الراعي سكان تلك البقعة وروى لهم حلمه وعين المكان الذي فيه القبر وتأييداً لصحة مروياته قص عليهم خبر شفائه العجيب . وعندما الح عليهم كل الالحاح حفروا الارض فوجدوا صندوقاً من حديد محفوظاً في تابوت آخر مسدود ومختوم وفيه كتابة لم يتمكن من قرائتها القوم . فتقدم احد علماء اليهود وفك طلسمها وقرأ فيها اسم عزرا واسماء اجداده الى هرون الكاهن العظيم . وكانت تشاهد احياناً انوار فوق ذلك القبر المحاط بقبور سبعة صالحين آخرين » وقد حاول كثيرون من الدهريين ان يتخذوا تلك المعجزة حادثة غريبة من الحوادث الجيولوجية او يعتبروها انفجاراً ارضياً منبعثاً من اطمة او ينبوع قطران تشتد ناره ليلاً (١) . وقد شاهدت هذه المعجزة بعيني وسجدت امام هذا المظهر من مظاهر العناية الالهية (٢) . اه

١) اشار الكاتب الى النار التائهة التي يدعوها الفرنسيون (feu follet) وتشاهد في المستنقعات والمقابر وقد ضل كثيرون في تعليلها فانزلوها منزلة المعجزة وما هي الا من مظاهر الطبيعة ٢) راجع Archives de l' Orient Latin, I, 237

وقد وصفه ريج (Rich) (١) في بدء القرن التاسع عشر وصفاً دقيقاً قال :

« هو بناء يشبه جامعاً يقوم على لسان بارز في النهر . وقد نشأ هذا اللسان من دورة تدورها دجلة هناك حيث تلتوي كل الالتواء . وقد التف حول المكان عدد من الاعراب يسكنون قريةً بيوتها من القصب . وموقعه في الجانب الايمن من النهر محاط بجدار وحصون والقبة مغشاة باجر اخضر مطلي بدهان الخزف (يريد الواصف بهذا الاجر القاشاني المشهور في العراق) يعلوها زينة من نحاس اصفر تمثل كفاً مفتوحاً تحيط به اشعة جلال . وبعد ان جزنا الباب رأينا ساحة دار صغيرة ثم بلغنا قاعةً فسيحة مظلمة فيها طيقان تسندها كوم مربعة من الآجر (اي اعمدة مربعة من الآجر) مجردة من كل زينة . ومن هنا جزنا باباً منخفضاً افضى بنا الى غرفة مردع فيها من هو موضوع احترام اليهود الديني . ان سقف الغرفة معقود وفيها نوافذ صغيرة مشتبكة بالحديد مرتفعة كل الارتفاع . والغرفة مبلطة بآجر ابيض واخضر مرصوفاً رصفاً متناوباً . وفي روزنة صغيرة قنديل موقد .

« يقوم القبر في منتصف الغرفة وهو مستطيل الشكل منحرف السطح معمول من الخشب ومسجى بمخمل اخضر وطوله ٨ اقدام وعرضه ٤ اقدام وارتفاعه ٦ اقدام وبينه وبين كل طرف من اطراف الغرفة ٣ اقدام . وكانت زواياه واعلاه مزدانة بكرى كبيرة من النحاس الاصفر المذهب . وقد اخبرنا الاعرابي الذي طوفنا

١) ان المستر ريج (Rich) كان قنصلاً انكليزياً في بغداد سنة ١٨٠٨ راجع كتابه : Residence in Koordistan, II. p. 389

ان الذي اقام البناء الحاضر قبل نحو ثلاثين سنة هو خوف يعقوب Khoph Yacoob (ربما اراد الكاتب ان يقول خوجه يعقوب او خلفة يعقوب) » (١)

ولا يخلو من فائدةٍ ذكر الوصف الذي وصفه به الرحالة بنيامين الثاني قال: « وبعد انحدار ثلاثة ايام في دجلة يقوم على عدوة النهر بناء مربع في منتصف فلاةٍ فيه قبر العزير ويحيط بالبناء بعض دور صغيرة . واما البناء عينه فمؤلف من غرفتين كبيرتين متنافذتين تخص الاولى منهما المسلمين والثانية مع القبر اليهود . وهناك عتمة حالكة يقاطعها نور ضئيل يأتي من الباب . وفيها مصطبة طولها ١٩ قدماً وعلوها عشر اقدام وعرضها ست اقدام . وعلى اطرافها الاربعة كتابة لا تقرأ اليوم وهي مسجاة بقماش ثمين مزركش ومحلى بالذهب . ويزوق الغرفة زين كثيرة نفيسة ولا يخشى بتاتاً على سلامة تلك الكنوز وان كان موقع المزار في وسط بيداء تحيط بها عشائر البدو . . . وقد كان قبر عزرا موضوع بحثي وتنقيري اذ ان الكتاب لا يذكر موته ولا محل دفنه فخامرني شك في حقيقة هذا الجدث الا اني رغماً عن ذلك تأكدت الامر من مطالعتي كتاب « سدر هدروث » وغيره من الكتب التاريخية . .

(١) قد مر في ص ١٦٥ من هذا الكتاب ان ريج سمى هذا الرجل خوف يعقوب . الا انني وقفت على رجل اشهر بين يهود البصرة يسمى يعقوب هرون وجد في اثناء حرب الايرانيين والاتراك سنة ٥٥٣٢ عبرية . صار صيرفياً لسليمان باشا في بغداد فمن المحتمل ان يكون هو الذي عناه ريج .

ان كتاب « سدر هدروث » لا يصرح بموضع الدفن ولهذا تمسكت بالتقليد اذ لم اقف على شيء اصح منه بعد البحث المدقق فيه .

« وتحتفل جماعة من يهود بغداد والبصرة بعيد الاسابيع (شبيعوت) عند قبر عزرا فيشتركون بالحفلات التقوية . ويعرف العرب غاية تلك الزيارات ولا يقيمون عقبات في سبيلها » (١ (انتهى) .

وقد زرت (كاتب هذه المقالة) هذا المرقد سنة ١٨٩٣ فكانت ترد اليه جماعات اليهود من كل اطراف العراق للتعفر بثرى رفات الراقد الصالح وزيارة ضريحه في عيد الاسابيع فيدخلون غرفة الجدث وهم حفاة حرمةً للمكان ويوقدون قناديل اكراماً للمدفون هناك ويطوف القيم الزائرين فينفحونه بحلوان . ومن اقسام البناء دار قوراء فيها غرف عديدة لضيافة زائري المكان من اليهود وللسكنى فيها مدة اقامتهم هناك . وقد نكب بعد زيارتي المذكورة ببضع سنوات زوار هذا المعهد نكبة احزنت القوم اذ هوى قسم من بناء المنزل فمات عدد منهم تحت الردم ورضت اعضاء غيرهم . ولكن جماعة اليهود جددت ذلك البناء واحكمت أسسه (٢

وقد جرى حول هذا المعهد معارك بين البريطانيين والاتراك في ربيع سنة ١٩١٥ ولكنه لم يصب باذى بل غاية ما كان ان اليهود لم يتمكنوا من القيام بزيارة العزير كل مدة الحرب .

١) راجع Sidney Mendelssohn: The Jews of Asia, P. 199-200

٢) عن مذكرتي

ومن مقابلة كتابات الرحالين المختلفة على توالي الاعوام يقف القراء على تطور ذلك البناء مع الزمان . وآخر وصفٍ ننقل منه نتفةً للقراء يظهر حالة المعهد في ايامه الاخيرة . والوصف المذكور نشر في شهر تشرين الاول سنة ١٩١٧ في مجلة انكليزية (١ قال الكاتب : ان مساحة الغرفة تبلغ نحو ثلاثين قدماً مربعة وجدرانها بيضاء مزينة بكتابات ونقوش عربية (٢ ملونة بالازرق الباهر والاصفر والاحمر مما يبهر النظر وارضها مبلطة بقطع من الرخام الملون وفي زواياها (اي زوايا القطع) مربعات صغيرة من الصخر الاسود او الرخام (٣ وفي وسطها القبر ، مساحته ٥ في ٧ في ١٥ قدماً . انتهى .

****

٢ مدفن النبي حزقيال او الكفل

على بعد عشرين ميلاً من جنوبي الحلة تشاهد قرية الكفل وفيها مدفن حزقيال النبي . واسمه عند العرب الكفل وورد ذكره في الفرقان « واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار » (سورة ص) وفي الآية القائلة « واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين » (سورة الانبياء) . وقيل سمي الكفل لأنه كفل شعب اسرائيل بالنجاة من اسر البابليين .

١) راجع Blacwood's Magazine, October 1917, P. 538

٢) ان الصفة العربية ترجع الى النقوش فقط وكلتا الكلمتين ترجمة arabesques

٣) ان بلاط الغرفة هو القاشاني الملون فليس هناك رخام ولا صخر كما توهمه الكاتب

اما قرية الكفل الحالية فيقال انها في موقع مدينة بلاشكر (Vologasias) التي ابتناها احد ملوك البرثيين في اوائل النصرانية سنة ٦٠ بعد المسيح لأستجلاب التجارات والبضائع من اقاصي الهند والشام وآسية الصغرى .

وغلب التقليد على ان هناك قبر حزقيال النبي وقد قال القديس ابيفانوس ان قتل حزقيال كان على يد رئيس امة اليهود اذ اغتاظ من النبي بما كان يندد به ثم دفن في المغارة التي دفن فيها سام وارفكشاد من اجداد ابراهيم .

وكان العلماء والسياح في القرون الوسطى يشيرون الى قبره بين الفرات والخابور . قال بنيامين التطيلي الذي زاره في القرن الثاني عشر ما ترجمته : يقوم كنيس النبي حزقيال الراقد بسلام على عدوة الفرات . في صدر الكنيس ستون برجاً والغرفة التي بين كل برج وثانٍ من تلك البروج اتخذت كنيساً . ويستقر في فناء اوسع واحدٍ منها الناووس وهو مدفن حزقيال بن موسى الكوهيني . هذا الاثر مسقف بقبةٍ عظيمةٍ وبناؤه جميل كل الجمال شاده يهوياكيم ملك اليهود والـ ٣٥٠٠٠ يهودي الذين رافقوه لما اطلق سراحه ابل مرودخ . وموقعه بين نهر الخابور ونهر آخر . ويقرأ على الجدار اسم يهوياكيم واسماء الذين كانوا معه وفي رأسها اسم الملك وفي آخرها اسم حزقيال .

يعتبر هذا المكان مقدساً حتى اليوم ويتردد اليه الناس من اقاصي البلاد للصلوة والدعاء ولا سيما في رأس السنة وفي عيد الكفارة وتقام هناك الافراح في تلك الايام ويقصد المكان رأس الجالوت ورؤساء مدارس بغداد . وقد تبلغ الجماعة عدداً عظيماً

حتى ان سكنهم الوقتي في ذلك المكان يمتد الى عشرين ميلاً في منبسط من الارض . ويجذب الباعة العرب فيقيمون سوقاً هناك .

ويقرأ في يوم الكفارة فصول من اسفار موسى الخمسة وذلك في كتاب خط كبير كتبه حزقيال بيده .

ويوقد قنديل على قبر النبي ليلاً ونهاراً ولايزال ذلك القنديل متقداً منذ ان اوقده بيده اول مرة وتبدل الفتائل والزيت كل ما دعت اليه الحاجة .

هناك دار تعود الى المعبد تضم بين احنائها مجموعة من الكتب كثيرة العدد منها قديمة ترتقي الى عهد الهيكل الثاني ومنها تتعدى ذلك التاريخ وتتصل بزمن الهيكل الاول وقد جرت العادة ان من يموت بلا عقب يوقف كتبه على المعبد ولا يجسر احد من اليهود او من المسلمين ان يسلب مرقد حزقيال او يدنسه حتى في ايام الحرب .

وقد ورد ذكر هذا المزار في معجم البلدان في مادة بر ملاحة قال ياقوت : « موضع في ارض بابل قرب حلة دبيس بن مزيد شرقي قرية يقال لها القسونات بها قبر باروخ استاذ حزقيل وقبر يوسف الربان وقبر يوشع وليس يوشع بن نون وقبر عزرة وليس عزرة بناقل التوراة الكاتب والجميع يزوره اليهود وفيها ايضاً قبر حزقيل المعروف بذي الكفل يقصده اليهود من البلاد الشاسعة للزيارة .

وورد ذكره مرة ثانية في الكتاب عينه في مادة شوشة : قرية بارض بابل اسفل من الحلة بها قبر القاسم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق وبالقرب منها قبر ذي الكفل وهو حزقيال في بر ملاحة » . وفي حوالي هذا الزمن زاره الشاعر اليهودي

الشهير يهوذا الحريزي ونظم قصيدة في وصفه .

وجاء ذكر هذا المزار في رحلة بتاخيا ص١٧٩ وقال ان اليهود يجتمعون فيه من رأس السنة الى يوم الغفران (الكبور) . وتكلم عنه السائح بدرو تكسيرا ومما قال انه بناء فخم وفيه برج شاهق وهناك رفات النبي المقدس حزقيال ويحترمه الجميع كل الاحترام .

وفي سنة ١٧٦٦ زاره الرحالة نيبهر واليك ما جاء في رحلته عن وصفه قال : سافرت في اليوم الخامس والعشرين من شهر كانون الاول من مشهد علي وعلى اربعة فراسخ ونصف الى الشمال نزلت الكفل ومثل تلك المسافة الى الشمال الشرقي يصل المسافر الحلة . ولهذا فان المسافة بين المدينتين تسعة اميال او سبعة اميال المانية .

نقتطف هنا بعض نتف مما جاء عن الكفل « يأتي كل سنة الوف من اليهود لزيارة القبر حتى اليوم وليس لمزار هذا النبي شيء من الكنوز او الفضة او الذهب او الحجارة الكريمة . ولو شاء اليهود ان يهدوا مثل هذه الهدايا لما تركها البدو ولهذا يقنع القوم بزيارته . وفي معبد النبي القائم تحت برج لا يرى غير قبر محاط بجدار . فان صاحب المكان او حارسه (او قيم المزار) بيت من العرب ولهم جامع صغير لطيف وبه منارة . . يربح هذا البيت العربي شيئاً كثيراً من الزوار الذين يقصدون المكان .

ان قبر حزقيال والجامع والقليل من مساكن العرب الحقيرة محاطة بسور مكين يربو ارتفاعه على ثلاثين قدماً ويبلغ محيطه نحو ١٢٠٠ قدم . وزعم ان سليمان احد

يهود الكوفة هو الذي قام بانشائه في اول الامر . (وللزيادة راجع ص١٦٤ و ١٦٥ من هذا الكتاب) .

ووصف هذا القبر لوفتس (Loftus) في سنة ١٨٥٣ هكذا : يقوم المزار من دارين معقودتي السقف . فسقف الدار الخارجية يستند الى اعمدة ضخمة اما المزار فهو صندوق كبير وقديم الايام طوله عشر اقدام وعلوه اربع اقدام ومزين بشيت انكليزي وبعض اعلام حمراء وخضراء . ويزين السقف المعقود ادراج ذهب وفضة وقد بني في احدى زواياه اسفار موسى الخمسة بالعبرية ويظن ان حزقيال النبي كتبها بيده . وهناك قنديل موقد ليلاً ونهاراً ويقال ان حزقيال بنفسه اوقد ذلك القنديل وبقي على تلك الحال منذ ذلك العهد ويغيرون الزيت والفتائل كلما دعت الحاجة اليه .

ووصف هذا المزار بنيامين الثاني فقال ما ملخصه : ان في بلدة الكفل بناء حوله سور وفيه قبر النبي حزقيال مغشى بسجادتين وبقماش مشغول بالابرة ومطرز ذي قيمة . ولم يكن القبر مسوراً بادئ بدءٍ بل ان الملك يهوياكيم بنى السور بعد ذلك وساعده بضعة الوف من اليهود . وعمل فيه ابراجاً كأنه معقل . وكان يحيط باعلى برج منها رواق اتخذ اساساً لبناء يشبه جامعاً . وفي داخله سلم ملتوٍ عالٍ يصعد به الى قمة البرج . ومن هناك يشاهد الانسان بعينه برج بابل منتصباً كالجبار في البعد . وفي برج الكفل اختراع غريب يحمل السكان على الاعتقاد بان هناك اعجوبة خارقة الطبيعة . وهو ان رافدة من خشب او عمود يجتاز البرج من الجانب الواحد الى جانبه الآخر . وكلا رأسيه ينفذ من طرفي الرواق . فان هز هذا العمود بعنف يشعر بحركة ارتجاج

في القسم الاعلى من البرج او على معتقد السكان ان الانسان يجب ان يقول آنئذٍ هذه الالفاظ بمقام رقية « بشم ملكا شالوم وآزانو » ومعناها باسم سليمان الملك وتاجه » فان غفل عن قولها تصيبه داهية دهماء . وقد حاولت ان اقنع اخواني ان لا اعجوبة هناك على ما يتوهمون بل ان الاهتزاز ناشئ عن لولبٍ مخفي في البناء او احدى القطع الميكانيكية ولكني لم اتمكن من ازاحة هذا الاعتقاد الخرافي عن اذهانهم .

في هذا المكان قبر النبي حزقيال وعليه تقوم صخرة كبيرة وهي مطلية بالطباشير كسائر اقسام البناء (يريد القول انها مغشاة بالبورق) . وبجانبها كنيس كبير ، وظاهر الكنيس مدهون بدهان جميل يشبه لونه قشرة السلحفاة . وفي داخله يرى القسم الذي في قبلة اورشليم مجرداً وغير كامل علامة الحداد على الهيكل المقدس في مدينة الله .

ويرى في طرفٍ من اطراف البناء صورتان بكبر الانسان الطبيعي صورتا في الزمان الغابر وتشوهتا على مر الاعوام . وعلى مرويات اليهود ان هاتين الصورتين هما صورة النبي حزقيال ويهوياكيم الملك . الا انه يصعب على الناظر اليهما ان يميز من آثارهما الطامسة الفانية شبه هيئة بشرٍ ولا يعرف لونهما ولا لباسهما . فجدار الباب مغطى في امكنة مختلفة بطائفة من الصور شبه الكتابات والنقوش المصرية (١) وهي تخلد ذكر الذين شيدوا هذا البناء اي الشعب كله وملكهم .

ويحفظ في الحرم المقدس من هذا الكنيس ادراج من الشريعة وبينها واحد كبيره

(١) ان الكتابة التي يشير اليها المؤلف ماهي الا كتابة عربية

عظيم جداً لم اشاهد مثله قد كتب على نوع من الرق يسمى (كويل) وعلى معتقد يهود العراق قد كتبه حزقيال نفسه .

وعلى رأيي (اي على رأي بنيامين الثاني) ان كتابة هذا السفر يرتقي الى عهد عنان سنة ٤٤٩٠ للخلقة (١) .

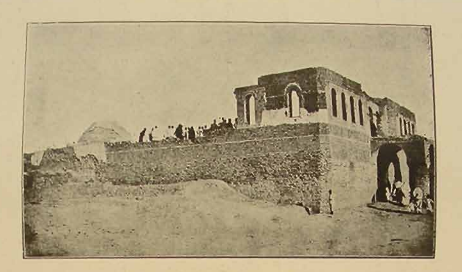
يقرأ في هذا السفر في يوم الغفران فقط (الكبور) . وقدحاولت ان افحص هذه المخطوطة فلم يسمح لي بذلك لأنه لم يكن آنئذٍ يوم الكبور اليوم الذي يقرأ فيه كما اسلفت .

وفي داخل الكنيس غرفة وهي الخزانة (اي الكنيزا) تحفظ كتب الخط القديمة التي تأتي من امكنة مختلفة . وبجانب الكنيس مجمع الربانيين (جشيبا) حيث يلتئم دائماً نحو عشرين رباناً لقراءة كتب التي ،درس التلموذ وكتب أخرى من الشريعة . وهم اليهود الوحيدون الذين لهم مثوى في الكفل . ويتبرع اخوانهم يهود بغداد بحاجياتهم وبلوازم هذا المعهد بما يجودون به من الهدايا والهبات الكبيرة . ومن امثال ذلك انني قبل ان اهبط تلك الديار ببضع سنوات مات المثري اليهودي يعقوب سياح بدون خلف ذكر . واوقف تركته على اخوانه اليهود في زفات وكذلك اوقف ١٥٠٠٠٠ قران لمساعدة معهد الربانيين (جشيبا) في الكفل .

يعتقد اليهود والعرب من سكان تلك البقعة بمفاعيل بعض اعمال يقومون بها على قبر النبي طلباً لشفاعته ولا سيما لشفاء المرضى المصابين بامراض عضالة .

---

(١) راجع عن عنان صفحة ١٠٤ من هذا الكتاب



مرقد كوهن يوشع في جانب الكرخ

يذهب هؤلاء الربانون كل جمعة بعد الظهر الى القبر لينشدوا ترانيم واناشيد تقوية ويبدلوا ستار القبر . وفي كل سنة في صوم الاسابيع يقصد الكفل زوار اليهود من بغداد والبصرة وبلاد فارس وامكنة أخرى ليحتفلوا بالعيد هناك . فتجرى الحفلات المختلفة في المزار. فيذهب الرجال الى الكنيس مساءً قبل يوم العيد ويقرأون سفر حزقيال . وقبل بزوغ النهار بساعة يتزايدون على الحصول على ميزة تغيير ستور القبر فمن يدفع اكبر ثمنٍ ينل ذلك الامتياز ويقرأ بصوت عالٍ فصلاً من سفر النبي (هفتورا) . وتبدل ستور القبر بين الاناشيد والترانيم .

ويروي الاهلون هناك الوفاً من الخوارق والمعجزات التي تحدث على قبر حزقيال وهي تقريباً من الخرافات . وان عشائر البدو الرحل يأتون الى زيارة النبي حزقيال ويقبلون قبره باحترام ويعتقدون به اعتقاداً صحيحاً وينفحون الربانيين بهدايا ليظفروا باحسانات النبي بوساطتهم . (انتهى) .

وقد تنازع ملكية هذا المعبد غير طائفةٍ من المراقبين الا انه انتهى الى اليهود ويقال ان مناحيم افندي دانيال قد ساعد قومه في امر هذا المعبد .

٣ يوشع كوهين كادول

في جانب الكرخ من مدينة السلام مدفن رجل من أئمة اليهود وصلحائهم يقصدونه للزيارة والتبرك يسمى النبي يوشع او ربن يوشع او يوشع كوهين كادول (١).

(١) كوهين كادول كلمتان عبريتان ومعناهما الكاهن العظيم

وهو بقرب مدفن الشيخ معروف الكرخي المسلم (١) وبجوار قبر الست زبيدة (٢) في محلة عرفت في عهد العباسيين محلة باب البصرة (٣) وبجوارها محلة قطفتا (٤) ويظهر ان في هذه البقعة كان دير للنصارى يعرف بدير اليشع ومنهم من كان يسميه دير البقال ملاصق مقبرة معروف .

(١) هو ابو محفوظ معروف بن فيروز وقيل الفيروزان وقيل علي الكرخي من موالي علي بن موسى الرضا وكان ابواه نصرانيين فاسلماه الى مؤدب وهو صبي فهرب منه ودان بالاسلام ومات في صدر القرن الثالث للهجرة ببغداد وقبره مشهور بها يزار (راجع وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٢ : ٥٥٣)

(٢) المأثور عند البغاددة ان في هذا القبر رفات زبيدة امرأة هرون الرشيد الا ان بعض الباحثين ينكرون ذلك ويذهبون الى ان رهينة هذا الجدث امرأة بويهية او سلجوقية اسمها الست زبيدة واما مدفن زوج الرشيد فهو في مقابر قريش الصق باب التبن حيث مدفون موسى الكاظم بن جعفر الصادق وهي الكاظمية اليوم وقد استندوا في هذا الرأي الى ما جاء في حوادث سنة ٤٤٣ هجرية في تاريخ الكامل لابن الاثير . وزارني الدكتور هرتسفيلد في السنة الماضية اذ كان في بغداد وتفاوضنا طويلاً في هذا الموضوع فانه لا يرتئي هذا الرأي ويقول بان نص ابن الاثير لا يدل دلالة صريحة على ان مدفن ام الامين كان في باب التبن ويرجح تقليد البغاددة ، اما من حيث طرز البناء فيذهب الى انه جدد بعد احراقه على هذا النسق. (٣) راجع رحلة ابن بطوطة ١ : ١٣٥ من طبعة وادي النيل . (٤) مادة قطفتا في معجم البلدان

ووهم من نسب هذا الضريح الى النبي يوشع بن نون اخذاً بقول العامة . فاليهود انفسهم لم يذهبوا هذا المذهب . وليس من ادلة تاريخية على منشأ هذا المزار والراقد في ثراه . ولهذا يصعب على المؤرخ ابداء آرائه فيه وكل ما يقال في هذا الشأن رجم في غيب . وغاية ما يقول الشعب اليهودي او المتفقهون منهم ان هناك مدفن احد الصالحين او احد الرؤساء من الكهنة (الكوهينيين) ولم يعرفوا عنه شيئاً .

ومن الغريب ان اقدم ذكر وقفت عليه لهذا المزار لسائح تركي وهو الرئيس سيد علي الذي زار المدفن في سنة ٩٦١ هجرية ١٥٥٤ م راجع كتابه مرآة الممالك ص ١٥ .

وجاء عنه عقيب ذلك في رحلة بدرو تكسيرا في اوائل القرن السابع عشر ما ترجمته قال رحالتنا : على مقربة من بغداد داخل بناء صغير نجد قبراً يحترمه العرب واليهود ويقولون ان هناك يستريح جثمان الكاهن العظيم اليهودي . وهو صندوق عظيم مشيد وفي رأس القبر صحيفة من المعدن مكتوب عليها باحرف عبرية : يوشع كوهين كادول .

ويؤيد سكان الديار المجاورة انه كان رجلاً قديساً ويعظمونه للخوارق التي يجريها الله على يده . (١)

وزار هذا المقام الرحالة الدنيمركي نيبور في اواخر القرن الثامن عشر ، وقال عنه : بقرب بهلول دانة يرى اليوم بناء صغير حقير فيه قبر رجل يسمى يوشع

(١) The Travels of Pedro Teixeira page 68

الذي يكثر اليهود من زيارته . (١)

وتكلم عن هذا المزار بنيامين الثاني وقال ما تعريبه : وعلى مسافة ساعة من بغداد بناء صغير تظلله ثماني نخلات جبارات وينقسم قسمين في احدهما قبر الكاهن العظيم يهوشع المزين غاية الزينة الذي ذكره زكريا (٣ : ١) . وتحت النعش نجد مخطوطات كثيرة يقرأ منها بعض المقاطيع عند قبره . وفيها حكاية تاريخه الموجودة في كتابات زكريا (٢) ويأتي الضياء الى داخل القبر المعقود من نافذة ضيقة . ويذهب اليهود الى هناك كل شهر ليسمعوا قراءة كتابات الكاهن العظيم . وبعد ان تختم القراءة ينشدون الكثير الاناشيد. ويجتمعون في مكان يبعد قليلاً عن القبر ويتغدون غداءً اخوياً (٣)

---

(١) C. Niebuhr : Voyage en Arabie II : 246

(٢) يشير بنيامين الى يهوشع الكاهن العظيم الذي جاء عنه في نبوة زكريا ما يأتي : فاشهد ملاك الرب على يهوشع قائلاً . هكذا قال رب الجنود ان سلكت في طرقي وان حفظت شعائري فانت ايضاً تدين بيتي وتحافظ ايضاً على دياري واعطيك مسالك بين هؤلاء الواقفين . فاسمع يا يهوشع الكاهن العظيم انت ورفقاؤك الجالسون امامك لأنهم رجال آية لأني هاءنذا آتي بعبدي الغصن الى الخ (زكريا ٣ : ٦ـ٨) . ليس من دليل على ان يهوشع الكاهن العظيم المذكور في كتاب زكريا مدفون هنا .

(٣) J. J. Benjamin II : Eight Years in Asia and Africa. 152 - 153

قد مر بنا ص ١٧٩ من هذا الكتاب النزاع الذي قام سنة ١٨٨٩ بين المسلمين واليهود على هذا المزار . وقد ذكرت هذا الحادث نشرة الاتحاد الاسرائيلي العمومي التي تصدر في باريس واسهبت في حكايته فرأينا الاجدر بنا ان نشير اليها دون ان نقتبس منها شيئاً .

وغاية ما نقول ان الحكومة التركية اهتمت بامر هذا النزاع من اجل ملكية هذا المزار وبالاخير ارجعته الى اليهود . وليس في هذا المزار من الآثار ما يقف عندها الباحث . ويظهر ان اهميته تتضاءل عند اليهود انفسهم وتقل الزيارة اليه سنة بعد سنةٍ . ترى صورته في الصفحة المقابلة .

٭٭٭٭٭٭٭٭

٤ـ الشيخ اسحق الغاووني

او

اقدم كنيس لليهود في رصافة بغداد

في احدى محلات الرصافة من مدينة بغداد الحالية نشاهد كنيساً لليهود فيه مدفن احد ربانيهم اسمه الشيخ اسحق الغاووني . واسم المحلة المذكورة « محلة الشيخ اسحق » . وللكنيس باب آخر حديث البناء يفضي الى شارع سوق حنون . وهو ومحلة الشيخ اسحق « من حارات اليهود . »

يرقي اصحاب هذا المدفن تاريخه الى القرن السابع للميلاد ويقولون ان رهين ذلك الجدث كان صيرفياً عند الامام علي بن ابي طالب .

واذ كنا نكتب تاريخ القوم ونبحث عن احوالهم على مر القرون وتوالي الاجيال دفعتنا الرغبة وحدانا الشوق الى زيارة هذا المعهد القديم على رأي بعضهم فزرناه في اليوم العاشر من شهر شباط من سنة ١٩٢٠ . وكان معنا دليل من معارفنا اليهود . فدخلنا الكنيس من الباب الواقع في شارع الشيخ اسحق وبعد ان تقدمنا بعض خطوات في المجاز رأينا على يسارنا قبة فيها ضريح الربان ومجاهنا باباً يفضي الى المصلى المنسوب اليه . فجاء قيم المكان وفتح باب غرفة الضريح فدخلناها وكلنا عيون تتفقد لعلنا نهتدي الى أثر تاريخي يؤيد مدعى القوم ويثبت صحة رأيهم في ذا الراقد الصالح فلم تتحقق أمنيتنا والسطور التالية تدلك على كل ما شاهدناه في ذلك المكان .

ان البناء كله حديث عهد لايتجاوز عمره عشرين سنة او ما يقارب . وقيل لي ان الشعب جدده بعد خرابه . ان الغرفة مربعة الشكل . سقفها معقود بالآجر وارضها مبلطة بالقاشاني الابيض والازرق وفي وسطها مصطبة من الخشب عالية عن الارض على شكل القبور العراقية . ومسجاة بقماش لطيف مذهب يزيد المكان وقاراً وتحت تلك المصطبة يرقد الربان اسحق وفوق الضريح قنديل يوقد ليلاً ونهاراً حسب عادة الشعوب السامية القديمة في هياكلهم ومعابدهم وقبور ائمتهم . هذا كل ما يجده الباحث داخل غرفة الضريح .

ولما خرجنا من الغرفة رأيت فوق بابها حجراً من الرخام محفوراً عليه بالخط العبري ما مفاده :

« تاريخ الراقد الصالح الربان اسحق الفاووني المتوفى سنة ٦٢٠ لخراب بيت المقدس »

تركنا المزار ودخلنا المصلى فرأيناه فخماً محكم البناء ، جديد الوضع وطرز بنائه يحاكي بناء سائر الكنس اليهودية في بغداد . في وسطه منصة عالية يرقاها الربان اذا قرأ الاسفار او وعظ في شعبه وصلى في جماعته . ويجلس المصلون والسامعون في امكنة معدة لهم في جانبي الكنيس . وهناك الواح معلقة مكتوب عليها بالعبرية آيات من التوراة . وقناديل تشتعل ليلاً ونهاراً مادتها السليط (وهو دهن السمسم او السيرج كما يسميه العراقيون) .

ويشاهد هناك بئر ماء مثل الآبار الموجودة في بيوت بغداد ينسب اليها القوم معجزات وقد روى لنا غير واحد من ملازمي المعبد شيئاً منها . وقد اضحى هذا الكنيس ملجأ للعميان واصحاب العاهات يختلفون اليه لدرس الشريعة والتفقه في دروس الدين وتفاسيرها .

وبعد ان طفنا بذلك المصلى توجهنا الى الباب الذي يفضي بنا الى سوق حنون وعند المجاز رأينا رجلاً في شرخ الشباب ، غض الاهاب قد جلس على تخت وامامه علبة عليها بعض الكتب وحياله امرأة مبرقعة تستنشده الغيب فعرفنا ان الرجل من دعاة التنجيم فسألنا دليلنا الخبير عنه فوافق جوابه فكرنا (١)

(١) ذكرنا هذا الامر بما جاء في كتاب « نينوى وبابل » تأليف البحاثة السر ارستن هنري لايرد المطبوع بالانكليزية في لندن سنة ١٨٩٧ ص ٢٩١ و ٢٩٢ . في معرض كلامه عن أقداح الطين المشوية المكتوبة كتابة سحرية التي اكتشفها في اطلال بابل ورجح نسبتها الى يهود بابل ومما قال : ان الكلدان اشتهروا سابقاً بالعرافة والتنجيم والسحر ومما لاريب فيه ان اليهود لم يأخذوا بالقيام بهذه

هكذا انتهى تطوافنا ذلك اليوم ولكن لم يزل ذكره في فكرنا باحثين عن تاريخ ذلك المزار لنقف على حقيقة امره والحقيقة غايتنا المنشودة . وفي اليوم الثاني زرنا احد علماء الحاضرة الاعلام من له المام وكل المام في تاريخ العراق ومعاهده والتمسنا منه ان يطلعنا على تاريخ كنيس الشيخ اسحق الراقد هناك .

فاجابنا حضرته بما فطر عليه من كرم الطباع وسعة العلم بما يأتي : لم اقف كل الوقوف على تاريخ هذا المعهد ولكن جل ما اعرفه ان موقعه في محلة كانت تعرف سابقاً بباب ابرز او بيرز (بكسر اوله وفتح ثانيه وسكون الباء وفتح الراء الخ) وقد جاء ذكرها في معجم البلدان في مادة بيرز وكانت على زمان مؤلفه ياقوت مقبرة وقال انها بين عمارات البلد وابنية من جهة محلة الظفرية والمقتدرية بها قبور جماعة من الائمة . . . منهم ابو اسحق ابراهيم بن علي الفيروزابادي الفقيه الامام . ثم زاد حضرة العلامة وقال ربما كان الرجل المدفون في معهد اليهود هو ابو اسحق ابراهيم بن علي الفيروزابادي (١) قلنا . هذا الرأي الاخير افتراض بحت لا يمكن

الاعمال فقط بل انهم نقلوها معهم الى وطنهم . ولهذا نرى اليهود الذين جلاهم طيطس ووسبسيانس الى رومة بعد خراب اورشليم كانوا يعرفون التنجيم . واستطلاع البخت والسحر . وقد روى لنا ذلك يوفنال الكاتب الروماني الهجاء .

(١) هو الشيخ ابو اسحق ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزابادي الملقب جمال الدين ولد في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة (١٠٠٣ م) بفيروزاباد وتوفي في سنة ست وسبعين واربعمائة (١٠٨٣) ببغداد . وكان عالماً جليلاً وشاعراً حسناً وتولى عهداً المدرسة النظامية في بغداد .

قبوله لما يعترضه من المشاكل التاريخية والدينية والاجتماعية .

لنرجعن الآن الى مدعيات اليهود في هذ المحل ، ونمحص تقليدهم في تاريخ الراقد في ذلك الجدث . وهي تنحصر في ثلاث قضايا :

١ً : انه الشيخ اسحق الغاووني .

٢ً : تاريخه سنة ٦٢٠ لخراب بيت المقدس او اواخر القرن السابع للميلاد .

٣ً : كان في حياته صيرفي الامام علي بن ابي طالب .

قلنا : ١ً . اذا كان الشيخ اسحق المدفون هناك من الغاوونيم حقاً فيجوز ترقية تاريخه الى القرن الحادي عشر للميلاد او ابعد من ذلك . ولا يخفى ان الغاوونيم من اليهود تصدوا لدرس التوراة والتوسع في شرحها وكانوا في اول امرهم رؤساء مدرستي بومباديتا (جبة) وسدرا (سورا) وبقوا في عهد العباسيين وقد قال عنهم مندلسون في كتابه يهود آسية باللغة الانكليزية ص ٢٢٢ ما يأتي :

ان النزاع بين رؤساء الجالوت والغاوونيم اضر كل الضرر بالطائفة جميعها وبلغ اشده في القرن التاسع والعاشر الميلاد . وكان آخر الغاوونيم في منتصف القرن الحادي عشر رجل اسمه حي . راجع ص ٩٧ من كتابنا هذا .

٢ً . اما لقب الشيخ المتصدر به اسم اسحق الغاووني فانه يدلنا على ان الرجل من الذين عاشوا في عهد العباسيين . لان الصيارفة والكتاب من اهل الذمة كانوا يصدرون القابهم بالشيخ (١) . اه . فربما كان صاحبنا من الصيارفة الذين عاشوا في اخريات ايام العباسيين والا فان التاريخ المنقوش على نافذة ضريحه وهو سنة ٦٢٠

---

(١) راجع ص ١٣٢ من هذا الكتاب

خراب بيت المقدس لايحتمل ان يكون حقيقياً كما ان صاحبنا لايحتمل ان يكون صيرفياً للامام علي بن ابي طالب للاسباب الآتية :

اسس المنصور بغداد في نحو منتصف القرن الثاني للهجرة اي في اول النصف الاخير من القرن الثامن للميلاد . وليس اليوم من اثر واحد في بغداد لليهود والنصارى والمسلمين يسبق عهد تأسيسها . الا ماينسبه اليهود من القدم الى هذا المعهد . وهذا امر فيه نظر . وان المؤرخين القدماء والكتبة المتأخرين والرحالين الغربيين الذين زاروا هذه الاقطار لم يذكروا شيئاً عن هذا المزار .

٣ . ان التاريخ الذي يذكره اليهود لحياة هذا العالم يوافق زمن الامام علي بن ابي طالب الا ان التاريخ لايذكر صيرفياً يهودياً كان في خدمة الامام .

وقصارى القول ان الشيخ اسحق الغاووني اذا كان حقاً من الغاوونيم فانه لا يرتقي اكثر من القرن العاشر للمسيح . والا فاذا صح ماقاله لي احد افاضل اليهود المدققين ان هذا الكنيس لا يرتقي الى اكثر من قرن او قرن وربع قرن . فيكون الشيخ اسحق حديث عهد .

كل ما ارتأيناه في هذا الفصل مؤسس على افتراضات تاريخية ونحن نرغب الى الذين عندهم من البينات التاريخية مايميط اللثام عن حقيقة هذا الكنيس القديم ان يزودونا بها او ينشروها فنحن نشكر له فضلهم باسم الحقيقة التي هي ضالتنا المنشودة .

ولم يأت السياح الذين زاروا هذا القطر بوصف هذا المزار الا واحد من المتأخرين وهو بنيامين الثاني فقد قال فيه انه بناء واسع قائم على ستة عشر عموداً ونقرأ

هناك (المجلة) كتاب استير في يومي الرابع عشر والخامس عشر من شهر آذار ولا شيء في داخل البناء يستحق الذكر . والسقف مزين بنقوش محفورة . ويسمى هذا الكنيس « كنيس الشيخ اسحق الغاووني » . وفي احدى غرفه قبر هذا العالم علوه بعلو انسان وفوقه اعلام مربعة الالوان ويقرأ عند القبر عشرة ربانيين ويتلون الصلوات (١)

****

٥ : مزار ناحوم الالقوشي

تصفح الكتاب المقدس تر بين الانبياء الذين تنبأوا عن نينوى وزوال مجدها رجل اسمه ناحوم الالقوشي . اودع نبوءته الممتلئة سخطاً وغضباً في ثلاثة فصول وقد اوردنا في ص ٢١ من هذا الكتاب بعض الايات من نبوءته فلتراجع .

والا الذي يهمنا في هذا الفصل وطن ناحوم ومرقده . فهل كان النبي من القوش آثور او من القوش فلسطين . وفي اي قطر من القطرين دفن ؟ وبعد ان نورد اقوال العلماء والمؤرخين في هذا الباب نصف قبره في القوش آثور حيث تجعله تقاليد يهود العراق ومسيحيوها ومسلموها .

يذهب القديس ايرونيمس ان القوش وطن ناحوم كانت قرية في الجليل ويشاهد قبره في قرية بيت جبرا Bethogabra قرب عمواس . ولكني اقول مع الاثري ان نبوة ناحوم ظهرت في زمن جلاء الاسباط العشرة وكلها عن نينوى ولهذا

(١) Benjamin II. Eight Years in Asia and Africa
From 1846 - 1855 Pages 143 - 144

فالتقليد الذي يجعل مدفنه في القرية الأشورية لا يخلو من اهمية (١) هذا من حيث التقليد السائد اليوم بين العراقيين غير اننا لم نقف على نص قديم في الكتب التاريخية القديمة من شرقية وغربية تدعم ماهو مأثور في هذا القطر عن مدفن الرجل في القرية الأشورية وازيد على ذلك واقول ان جغرافيي العرب لم يذكروا القوش في مؤلفاتهم فيظهر انها كانت خاملة الذكر في القرون الوسطى . ومن الغريب ان بنيامين التطيلي يذكر كنيس ناحوم في الموصل وبعد قليل يقول ان قبره يبعد مسافة ست ساعات عن قبر حزقيال في موضع عين شفثا .

اما بتاحيا فيقول ان قبر ناحوم الالقوشي يبعد عن قبر باروخ بن نيري اربعة فراسخ وقبر باروخ بن نيري لا يبعد عن قبر حزقيال الا ميلاً واحداً . فيكون على وصف هذا السائح في سهول بابل .

وتكلم نيبهر في القرن الثامن عشر عن زيارة اليهود لقبر ناحوم في القوش اشور نقلنا روايته في ص ١٦٤ من هذا الكتاب فلتراجع وفي اواسط القرن الماضي وصف الكنيس والقبر وزيارة اليهود اليهما كل من لايرد وبنيامين الثاني .

قال لايرد : ان في القوش بموجب تقليد عام . قبر ناحوم الالقوشي كما يلقب في فاتحة نبوته . ويحترم هذا المكان المسلمون والمسيحيون ولا سيما اليهود الذين يحافظون على البناء ويأتون الى زيارته زرافات في بعض مواسم السنة . فالقبر هو مصطبة بسيطة من جص او ناووس مغطى بقماش اخضر .. وعلى جدران الغرفة موضوعة قصاصات ورق مكتوب عليها بالعبرية مواعظ دينية وتواريخ زيارات الاسر اليهودية المختلفة .

(١) A. H. Layard : Niniveh and its remains 141

ان دار القبر بناء بسيط وليس هناك كتابة او قطعة من العاديات عن المكان ولا اعلم الى متى يرتقي التقليد عن ناحوم في قرية القوش وهل كان مصدره مسيحياً او يهودياً .

وعقد بنيامين الثاني فصلاً عن القوش ومزار ناحوم استغرق نيفاً وخمس صفحات في رحلته . ومما ناخذه عليه انه قال ان سكان هذه القرية ارمن والحال انهم كلدان باجمعهم .

وفي العراق غير هذه الامكنة يمدها اليهود قديمة العهد وينسبونها الى انبياء اسرائيل الا اننا ضربنا صفحاً عن ذكرها . اما قبر النبي يونس او يونان ومعبده المقدس فهو قائم على اطلال نينوى فهو جامع للمسلمين ويعتبر التقليد ان فيه دفن النبي المذكور . وليس من الادلة التاريخية ما يؤيد هذا التقليد .



زيادات وايضاحات

ص	سطر	
١٤	١٤	وعلى ذكر اراشتو اقول ان العالم الأثري الاستاذ كلي قال لي لما كان في بغداد في اوكتوبر سنة ١٩٢٣ وجدت فيها صفائح مكتوبة عليها اسماء يهودية كثيرة
٨٥	٣	وقصارى القول أن التلمود البابلي ذكر ما ينيف على مائتي مدينة بابلية كانت تسكنها اسر يهودية بعد حكم الفرس (نقلاً عن كتاب لايرد الانكليزي المعنون « نينوى وبقاياها »)
٩٢	٢	جاءت العبارة الآتية « الراب الشهير المعروف بربان عريقا » وصحيحه بربان « اريخا » ومعناه الطويل لقب هذا اللقب نظراً الى طول قامته وكانت وفاته سنة ٢٤٣ وهو اول من سمي عموراني راجع ص ٩٦ من كتابنا هذا . ورأى السائح بتاخيا قبره في سياحته الى بابل في القرن الثاني عشر للميلاد
٩٩	١٠	جاء في هذا المكان من الكتاب ان الدين اليهودي انتشر في نمير وذلك استناداً على نص نقلته من المستطرف للأبشيهي . الا ان الاب انستاس الكرملي عند وقوفه على هذه الرواية شك في صحتها . فاخذ يبحث عن الحقيقة و بعد ايام كتب الي ما يأتي : « ما فتئت ابحث عن صحة قول المستطرف في ان اليهودية كانت في نمير

ص	سطر	
		حتى ظفرت بالضالة والحقيقة أنها كانت في حمير وكلام الابشيهي مأخوذ بحرفه عن ابن رسته في الاعلاق النفيسة ص ٢١٧ من طبعة الافرنج . ولم يكن في نمير يهودي واحد قط »
١١٠	١٦	وماسرجويه متطبب البصرة وكان يهودي المذهب سريانياً وهو الذي يعنيه ابو بكر محمد بن زكريا الرازي في كتابه الحاوي بقوله : قال « اليهودي وكان في ايام بني أمية وانه تولى في الدولة المروانية نقل كتاب اهرون القس بن اعين من السرياني الى العربي ومن تآليفه كناش كتاب في الغذاء وكتاب في العين وكتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها (عيون الانباء ١ : ١٦٣ _ ١٦٤ القفطي ٢١٣
١١١	٣	وكان سند بن علي المذكور قد بنى كنيساً لليهود لما كان على دينهم في ظهر باب الشماسية (القفطي ص ١٤١) ومحلة الشماسية من محلات بغداد القديمة وموقعها في اعلى من محلة ابي حنيفة وهي في المكان المعروف اليوم « بالصليخ »
١١٦	٩	ان اسم الكتاب في العربية كتاب الدين والدولة وقد طبع النص الأصلي القس الفونس منكنا وارجح الروايات في دين ابي الحسن علي بن ربن الطبري أنه يهودي الاصل ثم تنصر . فاسلم
١٢٩	٤	ابو البركات هبة الله علي بن ملكا او ملكان

ص سطر

١٣٢ ٩ قال بتاخيا في رحلته ان لا حزان عند يهود بابل وآثور

١٣٢ ١٢ كانت المراتب الدينية عند يهود بابل على هذا المنهج :
١ً : راس الجالوت ٢ً : راس الجامعة (مثبتا) ٣ً : راس الطبقة (كلة) ٤ً : راس الجماعة (سدرة) ٥ً : راس الفصل ٦ً (پرقا) راس الكنيس

١٣٦ ٤ ومن الشواهد على متاجرة يهود العراق بالخمر ما قاله حنين بن بلوع الحيري وكان نصرانياً يصف الحيرة ومنزله فيها :

أنا حنين ومنزلي النجف　　وما نديمي الا الفتى القصف
أقرع بالكاس ثغر باطية　　مترعة تارة واغترف
من قهوة باكر التجار بها　　بيت يهود قرارها الخزف
والعيش غض ومنزلي خصب　　لم تغذني شقوة ولا عنف

(الاغاني ٢ : ١١٦ _ ١١٧)

١٣٧ ٦ لما اوردنا بعض مرويات الربان بتاخيا في كتابنا نقلناها عن المجلة الآسوية والانسكلوبدية البريطانية كما اشرنا الى هذين المأخذين في الحاشية واذ وقعت بيدنا الآن رحلته المطبوعة في المطبعة الملكية في باريس سنة ١٨٣١ بالنص العبري والترجمة الفرنسية وددنا ان نتوسع في الاخذ من هذه الرحلة عن يهود العراق قال :

ص سطر

« في الموصل ٦٠٠٠ يهودي ولهم ربانيان وهما الربان داود والربان سموئيل . والضرائب التي يدفعها اليهود يعود نصفها الى السلطان ونصفها الى رؤسائهم . ولليهود كروم . وللرؤساء اليهود حبس يسجنون فيه المجرمين (١) . واذا حدث خلاف بين مسلم ويهودي يحق لرؤساء اليهود ان يعاقبوا من كان مجرماً . وكان في الموصل منجم يهودي اسمه الربان سليمان . ومما ذكره : ان مات يهودي غريب في الموصل اخذت الحكومة نصف تركته ولما انحدر من الموصل في دجلة شاهد من ابناء دينه في كل بلد وقرية مرّ عليها . والطرأ نفقه يهود آثور وبابل وبلاد ماذي وفارس وعلمهم بكتب الدين . وقال ان لرئيس الجامعة الف تلميذ يدرسون عليه ويحضر امامه كل مرة خمسمائة تلميذ منهم . وله نحو من ستين خادماً وفراشاً يضربون المذنبين عصياً وثيابه ارجوانية ومزركشة ولما ينهي التلامذة دروسهم يطارحهم اكبرهم عمراً اسئلة عن علم الفلك وعن علوم أخرى . ومن اقواله التي لا توافق الحقائق التاريخية ان اليهود لا يدفعون ضريبة الى الخليفة بل يدفع كل منهم ذهباً الى راس الجالوت » .

---

(١) لم يكن هذا الحق لرؤساء اليهود في بغداد في عهد العباسيين راجع ص ١٣١ من كتابنا هذا .

ص سطر

لا يصح كلام بتاخيا الا اذا فرضنا ان رأس الجالوت كان يجمع تلك الجزية وتحاسبه الحكومة عليها لأنه ممثل الجماعة كما كان يجمع الاتراك ضريبة العسكرية بوساطة الرؤساء الروحانيين من الجماعات ·

وزار بتاخيا مدينة نهر دعة وقال انها تسير الى الاندثار · وهي خراب ليس بها عامر الا محلة واحدة يسكنها اليهود · وهبط الحلة ورأى فيها قبر رابي مئير المذكور في المشنا ·

١٦٤ ٤ وكذلك السائح اوتر N. Otter الذي نزل العراق في سنة ١٧٤٣ لم يتصد للبحث عن اليهود الا استطراداً فانه قال : ان احمد باشا والي بغداد كان يأخذ غرامة باهظة من الشعب لأنه كان سخياً مسرفاً . وبما اتهم موشي رئيس الصيارفة (صراف باشي) بتهمة اضطر اليهود الى ان يعطوا الى الوالي ٢٠٠ كيس لينقذوا موشي من القتل . وقد اضطر المذكور الحان يتنازل عن طلب له على الوالي ٧٠٠ كيس ويمزق الوثائق المؤيدة لكي يعود الى منصبه . ولاقى السائح في ٢٩ ايار سنة ١٧٤٣ موشي في الحلة وكان هناك منذ شهر يبتاع المؤن لبغداد بأمر من احمد باشا

١٦٥ ٥ ويروى ان اجداد بيت الحيدري كانوا يأخذون الجزية في هذه المطاوي من اليهود والنصارى والصابئة في البصرة (نقلاً عن كتاب عنوان

ص سطر

المجد في احوال بغداد والبصرة ونجد للسيد ابراهيم فصيح الحيدري وهو كتاب خط)

١٦٥ ١٠ جاء في الرسالة الفارسية : لما دخل الايرانيون البصرة سبوا وحبسوا أناساً كثيرين ونفوا منهم وغرموا آخرين . ومن الذين نفوا الى شيراز الناسي يعقوب هرون واولاده ولما رجع من المنفى عين صرافاً للخزينة في عهد سليمان باشا ومن الموبقات التي اتى بها الجيش الفارسي في البصرة انه سبى نساء اليهود فاضطرت كثيرات منهن حباً بعفافهن الى احراق نفوسهن لئلا يقعن في شرك الفاتحين

١٩٢ ٤ ان الربان بتاخيا الذي زار العراق حوالي سنة ١١٨٠ يذكر هذه الرؤيا مع بعض اختلاف ويقول حدثت هذه الرؤيا سابقاً ويذكر ايضاً النار التي تظهر على القبر

١٩٨ ١٠ غالى الربان بتاخيا في وصف بناء مزار حزقيال حتى افضى به غلوه الى القول : من لم ير قصر حزقيال العظيم فانه لم ير أثراً جميلاً في حياته . ووصف القبر وقال انه من خشب الارز المذهب لم تشاهد العين مثله ويسهر مائتا شرطي على حفظ الكنوز التي تهدى الى القبر .

تصحيح خطأ

ص	س	خطأ	صواب
٤	٦	عرفا	عرف
٤	٧	كيلومتر	كيلومترات
٥	١٢	E'Orieut	L'Orient
١٧	١٨	Encyclopaedi	Encyclopaedia
٢٢	١٩	Encyclopédie Biblique	Dictionnaire de la Bible
٢٨	١٤	برج	بدج (Budge)
٢٩	١	تاريخ خرابه	تاريخ خرابه (١)
٢٩	٧	ارز لبنان (١)	ارز لبنان
٢٩	٨	٣٢٣ ـ ٣٢١ ق م	٣٣١ ـ ٣٢٣ ق م
٢٩	١٦	By Nile and Tigris page 269	By Nile and Tigris I:264
٣٠	٣	ولنةً	ولغةً
٣٢	١٢	واراد الكتاب	وما اراد الكتاب
٣٥	١	وكوني	وكوْني
٤١	٣	وقلة آمالهم	وقبلة آمالهم
٥٢	١٤	انباء	ابناء

ص	س	خطأ	صواب
٧٠	٦	ويرسلون بها بني	ويرسلون بها الى بني
٧٣	٨	جاملوا في اليونان	جاملوا اليونان
٨١	١٨	Gsidore	Isidore
٨٣	١٢	وقالى	وقال
١١٤	٨ و١٨	(٢)	(٣)
١٢٦	١٣	وفي ذلك	وبعد ذلك
١٢٧	١٢	وافتدامهم	افتدامهم
١٢٨	١١	وكـثيراً	وكثيراً
١٣٢	٦	وقد عوف العرب	وقد عرف العرب
١٣٦	٨ و١٠	غمي وبغمي	غمى وبغمى
١٣٧	٥	رئيس الجالوت	رئيس الجامعة
١٣٩	٩	ي . ع . س	ي . ن . س
١٤٤	١٥	مقالتنا	مقالتنا
١٤٥	٦	والحكة	والحكمة
١٦٠	٩	با الفظاظة	بالفظاظة
١٦٣	١٧	Sieu r	Sieur
١٦٣	١٨	Z	Gouz

ص	س	خطأ	صواب
١٦٥	٨	١١٨١ _ ١١٩٠	١١٨٩ _ ١١٩٠
١٧٠	١٠	C. lément	Clément
١٧٦	٩	لما جلس أن السلطان	لما جلس السلطان
١٧٩	٧	يهوشوع	يهوشع
١٨٠	١٠	خدمات جلي	خدمات جلي
١٨٢	٧	بنيامين الثاني ص ...	بنيامين الثاني ص ١٧٣
١٩١	١٠	١٣١٧	١٢١٧
٢١٣	١٠	والا الذي	والذي
٢١٣	١٦	الأثري أن	الأثري لا يرد أن
٢١٦	١٤	الألشيهي	الأبشيهي

هذا ما أردنا تصحيحه ولعل هناك خطأ فاتنا فمن القراء الكرام المعذرة .